مقالات

د. مرزوق بن تنباك

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

صحيفة اليمامة

www.mtenback.com

القلق المشروع

من حق الطيبين أن يتفاءلوا وأن ينظروا إلى الأمور نظرة كلها رضا وحب وقناعة، ومن حقهم وحق غيرهم ألا تنغص حياتهم المريحة الهادية بعواصف الأفكار المزعجة والتوقعات المخيفة، وما أكثر ما يزعج في هذه الأيام ويخيف، لكن في المقابل من حق القلقين أن يعبروا عما يرونه من حولهم وما يحيط بهم من مشكلات ومعضلات لا تخص الأفراد ولكنها تعم الناس كافة، الرضاء والاطمئنان وسيلة، راحة مطلوبة يحتاجها المرء ليعيش حياته بلا منغصات، ولكن القلق هو أيضاً وسيلة مشروعة للبحث عن مستقبل مستقر وآمن. والأحوال والظروف هي التي تحدد درجات القلق أو الاطمئنان عند الناس؛ ولهذا يكون الأمر غير مرتبط بالشخص القلق ولا ذلك الراضي المطمئن، ولكنها الأحوال التي تحدد متى نقلق ولماذا القلق وهل قلق القلقين مشروع أو متوهم؟ هذا هو الفارق بين الحالين.

إن من ينظر إلى واقع العالم العربي من حولنا يحس بكثير من الخوف على المستقبل للوطن كله، مهما حاول البعض من تقليل الأخطار ولاسيما في منطقة الخليج التي تتمتع باستقرار نسبي، مقارنة بما يحدث للدول العربية التي تحيط بالخليج، لا يمكن أن تكون دول الخليج بمنأى عما يحيط بها من مشكلات الدول المجاورة التي بلغت حداً بعيداً بالتفكك والفوضى والحروب الطاحنة على كل المستويات، حروب طائفية مقيتة وحروب قبلية في كل ناحية، وحروب إقليمية متطاحنة لم يعد هناك دولة تفرض سيادتها وأمنها على أرضها وسكانها، فقد حول الربيع العربي أغلب الدول التي أمطر عليها سحابه إلى فوضى عارمة في كل شيء، ونحن نرى ما يحدث فيها ونضع أيدينا على قلوبنا خوفاً وقلقاً عليهم وعلى مصير هذه الشعوب المنكوبة على أيدي بعض أبنائها قبل أعدائها.

في هذه الظروف هل من حقنا نحن في الجزيرة والخليج أن نشعر بشيء غير قليل من القلق؟ لأن هذا المحيط الهائج بالفتن والفوضى والاضطرابات يحيط بنا ويمتد على حدودنا ويؤثر في أمننا واستقرار منطقتنا ولا يمكن إلا أن نبحث عن سبيل يجنبنا ما وصل إليه حال من حولنا، وننظر في الأسباب التي ذهبت بهم جميعاً إلى ما ذهبوا إليه، ونعمل على تجنبها، وما ذلك إلا بالقضاء على عوامل الفرقة والشحناء

www.mtenback.com

والتنازع والاختلاف مهما كان مصدره ومهما كان مبرره؛ هذه الشحناء التي تغذى الوسط الاجتماعي بوسائل لا تبررها ولا تقبل بها مثل الاختلاف بالرأي والتصنيف الذي يطلق على هذه الجماعة أو تلك وإثارة النعرات النفعية والمصالح الشخصية، وقبل ذلك وبعده أن يشعر الساسة في الخليج أن اللحمة الوطنية والالتفاف حول شعوبهم والعدل فيهم هو السبيل الذي يجنبنا ما أصاب من حولنا[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2304، الخميس 17 جمادى الآخرة 1435هـ.

www.mtenback.com

مدارس الاستشراق لماذا اهتمت بنشر العامية والدعوة لها؟

قد يتجه ذهن القارئ عندما نتحدث عن مدارس الاستشراق إلى ذلك الاهتمام الواسع بثقافة العرب والمسلمين الذي عرف به عدد من علماء الغرب البارزين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، ذلك الاهتمام الذي اتجه بكل جوانبه إلى دراسة الثقافة العربية والإسلامية. وركز على جوانب معينة من تلك الثقافة وكانت نتيجته أن تخصص عدد من علماء الاستشراق تخصصا واعيا في علوم اللغة العربية واهتموا بتراثها الإسلامي حتى صار هذا الاهتمام اتجاهاً ثقافيا متميزاً، ولهذا الاحتمال نصيب.

لكن ما أريد الحديث عنه ليس الاستشراق بجملته، وليست مضاره ومنافعه – وكان فيه لا شك النافع والضار للثقافة العربية التي كانت ميدانه الواسع – لكن ما أريد الحديث عنه بهذه الكلمة المختصرة هو الاهتمام الكبير الذي خصصه الغربيون لدراسة العاميات الدارجة، حيث فتحوا المدارس من أجل هذا الغرض في أكثر من دولة من دول أوربا الشرقية والغربية على حد سواء. وركزوا برامج تلك المدارس على نشر العاميات في كل البلاد العربية منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي حتى يومنا هذا. واستمر هذا الاهتمام بالعاميات حتى أصَّلوا دراستها في نفوس عدد كبير من العرب الذين أخذوا بمبدإ الاهتمام بالعامية كثقافة إقليمية، وبدأوا بنشرها في بلادهم على نفس الأسلوب والمنهج الذي سارت عليه مدارس الاستشراق. وهذا الاهتمام يختلف عن الاهتمام بدراسة اللهجات كظاهرة لغوية وصوتية. هذا العلم الحديث لا علاقة له بنشر العامية الذي نتحدث عنه. إذ أن الاهتمام بالعاميات الدارجة كان جزءاً أساسياً من مهمة تلك المدارس وإن طغى فيما بعد ذلك اهتمام بعض كبار المستشرقين بالتراث الأصيل.

تأصيل العاميات.. لماذا؟

لقد حرصت مدارس الغرب الاستشراقية على نشر العاميات وحاولت محاولة جادة تأصيلها ومدها على حساب المساحة التي تحتلها الفصحى في البلاد العربية والإسلامية، وكان انتشار الأمية في بداية الأمر عاملا مساعداً ومشجعاً أطمع كثيراً منهم بزحزحة اللغة العربية – لغة الدين والرابطة القوية بين

www.mtenback.com

الشعوب الإسلامية – عن مكانها، لأن في البعد عنها بعدا عن مصدر المعرفة الإسلامية التي وجد الغرب آنذاك أن حجبها عن أجيال الأمة الإسلامية في غاية الأهمية له حتى يحقق ما يريد بعد ذلك. ولأن في نشر العاميات الدارجة بعدا عن مصدر القوة للأمة كلها، وإضعافا لقدرتها على المقاومة ووحدتها. وفيه أيضا سد لمسارب الاتصال الذاتي والأخذ المباشر الذي تتيحه اللغة العربية لكل فرد من أبناء العرب. وفيه أضعاف لوحدة الأمة وتفكيك أجزائها إلى أقاليم وأقطار لكل منها عاميته الخاصة التي سينعكس عليها اهتمامه وتصبح لأبنائه بمثابة الفصحى يكتبون وينشرون بها التراث الإقليمي الضيق.

مدارس الدراسات الشرقية:

وقد بدأ تأسيس هذه المدارس أول الأمر بالغرب وكانت الدول الأوروبية المصاقبة للعالم الإسلامي والعرب ذات سبق في هذا المضمار فمدرسة نابلى للدروس الشرقية بدأت عام 1727م وكانت تدرس العاميات وتركز على لهجات الشام ومصر لقرب هذين الأقليمين منها وللاتصال التجاري والسياسي الذي كان بينها. ثم قامت بعد ذلك في النمسا مدرسة القناصل في عام 1754م وكانت تدرس العاميات خاصة وتركز اهتمامها على الدارجة ويدرس فيها بصفة خاصة الرجال الذين يضطلعون بمهمات تتعلق بالشرق الإسلامي والعرب. ثم تبع ذلك تأسيس مدرسة اللغات الشرقية وذلك في عام 1851م في النمسا. وتعتبر هذه المدارس الأوربية من أسبق ما أسس في الغرب للاهتمام بشؤون الشرق ومحاولة للاطلاع على ثقافته. بعد ذلك سارت أغلب دول أوربا الغربية على هذا النهج وحاولت الانفتاح على ثقافة الشرق. ففي فرنسا بدأت مدرسة باريس للغات الشرقية الحية ودَرّس العاميات الدارجة فيها نخبة ممتازة من أساتذة عرب وفرنسيين، وألف لهذه المدرسة كتب في العاميات العربية على شكل رسائل وكتب مدرسية منها «الرسالة التامة في كلام العامة».

وفي ألمانيا وجد متخصصون في عاميات لبنان والشام ومصر. أما بريطانيا فقد أصرت على فتح فرع في جامعة لندن مع بداية القرن التاسع عشر ونشطت من خلال فرعها الاستشراقي في الاتصال بالشرق ودرّست فيه العاميات العربية وركزت اهتمامها على لهجات مصر. وعندما زار الأديب العربي المعروف أحمد فارس الشدياق لندن كتب لهذه المؤسسة كتابا عن العاميات سماه «أصول اللغة العربية

www.mtenback.com

المحكية» ونشرته الجامعة عام 1856م.

ولم يقتصر الاهتمام بالعاميات العربية على مدارس غرب أوربا الذي اتضحت مطامعه في الشرق في ذلك الوقت. لكن وجد هذا الاهتمام حتى في شرق أوربا. إذ بدأت مدرسة لازارف للغات الشرقية في روسيا القيصرية عام 1814م واستقدمت المدرسين العرب الذين كانوا يدرسون العاميات العربية بصفة خاصة. وقد ألف الأستاذ عياد الطنطاوي أحد مدرسي مدرسة لازارف أول كتاب في اللغة العامية عنوانه « أحسن النخب في معرفة لسان العرب» وكان هدف هذه المدارس مزدوجا وأغراضها متعددة. فأول أهدافها الاتصال المباشر بالناس وأسهل طرق الاتصال هذه هو الحديث بالعامية للسواد الأعظم من الناس حيث كانت الأمية منتشرة والقلة منهم هم الذين يستطيعون التعامل باللغة الفصحى.

أما الغرض الأهم فهو تأصيل النعرة القومية والقطرية والإقليمية التي تضعف رابطة الأقاليم العربية بعضها ببعض وتجعلها لا تشعر إلا بذاتها ومشاكلها دون الشعور العام بمشاكل الأمة. وقد تخرج في هذه المدارس الغربية أشهر دعاة العامية في الشرق حيث دربوا هناك ودرسوا ثم أرسلوا إلى مصر والشام وشمال أفريقيا للقيام بمهمة التبشير بالنهضة العربية التي تتخذ العامية لغة لها بدل الفصحى. وقد نجح هؤلاء الدعاة في بلبلة أفكار الأمة ونجحوا بالتشكيك بقدرة اللغة الفصحى على مواكبة الحياة. وأظهروا صعوبات اللغة الفصحى وضرورة تسهيلها أو دمج العاميات المحلية بها واستجاب لدعوتهم نخبة من فئات المجتمع، وظهرت صيحات الإصلاح في نحو العربية وأساليبها وغير ذلك مما هو معروف لمن له أدنى إطلاع على الثقافة الحديثة. ولم ينجحوا كل النجاح في هذه الدعوة لأنهم بعيدون عن العامية التي يدعون لها وغرباء على اللسان العربي العامي والفصيح لكن النجاح الكبير لهم كان نجاحهم في كسب قطاع من أبناء الأمة العربية يرون رأيهم ويؤيدون تأصيل فكرة العامية المحلية وضروة الاهتمام بها بجانب الفصحى. واستمروا يلحون على هذه الفكرة وينادون بها حتى كونوا جيلا من أبناء الأقاليم يحملون عنهم عبء مهمتهم الصعبة ويؤمنون بفكرة الإقليمية وأهمية التراث العامي الذي يمثل الإقليم أو المنطقة.

وبدأوا ينشرون ويدافعون عن العاميات الدارجة واستراح المشترقون بعد أن وجدوا من هو أقوى منهم وأقدر على أبراز فضيلة العامية من أبناء الأمة نفسها الذين لا يعوزهم. الجدل عنها.

www.mtenback.com

أما ما حدث من اهتمام المستشرقين بالتراث العربي الأصيل والفصيح من اللغة وما قاموا به من نشر لأمهات الكتب العربية والإسلامية، وتحقيق دواوين الشعراء الأوائل وتعميق الدراسات التاريخية وهو أمر لا ينكر فقد كان ذلك نتيجة غير مباشرة للأهداف الأولى التي تأسست مدارس الاستشراق من أجلها بعد أن تمخضت الأحداث عن وقوع العالم الإسلامي تحت سيطرة الغرب. وكان لابد من احتساب التراث العربي والفكر الإسلامي تراثا عالميا موروثا يجب الاهتمام به كجزء من التراث الإنساني العام. من هنا نشأ الاهتمام بالدراسات التاريخية لكنوز الشرق القديمة الروحية والثقافية على أساس أنها من الماضي وأنها صورة من صور التاريخ لا على أساس أنها حضارة حية معاصرة لها قوة في تاريخها وتجدد في حاضرها ولها صفة الاستمرار والخلود بصفتها لغة القرآن. وبهذا الاعتبار هاجمت مدارس الاستشراق والمستشرقون اللغة العربية الفصحى وبثت في نفوس أصحاب الثقافة الغربية من العرب والأميين وأشباه الأميين صعوبة العربية وعدم قدرتها على مسايرة الحياة الحديثة، ودعت كل قطر عربي إلى الاهتمام بعاميته الدارجة المحلية ولا زالت فكرة أن اللغة العربية الفصحى تاريخ وماض كامنة في أذهان المستشرقين وطلابهم، ولا زالت الدعوة إلى هجرها واستبدال العاميات بها قائمة تلبى وتنتشر في كل قطر عربي رغم ما تكشف من أخطارها ورغم ما عرف من أهداف كامنة وراء الدعوة إلى العامية.

إن حجب الثقافة العربية الإسلامية هدف من أهداف الغرب لن يحققه ما دامت اللغة الفصحى قائمة ولها سلطان في نفوس أهلها. وهو لذلك يعمل على هدمها وإحلال العاميات محلها تحت ستار الاهتمام بالتراث الشعبي، والموروث الشعبي، والأدب الشعبي[1].

(1) الحرس الوطني: العدد 29، رجب 1405هـ، أبريل 1985م.

www.mtenback.com

ما الذي حدث ولماذا؟

امتعض بعض الناس مما حدث في العيد من مظاهر غير معتادة وليست مما عرفه مجتمعنا وألفه الناس في مثل هذه المناسبات التي يجتمع فيها خلق كثير في مساحة محدودة من الأرض كالمتنزهات والشواطئ وأماكن اللقاء الاجتماعي المعتاد. وهؤلاء الممتعضون معذورون لأنهم يواجهون أمراً جديداً على ما اعتادوا وعلى ما ألفوا، وهم ينظرون إلى ذلك مقطوعاً عن سياقه الاجتماعي وطبيعة المؤثرات والمتغيرات في الحراك الاجتماعي، ولو نظروا إلى الأمر من زاويته الاجتماعية لما وجدوا ما يدعو للاستغراب والامتعاض، لأن طبيعة التجمعات الكثيرة للناس في أماكن محدودة وفي مناسبات حادثة كالعيد مثلاً أو الاحتفال بفوز فريق أو خسارته وحتى فيما يسر عامة الناس الذين يجدون في سرورهم أو حزنهم مشاركة كبيرة من قطاع من الناس؛ فيعبرون عن هذا أو ذاك في تجمعات لا تلبث أن تخرج بهم عن السيطرة إلى شكل من العبث والهيجان الذي يجر بعضه بعضاً دون ترتيب أو اتفاق على ما يظهر بعد ذلك من شكليات الخروج غير المرغوب فيه.

خرج الكتاب في الصحف والإعلام برؤية كثيرة تتوشح باللوم والاستغراب لما حدث وهم على حق في جانب، ولكن الذي غاب في رؤيتهم ولم يتعرض له أحد فيما اطلعت عليه هو الالتفات إلى المتغير الذي سكتنا عنه كثيراً؛ ذاك هو النموذج الذي يوجد في كل الدنيا ونتيجته واحدة، وهو حدوث مثل ما حدث في هذا العيد ذاك النموذج هو تكوّن المدن المليونية وطبيعة سكانها وشؤون الحياة فيها وقراءة مستقبل النمو الذي يجمع آلاف الناس في مساحة ضيقة، ومع إشارة واضحة إلى الماضي القريب كان التجمع في كل المناسبات تجمعا تضبطه في غالبه ضوابط العادة السائدة وتوجهه رغبات متفقة أو على جانب كبير من الاتفاق، ولهذا السبب لم يحدث ما حدث قبل أيام.

والخلاصة التي أريد الوصول إليها والقول بها هي أننا لا نقرأ المستقبل ولو كان قريباً قراءة تنبُّئية، ولا نهتم بالأمر حتى يحدث، وينقص ثقافتنا الاجتماعية دراسة الحالة ودراسة المتغيرات التي تحدث في مساحة شاسعة من القطاعات البشرية، وفي كل مرة نواجه التغير باللوم والتهديد، وكان الأجدي أن

www.mtenback.com

نستشرف ما يمكن أن نواجه من المتغيرات قبل حدوثها، وأمر ذلك لا يمكن إلا حين نعرف أننا جزء من العالم الذي نعيش فيه، وأن ما نعرفه عما حولنا من العالم يمكن أن يكون عندنا يوماً ما. وأن تكون نظرتنا وقراءتنا للواقع كما هو لا كما نود أن نراه أو ما اعتدنا رؤيته وعرفناه في زمن مختلف ورؤية ماضية.

سنواجه مثل ما حدث قبل أيام إلا إذا أعددنا دراسات ميدانية واعية ودراسات «سوسيولوجية» منظمة وتصورات للمشكلة؛ وقمنا بوضع الحلول المسبقة لما يمكن أن نواجه من مثل ما حدث[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2076، السبت 14 شوال 1430هـ.

www.mtenback.com

العراق بين حالين

راهن فريق من المثقفين العرب على مستقبل العراق بعد الغزو الأمريكي بأنه سيكون مستقبلاً ديمقراطياً آمناً مستقراً، وحجة هذا الفريق أن العراقيين أو النخب العراقية من كل الفئات والمذاهب والطوائف والأجناس قد لقيت من حكم الاستبداد ما انتهى بكثير منهم إلى الخروج واللجوء إلى أمريكا وأوروبا طمعاً في السلامة من تلك الزمرة التي حكمتهم بالقتل والظلم.

ولأن هذه النخب لقيت من عناء الاستبداد ما يجعلهم يكرهون كل صفة تؤدي إلى ذلك الحكم أو شيء من أساليبه، وأن من عاني من هذا الاستبداد لا يمكن إلا أن يكون في حسه وعقله وما يستطيع عمله ديمقراطيا يجعل الخلاص من كل أنواع الظلم هو التعلق بأهداب الديمقراطية والاحتكام إلى آلياتها التي عرفها أكثرهم في منفاهم وطالبوا أن يكون لهم وللعراق نصيب منها. وهذا في رأي الفريق الأول من المثقفين العرب ضمان يجعل أهل العراق بعد تحريره من قبضة صدام أكثر وعياً وعظة، وأن الديمقراطية هي الحل الوحيد الذي سيختاره هؤلاء الذين عاشوا ردحاً من الزمن في مواطن الديمقراطية واستعانوا بها لإنقاذهم مما هم به من بطش القوة وغشمة الظلم واستبداد القادر. ووجدوا بها من ينصرهم ويستجيب لمطلبهم ويعينهم على الخلاص المرتقب الذي نادوا به لأنفسهم وللعراقيين المستضعفين الذين لم تكن لهم وسائل الخروج والابتعاد.

وراهن الفريق الثاني من المثقفين العرب الذين يقرؤون الواقع العربي والتاريخي والسوسيولوجي والموروث المتراكم على أن العقل العربي أحادي النظرة وذاتي الحكم، لا يمكن أن يصل إلى مفهوم الديمقراطية ولا يقر آلياتها ولا يمكن أن يقبل بنتائجها ولو استعمل دلالاتها قولاً لا عملاً، وأن ما لقيته النخبة العراقية من ظلم الاستبداد وخروجهم هرباً منه لن يحولهم من كل إرث ذلك العقل الباطن الذي يتحكم فيهم، حتى ولو عانوا كل تلك المصائب والتجارب، وفي رأي هذا الفريق فإن الديمقراطية بشروطها الغربية لا يمكن أن يهضمها العقل العربي ولا المجتمع الذي يعود في إرثه الطويل إلى احترام الغلبة المطلقة والاحتكام إليها وليس إلى الديمقراطية الطارئة في حياته وعلى ثقافته.

www.mtenback.com

وكل فريق أدلى بحجته وانتظر وراهن على الزمن ليحكم بينهما، وقد أثبتت التجربة صواب رأي الفريق الثاني وها هو العراق اليوم ونخبه السياسية والثقافية تنسى ما لقيته من الاستبداد وما أنكرته من التسلط والقهر وتعود تمارس الأسلوب نفسه وترفض ما طالبت به عندما كانت خارج السلطة.

عاد العراق سيرته الأولى ليس بحكم الفرد المستبد، ولكن بحكم الجماعة والطائفة، والمصالح الأكثر استبداداً، عاد العراق من سلطة مستبدة إلى بلد بلا سلطة وها هو يبقى بلا حكومة أكثر من عام أو يزيد[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2122، السبت 18 رمضان 1431هـ.

www.mtenback.com

إعمار السعودية.. قول على قول

رغم حداثة عهد الناس بالقطاع الخاص والشركات المساهمة النظامية إلا أن الثقة في إداراتها التنفيذية كانت كبيرة، ويظهر أن السبب في هذه الثقة هي التجربة الجيدة في المؤسسات البنكية المساهمة التي حظيت منذ بدايتها قبل ثلاثين عاماً بضوابط جيدة ومراقبة صارمة، لم يحدث أن شكك الناس في تصرفات تلك الإدارات التنفيذية أو اتهموها باستغلال أموال المساهمين في غير مصلحة متحققة لهم. إلا أن طفرة الأسهم في السنوات الأربع الماضية التي جرّت معها جميع المواطنين بلا استثناء إلى هذه المساهمات، واتساع قاعدة الشركات المساهمة وتنوعها وتعدد أنشطتها والانهيار الرهيب الذي حدث في العام الماضي للأسهم جعل الحديث عن الشركات المساهمة وعن الأسهم هو حديث الناس كل الناس.

وكان آخر هذه المساهمات وأكبرها على الإطلاق هي شركات إعمار السعودية التي أسهم فيها عشرة ملايين مواطن أي جميع المواطنين السعوديين، العدد الذي لم تحظ به أي مساهمة في التاريخ لا قبلها ولا بعدها، وقد جمعت إعمار السعودية رأس مالها من جيب كل فرد، باعت المرأة مصاغها، واقترض المواطن محدود الدخل في سداد راتبه، ورهن العاطل أثاث منزله، واكتفى الفقير بوجبة واحدة ليدفع ثمن وجبتين مساهماً في إعمار السعودية. ولكن هذا المال الذي دفعه كل مواطن تدور حول مصارفه التساؤلات منذ اللحظة الأولى، وتأتي الإجابات ظنوناً وتخميناً حتى طالعتنا جريدة الوطن في عدد 2425 في 1428/5/4هـ وفي مقال للأستاذ الدكتور عبدالله الفوزان وهو الكاتب والخبير الاقتصادي المعروف الذي وضع النقاط على الحروف، وأظهر كيف صرفت أموال المساهمين، وإلى أين ذهبت، حيث ذهب ما يقارب نصف رأس المال المكتتب به لشراء أرض تضاعفت أربعة أضعاف قبل أن يبدأ العمل واختلف السعر اختلافاً لافتاً للنظر من خمسة عشر ريالاً للمتر إلى ستة وأربعين ريالاً، وبين السعرين ما يزيد عن ثلاثة أضعاف. والسؤال الذي ما زال كل مساهم ينتظر إجابة عنه لماذا تضاعفت مساحة الأرض أربعة أضعاف بهذه السرعة واقتطعت قيمتها من أموال المساهمين، كما يجب توضيح وجلاء لأسباب الفارق الكبير في الأسعار، وهل من حق الإدارة التنفيذية اتخاذ مثل هذا القرار في زيادة المساحة والسعر دون

www.mtenback.com

الرجوع إلى الجمعية العمومية للشركة، ولا سيما أن قيمة الأرض وحدها ذهبت بما يقارب نصف رأس المال الذي اكتتب به المساهمون. إن من حق كل مساهم مهما بلغ نصيبه من أسهم هذه الشركة سماع إيضاحات جلية عن هذا الغموض وبيان شفاف وتفصيل دقيق لتكون الشركات المساهمة موضع ثقة المساهم والمتابع لمسارها التنموي ولا سيما أننا في بداية الطريق في مثل هذه المساهمات العامة[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1958، السبت 1428/5/9هـ.

www.mtenback.com

رثاء ليلى الأخيلية

في أحد أيام هذا العام المبارك 1418هـ وفي مدينة الرياض العامرة انتقلت ليلى الأخيلية بنت عبدالله بن الرحال من مقرها الدائم المتفرع من شارع العروبة جنوباً وشمالاً إلى جوار ربها رحمها الله. حيث كانت تقف هناك بقامتها الهيفاء مشمخرة هائمة تختلس النظر إلى الجميلات العابرات من حولها يقطعن الطريق إلى العقارية، وهنَّ مبرقعات فتحسبهن يقلدنها ويثرن غضب توبة بن الحميّر حين ينشدها:

وكنت إذا ما زرت ليلى تبرقعت

فقد رابني منها الغداة سفورها

وقد رابني منها صدود رأيته

واعراضها عن حاجتي وبسورها

وقفت تهيم في سماء نجد الصافية وترنو متطلعة إلى الأفق البعيد وكأنها تنتظر توبة غازياً أو عائداً من غزو لتنشده:

وتوبة أحيا من فتاة حيّية

وأجرأ من ليث بخفان خادر

تقف ليلى على مفترق العروبة تشير إلى جانبي الطريق وكأنها ترد السلام إلى صاحبها حين تخيلها ودونه جندل وصفائح فقال:

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلمت

عليَّ ودوني جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أوزقا

إليها صدى من جانب القبر صائح

كنت في كل مرة أعبر هذا الشارع أقف إجلالاً للذكر العطر وأشعر بعظمة تاريخ هذه الأرض وقدرتها

www.mtenback.com

على إنجاب الخالدين من رجال ونساء، وأترنم ببعض شوارد أبيات ليلى في توبة بن الحمير الخفاجي وفيما يرد عليها أو ما يبثها من شوق وحب بادلته مثله بصفاء العربية السامية حتى أصبحت سيرتها صورة من صور الوفاء وقطعة جميلة من عبق التاريخ وبقية من التراث الذي سجلته المرأة العربية في أخلاقها وفي علائقها مع الناس ومع الواقع الاجتماعي والأدبي.

كانت ليلى الأخيلية مثالاً لشجاعة المرأة الأدبية حين أفصحت عن خلجات فؤادها، وجسدت بشعرها العاطفي طهر العلاقة وارتقت بها إلى مكان رفيع سما بها إلى الندية القوية الظاهرة غير الخفية فعبرت عن عاطفتها باستقلال الإرادة وصدق الشعور وتجاوزت الوصاية حتى لا تكون هي الرادع من الخروج عمّا يألفه المجتمع ويحترمه في التعامل بين الطرفين. كانت الثقة المزروعة في النفس والمركزة في جرعات التربية الصالحة والثبات في الشخصية واستقلال الإرادة أمام الآخر هي الحصن الذي يحمي أخلاق العربية المسلمة، ويقدس العادات الاجتماعية المرعية في بيئة تتنفس الغيرة والحرص على الكرامة للرجل والمرأة. هذا شأن ليلى عندما تأججت عاطفتها وغلبها ميلها البشري إلى الجنس الآخر فلم تقبل أن تضع هذه العلاقة الإنسانية تحت غطاء المخادعة ولا رضيت لها أن تكون في ظلام السرّ لكنها وضعتها تحت ضوء الشمس واختارت من البيان ما لا يمس خلقها أو ينال من حشمتها، ولا خيار لها إلا ما اختارت لأنها لا تستطيع إلغاء ذاتها ولا دمجها في الآخر، وهي امرأة تحمل في تركيب طبعها وما جبلت عليه ميلاً فطرياً لا مجال لمحوه من حياة المرأة ولا من حياة الرجل. فتجاوزت بالعلاقة صورتها المادية إلى روحانية أضفت عليها سمو الحب وطهره. ومن حسن حظها وحسن حظ الإرث العربي الجميل أنها وهبت ملكة الشعر وأعطيت نصيباً من حسن القول لتعيش مع العصور في طهرها وشعرها وتسعد الأجيال حين قدمت المثل المقبول وجعلت خلجات الحب النابض في عواطفنا لغة حب دائم وشعراً يمجد الخصال المحبوبة ويجسد أوصاف المروءة التي تريد أن تجدها المرأة عند الرجل، تصور حبه وشعوره نحوها فلا ينفك يتردد مثل ليلى وتوبة في كل عصر وفي كل جيل فلا تذكر ليلى إلا كان توبة معها ينشدها:

عفا الله عنها هل أبيتنَّ ليلة

من الدهر لا يسري إليَّ خيالها

www.mtenback.com

فيأتي الصدى رجعاً قوياً يتردد على الألسن طرياً جديداً حياً:

وعنه عفار ربي وأحسن حاله

فعزت علينا حاجة لا ينالها

ولا تذهبن بكم الظنون بعيداً في معنى تلك الحاجة فتوبة ينشدنا وهم يقسم لنا صداقاً:

عليَّ دماء البدن إن كان زوجها

يرى لي ذنباً غير أني أزورها

وإني إذا ما زرتها قلت يا اسلمي

فهل كان في قولي اسلمي ما يضيرها

لا والله ليس في ذلك ما يضيرها يا ابن الحميّر وكيف تطلب ما يضير وهي التي تسد عليك طرق الوصول إلى ما يضيرها وتلقنك درساً في الوفاء والإباء عندما تخاطبك بلغة الواثق المطمئن.

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها

فليس إليها ما حييت سبيل

لنا صاحب لا يرتضي أن نخونه

وأنت لأخرى صاحب وخليل

تخالك تهوى غيرها فكأنها

لها من تظنيها علىك دليل

ذلك بعض ما أحل ليلى الأخيلية مكانها الجميل في الوعي العربي وأحلّها مكانها الراقي في حي جميل في مدينة الرياض كجمال الحب الطاهر الذي حفظته وغنت له ثم غنَّته الأجيال بعدها، ورددت صداه الأبدي في أنفة العربي ابن هذه الصحراء. لم يكن اختيارها وإعادتها للذاكرة وإحياؤها إلا تعشقاً للمروءة وتجسيداً للعفاف الذي تنبته أرض الجزيرة وتغذوه أخلاقها وقيمها الخالدة.

ويتكرر الوفاء في النفوس الحية والأحاسيس الأدبية، إلا أن انتقالها السريع وغيابها المفاجئ أحدث رنة الأسى وأوجد الرثاء.

www.mtenback.com

ليت هذه الجميلة الشاعرة عندما داهمها الخطر وأحست باقتراب القدر أدركت أنها تعيش اليوم في عصر كعصرها – عصر الدولة العربية الأموية – فلجأت إلى أمير أموي الطلعة شامخ الإرادة يرعى شيم العروبة التي عرفتها في عظماء بني أمية، ليتها عرفت أن سلمان بن عبدالعزيز هو أمير نجد فأنشدته ما كانت تنشد بعض ولاة بني أمية وقالت فيه مثلما كانت تقول في أسلافه العرب:

فتى كانت الدنيا تهون بأسرها

عليه ولا ينفك جم التصرف

ينال عليات الأمور بهونه

إذا هي أعيت كل خرق مشرف

أو أحلت اسمه مكان غيره فخاطبته خطابها البليغ وأنشدته مدائحها الرائعة في أمثاله من الولاة العظماء حتى لا تموت وهي في ريعان الشباب، وحتى تعرف أن جزيرة العرب عادت كما عهدتها لدورها في التاريخ وقيادتها للعرب.

وفي النهاية فعزاؤنا للصديق العزيز عبدالله البراهيم الرائع في أدبه وحبه حين اختار جوارها ودلني أول مرة على مكانها في الرياض وأخبرني أن الطريق إليه يمر عبر ليلى الأخيلية الشاعرة الجميلة. أما علامة الجزيرة عمنا الضخم حمد الجاسر الذي يمد ذراعه إلى خصرها ويدنو منها ويعاكسها ويدور حولها في غدوه ورواحه فلا يكفيه العزاء بها وما أظنه إلا وقد جعل عدداً خاصاً من مجلة العرب لبنت العرب بكاء عليها ورثاءً حاراً لغيابها من جواره وانتقالها من حيّه سينشد مع غيلان كلما مرَّ من هناك:

على أنَّ أدنى العهد بيني وبينها

تَقَادمَ إلا أن يزورَ خيالها

أو يستعير شعر توبة حين

منع منها:

فإن تمنعوا ليلى وحسن حديثها

فلن تمنعوا مني البكا والقوافيا

www.mtenback.com

وهلاّ منعتم إذ منعتم كلامها

خيالاً يوافيني على النأي هاديا

تلك صورة لعقائل العرب وكرائمهم الخالدات نريدها أن تعيش معنا وتزاحم حياتنا الحاضرة، ورحم الله ليلى في موتتها الأخيرة ورحمها في موتتها الأولى، وإنا لله وإنا إليه راجعون[1].

حسن ظاظا في المقام والرحيل

لا شك أن رحيل الأستاذ الكبير حسن ظاظا رحمه الله يستحق الحديث الطويل، فقد رحل عن هذه الدنيا الفانية إلى دار الآخرة. وهو أحد رموز الفكر العربي الواعي، بل هو أحد القليلين الذين جمعوا ثقافة موسوعية عظيمة، كان متعدد المشارب واسع الثقافة، لا تستطيع أن تصنفه متخصصاً في علم من العلوم، بل لا تكاد تطرح علماً إلا ووجدت لديه معرفة واعية وشاملة للموضوع الذي يطرح أو يدور الحديث فيه: في الفكر الصهيوني واليهودي وفي التاريخ القديم الروماني واليوناني في حياة أوروبا في العصور الوسطى والعصر الحديث. كان ظاظا قد عاش منذ الحرب العالمية الثانية في مدينة النور باريس، وفي معممة أحداث الدنيا هو شاب متوقد الذكاء حفاظ لما يقرأ ويسمع، أكسبه وجوده في الغرب وفي فرنسا بالذات وعياً شمولياً بثقافة الماضي والحاضر، وقدرة على تنظيم معارفه والاستفادة من معطيات الحياة الغربية مع صلته بالثقافة العربية الإسلامية، أما تخصصه في الأديان والتراث البشري القديم ومعرفته عدد من اللغات القديمة والمعاصرة فحدث عنه ولا حرج، والأهم من ذلك كله أنه أعطى قدرة على الحديث السهل على عرض هذه المعلومات والمعارف بشكل عفوي وهو مع ذلك فهو شاعر حاضر البديهة وله شعر

(1) اليمامة: العدد 1493، السبت 17 شوال 1418هـ.

www.mtenback.com

جميل كان يلقيه على جلسائه في مجالسه الخاصة ولا أظنه دون منه شيئاً إلا البهلول وهو عمل ملحمي زاخر بالأحداث التاريخية والمعاصرة وعسى أن يكون مركز الملك لافيصل قد قام بتسجيل ذلك وحفظه. وأنا بهذه المناسبة أهيب بمن يستطيع أن يفعل شيئاً من أجل حفظ تراث حسن ظاظا الشعري أن يفعل، وأرجو من الذين يتولون أمر أوراقه أن يحرصوا كل الحرص على ما يقع تحت أيديهم من أوراق قد لا يكون لها من التنظيم ما يجعلها ذات شكل مهم ولكنها على أي حال تحمل من المعارف والعلوم ما كان الدكتور حسن ظاظا يلقيه إما على جلسائه أو ما يسجله في مذكراته الصغيرة الخاصة التي كان يحملها في جيبه في كثير من الأحيان، لقد كان من مصادر معرفة حسن ظاظا غير الدراسة وحياته في فرنسا تلك الرحلة الطويلة في الوطن العربي إذ ساح في الوطن العربي كله أستاذا في الجامعات العربية في مصر والمغرب العربي وفي العراق والشام، ثم استقر به المقام منذ عشرين عاماً في الجزيرة العربية. ولا شك أن قراء الصحف السعودية كانوا يقرؤونه في كشكوله الذي يكتبه في جريدة «الرياض» منذ فترة طويلة، وكانت جامعة الملك سعود هي الجامعة التي حط فيها رحاله في آخر الأمر، وكنا نحن طلابه فيها وزملاءه، وقد استمر بها حتى بلغ السبعين، عندما أصبحت تدب الشيخوخة في أطرافه، كان الرجل صلب العود قوي العزيمة ومع ذلك فقد اضطرت الجامعة للاعتذار له، ولكنه وقد وطد صلاته بهذا المجتمع الطيب الأليف الذي يعرف لأهل الفضل فضلهم فلم يزهد به أحد، وسرعان ما احتضنته مؤسسة علمية أخرى، واستفادت منه، تلك هي مؤسسة الملك فيصل الخيرية ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، فانضم إليها باحثاً متميزاً في هذا المركز العلمي المتميز، لكن أمراض الشيخوخة والعجز ظهرا بقوة في السنوات الأخيرة.

راشد المبارك وصورة من الوفاء:

بدأ الضعف يدب في جسد الدكتور ظاظا وهو يعيش وحيداً في شقة نزلها منذ قدم الرياض وبدأت الأمراض تلامس أطرافه ولم يسلم منها إلا ذهنه وعقله الذي لم تصبه الشيخوخة بأذى، وقد كانت أيامه الأخيرة بل أعوامه الثلاثة الماضية قاسية جمعت عليه الوحدة والمرض والبعد عن أهله والغربة، وتخلى عنه أكثر من يعرفه في الرياض، وأصبح وحيدا إلا من بعض الزوار القلائل الذين يزورونه الفينة، بعد

www.mtenback.com

الفينة لكن الاستثناء من كل الأصدقاء والمعارف كانت صداقة راشد الذي كان أقل الناس صلة به يوم كان لا يحتاج إلى أحد، وكانت صلة الأدب والعلم هي الرابط بينهما حين كان الدكتور ظاظا أحد محاضري الأحدية وروادها، ومنها ارتبط راشد المبارك به علمياً وثقافيا، أما عندما هده المرض وأعجزته الشيخوخة وتخلى عنه الأصدقاء فقد صار راشد المبارك صديقه، بل ابنه البار به يرعاه ويشفق عليه ويحفظ له ما أضاعه الناس، كانت أول محاولة من راشد أن ينتقل حسن ظاظا إلى منزله وأن يعد له مكاناً فيه يرعاه كما يرعى الأبناء آباءهم، وعندما رفض هذا العرض الأخوي، عز عليه أن يرى رجلاً في حجم حسن ظاظا علماً وفكراً وحيداً عاجزاً عن خدمة نفسه معرضاً للموت في أي لحظة لكن كان امتناعه أقوى من إلحاح راشد.

فلم يعدم راشد وسيلة يحقق فيها رغبته ومروءته ويحفظ لصديقه كرامته، فجعل نفسه وأهل بيته يرعونه من بعيد فالسيارة تأتي به إلى منزل راشد أكثر الأيام يحضر فيها عند الظهر ولا ينصرف إلا في المساء. وأيام العطل كان يحضر إلى المنزل، أما إذا لم يحضر لأمر يعود إليه أو لامتناعه. فإن الخدمة تنتقل إليه وقد صار بعض العاملين في منزل راشد مسئولين عنه وكان الجميع يطمئنون عليه بالهاتف ويسألون عن صحته ويتعهدونه، ومع أن راشداً كثير الأسفار فقد كانت فهيمة الجبر ولا أريد أن أحجبها خلف الألقاب قد تعودت البر والوفاء فرعته واهتمت به في غياب زوجها وكلفت بساماً وإخوانه للقيام بالواجب. وفي مرضه الأخير كان راشد في رحلة، وعندما حاول الاتصال به ولم يجده في منزله وهو يعلم مرضه وضعفه عجل بالعودة ووجده قد أدخل المستشفى، وقد أخبرني بمرضه وتكرم علي لأقوم بزيارته في أيامه الأخيرة. إنها كلمة وفاء لم أستأذن أخي أبا بسام فيها، وأرجو ألا يغب علي بذكر أشياء أعرف أنه يزهد بها ولا يريد لها نشراً لكنني ذكرتها لأن الوفاء الذي جبل عليه أهل هذه الأرض الطيبة يجب أن يذكر لا لمن فعله ولكن لمن يقتدي به، وهناك إخوان لهم حق الذكر وهم الأستاذ راضي جودة والدكتور أسامة قرشي من مصر، أما الدكتور الصديق فيصل عبدالله القصيمي فقد اهتم به في مرضه ورعاه في المستشفى حين نقله إليه وأحسن له أحسن الله إليه وجزاه خيراً[1].

(1) اليمامة: العدد 1958، السبت.

www.mtenback.com

ابن تنباك رافضا ثقافة الضد: شعبي وفصيح لامة واحدة انفصام وجنون

ما هي الثقافة؟ حدودها وما هيتها؟ وهل الثقافة عموم أو خصوص؟ اطلاق أو قيد؟ كل أو تجزئة؟ بهذه المقدمة بدأ الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك محاضرته مساء أمس الأول بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالرياض مشيراً إلى أن الثقافة هي ما يصنعه الإنسان في البيئة أو أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يصنع الثقافة. وعلى هذا الأساس أخذت الثقافة بعداً معرفيا يصف المثقف بعد اكتمال آلته الثقافية ويصف الثقافة في مراحلها الأخيرة ونتائجها المؤثرة في أحوالها ومتطلباتها وما تحتاج إليه طبيعتها، مؤكدا أن المثقف في نهاية المطاف يوصف بأنه «ثابت المعرفة بما يحتاج إليه. والثقافة هي تهذيب العقل والذوق والسلوك بالتربية والتعليم، وهي ما يبقى بعد أن ينسى كل شيء». وقد لخص أحد الباحثين كل ما تقدم من تعريف للثقافة في نقاط محددة فقال: إنها تفتح في العقل، ووعي في القلب، وارهاف في الشعور، واستقامة في السلوك، وحذق في الأشياء علما وعملا. وقد صارت الثقافة تعبيراً عن التكوين الفكري عموما وعن التقدم المعرفي للشخص خاصة وعما يتطلبه ذلك من عمل وما ينتج عنه من تطبيقات، ثم تطورت فاصبحت تدل على التقدم الفكري الذي يحصل عليه الشخص أو المجموعات الإنسانية بصفة عامة ثم انتقل المحاضر إلى ما ترددده الألسنة عن الثقافة الشعبية والفصحى الذي بدأ يأخذ محورا شكليا وبعداً اجتماعياً وفكرياً يحدد الدلالة الخاصة لهذين الفهمين حتى ظهر وكان الأمر يسلك طريقين متوازيين لا يلتقيان قائلا: فنحن نتحدث عن الثقافة الشعبية ونتحدث عن الثقافة العربية أو الثقافة الفصحى بفهم ثنائي في أذهاننا خاص بنا، وقد بدأت وسائل التثقيف العامة تكرس مفهوم الثقافة الضد وتدفعه إلى منطقة الوعي الذاتي لأجيال الأمة بعيداً عن حقيقته وعن صلته بالثقافة الأخرى. فعندما نتحدث عن الثقافة الفصحى أو الشعبية، وكأننا نجعل لهذه حيزا ولتلك آخر، نتحدث عن الثقافة ضد الثقافة ونكون بهذه الضدية وعيا ثقافيا مزدوجا غير آخذين بحسباننا طبيعة الثقافة وشمولها للنشاط الإنساني كله. أن ما نردد في مجالسنا وما تلوكه صحافتنا من وجود ثقافة عامية أو شعبية كما نسميها وثقافة عربية فصحى أمر يثير السؤال التالي: هل نستطيع أن نحكم أو نفهم أن الثقافة الشعبية شيء مختلف عن الثقافة العربية الفصحى؟ ويجيب المحاضر

www.mtenback.com

على السؤال بقوله:

ما يظهر من أدبيات طرحنا المحلي الحاضر يدل على أننا نفهم انهما شيئان متضادان ومختلفان، والدليل على هذا الفهم أن لدينا فئة تحسب نفسها على الثقافة الشعبية، تنتصر لها وتنطوي في ظلها وتدافع عنها وتلتزم بأسس هذه الثقافة وأدبياتها، فيولد لديها هذا الالتزام موقفا ضديا من الثقافة الأخرى، حين تحاول أن تميز الثقافة الشعبية عن الثقاة العربية الفصحى وتقيم المقارنة بين ثقافتين وأدبين وفكرين وتبين اختلاف الوجهتين، وتحشد لآرائها ومنطلقاتها الجدلية أكثر الحجج قوة وأكثرها أثرا وأعلاها إقناعا، زاعمة أن الشعبية أهم وأقوى وأقدر وأقرب، وأن الثقافة الفصحى فيها عكس ذلك من الصفات والمثالب. وهذا الموقف الملتزم استوجب الرد بالمثل فقامت فئة أخرى مقابلة تصف الأدب الشعبي والثقافة الشعبية بأنها سقوط وانحدار بالذوق والفكر، وانه انحراف عن الثقافة الفصحى غير مقبول، وانه ضار غير نافع مؤثر في التكوين الذهني مثبط للهمم والعزائم لسهولته وقدرة العامية والخاصة عليه، فهو في رأيها مبتذل مباح لمن يعرفه ويحسنه ولمن لا يعرفه ولا يحسنه، وقد بلغ من الأسفاف أشده ومن القول أرذله وأقبحه.

ويضيف د. ابن تنباك: هذا وصف الحال لما هو موجود في الساحة الثقافية واظنكم تتفقون معي بأنه النمط الذي نردده ونراه في كل وسائل الإعلام والمكتوبة والمرئية والمسموعة، ولا أظن أحدا يخالفني هذا الرأي أو يزعم غير ما زعمت.

فأين الحقيقة؟ وفي أي جانب تكون أو يكون أكثرها قربا إلى واقعنا الثقافي؟

إن الثقافة العامة للأمة الواحدة لا يتحقق فيها الازدواج ولا الثنائية التي قد توجد في غير الثقافة. الثقافة العامة هي أحاسيس الناس وأفكارهم وخطرات نفوسهم، وهي تكامل واتصال واحتواء للنشاط البشري كله، وهي لا تقبل الضدية ولا تقبل التحيز إلى شكل منها دون غيره ولا الانتماء الجزئي، الثقافة العامة للامة أمثلها بالدوحة الظليلة والشجرة الوارفة التي تنشر أغصانها وتتهدل حول صلبها وقد يكون منها أحراش ونباتات ضعيفة تعيش بجانبها وتتسع باتساع الشجرة وتقوى بقوتها، وكلما كانت الشجرة قوية سامقة جذبت إلى قوتها وسموها الأغصان والاحراش القادرة على السمو والحياة فضمتها إليها وجعلتها منها وتجاوزت الضعيف من الأحراش والنباتات التي لا تقوى على الحياة، الثقافة هي هذه الشجرة بأصلها وما يتعلق بها

www.mtenback.com

وما يحيطها وما ينعشها حتى لو كان شيئاً غير محسوس. وطبيعة الثقافة أنها نمو صاعد ورقى مستمر وتغير دائم تصهر ما حولها وتشكله بشكلها، فيكسب الضعيف منها قوة والقصير طولا والهابط علواً والنازل ارتقاء. وهي لا تقبل الثنائية ولا التجزئة. وإذا كانت وسائل التثقيف العامة قد بدأت تفرض على وعينا الجمعي اختلافا ضديا في محصلة الثقافة الشاملة، فسمت بعضها شعبياً، وبعضها الآخر فصيحا، وركزت على هذه التسمية والتفرقة، ووسعت دائرة التقسيم، فإنها تفعل خطأ وتجهل ماهية الثقافة الواحدة الموحدة للأمة، وتجهل طبيعة النمو والوعي الثقافي والتغير، والتدرج الطبيعي الذي ينتهي بالناتج الفكري إلى خلاصة الثقافة العامة وضروراتهاحيث تبدأ الثقافة في أدنى مراحلها المعرفية اليومية بالمشترك الذي يدركه كل الأسوياء من الناس بحظوظ متفاوتة كتفاوت الناس في المدرك العادي ثم تبدأ بالصعود والتدرج إلى أن تصل بالمثقف إلى الوعي الصحيح التام لقضايا الأمة والحياة عامة وهموم المجتمع الذييعيش فيه المثقف حتى يستجيب بشعوره ووعيه لثقافة نموذجية موجهة مؤثرة تدفعه إلى مشاركة فاعلة في خلق الثقافة ذات البعد الرأسي وتبرز جهده فيها وتميزه فيما يضيف إليها. وإذا نظرنا إلى الثقافة على أنها كلية تقوم على تكامل يجعل من الفعاليات البشرية آلية مناسبة لأغراض الأمة ولأهدافها، عندئذ يصبح من العبث ومن غير الجائز تفتيت الثقافة وتقزيمها وتوزيع تخصصاتها وأغراضها وتعدد مسمياتها لكي تصبح ضيقة مخلخلة البنيان غير قادرة على احتواء وعي الأمة ونشاطها الذهني.

أن الثقافة تبدأ بقاعدة عريضة من الموروث العام الشامل وتختار منه ما يصلح للنمو وترتقي بما اختارت إلى القمة، وطبيعة الحياة أن تسمو وترتقي، وطبيعة الثقافة كطبيعة الحياة وبين قمة الثقافة وقاعدتها تقع الإشكالية التي نتحدث عنها. أي الشعبية والفصحى. فالثقافة التي نطلق عليها الشعبية قاعدة عريضة، والثقافة الفصحى قمة شامخة والذين يحاولون فصل القمة عن القاعدة يخطئون كخطأ الذين يسمون هذه شعبية وهذه فصحى. أنها ثقافة عربية واحدة وكم من أديب بدأ بما يسمى الثقافة الشعبية فسما بنفسه وسمت به ثقافته إلى القمة فأصبح علما من أعلام الثقافة العربية الأصيلة، وسبب رقيه ونجاحه أنه عد فرعي الثقافية شيئاً واحداً وصار الترقي بسلمه هدفه وديدنه حتى أوصله إلى القمة دون الشعور بالاختلاف أو التعصب لشيء منها، وسأضرب لكم مثالين اثنين في كلا شطري الثقافة أحد المثالين الشاعر محمد بن

www.mtenback.com

عثيمين شاعر النهضة في وسط جزيرة العرب، هذا الرجل بدأ بالشعر العامي ونظمه وأحسن نظمه وسار فيه مشوارا من عمره ليس قصيراً حتى بلغ الخمسين وعند هذه السن وصل ثقافته الشعبية بالفصحى لسان شعره، وقد خلده سموه بثقافته وخلد آثاره وشعره، ولو عاش ابن عثيمين في عصر كعصرنا يقسم الثقافة إلى فصحى وعامية، وفي مجتمع كمجتمعنا يتعصب لهذه أو لتلك لبقي في محيط عاميته لم يتجاوزها ولم يبرح ميدانها الضيق ولم يشارك قومه وأمته ثقافة عربية خالدة، يقرؤوه فيها العرب في كل مكان. فانتقاله من قاعده الثقافة إلى قمتها جعله يطلع على مساحة أوسع من الوطن ومكانة أرحب من الأقليم فعاش شاعرا عربيا وبقي ذكرى خالدة للأجيال. أما المثال الثاني فهو الأديب المؤرخ الشاعر محمد بن بليهد، هذا الرجل عاش يجوب مرابع القبائل العربية في الجزيرة نجدها وحجازها وتنبهت ملكة الأدب لديه مبكرا ولم يستطع في حياته الأولى ومجتمعه الأمي أن يمارس غير الممكن في تلك البيئة ومع تلك الظروف وهو أدب القاعدة أو الشعبي كما نسميه اليوم فأحسنه وأجاده وبارى شعراءه ولكنه لم يقع في مازق التصنيف لنفسه أو التحيز لفنه، وقد وجد نفسه قادراً على ممارسة الأدب وإنتاج الثقافة. فلما استقر به الحال وجد القدرة على التدرج بملكته الشعرية وموهبته ممكنا سهلا فانتقل من القاعدة التي كان يمارس فيها جزءا من الثقافة إلى القمة التي يمارس فيها كل الثقافة. هنا جعل الثقافة التي نصفها اليوم ونسميها الشعبية هي وسيلته إلى الثقافة الكاملة ثقافة اللغة العربية فصار مسيره طبيعيا من قاعدة الثقافة إلى قمتها، ارتقى بيسر وسهولة من محطة من محطات الثقافة إلى محطة أخرى على الطريق الصحيح ولم يجد حرجا بل لم يشعر أنه يمارس فن القول في ثقافتين مختلفتين فمشى بخطوات التطور والتجاوز وارتفع إلى القمة وهو يصعد سلما واحدا هو سلم الثقافة. وأنا أزعم أن أكثر من يصنف نفسه شاعرا عامياً أو شعبيا في الحاضر ويلتزم هذا التصنيف كان باستطاعته أن يكون شاعرا عربيا فصيحا وكان بإمكانه أن يرتقي في سلم الثقافة إلى الفصحى فيصبح شاعرا يشار إليه بالبنان في كلتا الحالين، وما منعه من تطوير فنه والنهوض بقدراته إلا التصنيف الذي فرضناه على ثقافتنا فجعلناها صنفين وشكلين، صنفا اسميناه العامية أو الشعبية وتوجه له فريق منا وبدأ يمارس فيه أدب العامة وينافح ويرى ما سواه قاصرا وصنفا أسميناه الفصحى فخفناه وخشينا الاقتراب منه ولم نحاول حتى مجرد المحاولة أن نجرب السير فيه. فعلنا بثقافتنا الواحدة ما لم يفعله غيرنا

www.mtenback.com

فشتتنا الجهود وفرقنا الآراء وخلقنا صراعا وهميا لا مبرر له في قضية واحدة لا تقبل التجزئة.

لقد ظهرت قبل سنوات فئة تصنف الأدب وتقسمه وتحاسب الشعراء والكتاب وتحاكمهم فوقفت منها ومن تصنيفاتها موقفا تعرفونه على الرغم من أن شعوري يتعاطف مع المعلن من آرائهم وأفكارهم لكن الحق أحق أن يتبع. أما الموقف من تصنيف الثقافة الواحدة فهو أشد وأقوى ولا يمكن أن نهادنه أو نسايره أو نجري معه، لأنه موقف يتناول أسس تكوين الهوية الشخصية والنفسية للأمة وتشكلها وهو في نتائجه بغي يراد بنا فلا بد أن نبين أبعاده ونحاول تصحيح مساره.

وتناول د. مرزوق الثقافة العالمية نحو العولمة فقال: إن الثقافة العربية ثقافة واحدة لها مستويات تتدرج من القمة إلى القاعدة. وما نفعله في بعض تصرفاتنا هو محاولة لقلب القاعدة المعروفة في البناء الثقافي، فالقاعدة يجب أن تكون قاعدة في مساحتها وامتدادها والقمة يجب أن تسمو وترتفع ولا يمكن وضع القمة أو القاعدة في مستوى واحد.

إن العالم يواجهنا بثقافة العولمة – ونحن نواجهه بازدواج الثقافة، والعولمة كلمة شديدة الالهام مملوءة غرابة تحمل خادعة ومعنى غامضا مثل غموض أهدافها، لكنها ولا شك نصر للثقافة والحضارة الغربية. وكل ثقافة أو حضارة غيرها ستكون مجالا لطغيان ثقافة العولمة وستكشف الأيام أبعادها على الرغم من أنها لا زالت شديدة الابهام، إلا أننا نعرف قدرة الغرب على استعمال أدبيات اللغة إذ كانوا في الماضي يسمون احتلال الأرض واستعباد البشر أعمارا وهو اسم جميل لعمل قبيح وكانوا يسمون القهر بالقوة لسكان الأرض الأصليين انتدابا وهي لغة غامضة مبهمة مثل ما هو غامض ومبهم معنى العولمة اليوم.

وأضاف: أن العولمة استسلاب جديد لثقافات الأمم غير الغربية ومسخ حتى لثقافات الدول الغربية غير الناطقة بالانجليزية التي بدأت تشعر بالخوف على ثقافتها. وهذه فرنسا وهي الأقوى والأقدر بدأت تبحث عن مصدات ودفاعات تحافظ على ثقافتها من الذوبان بثقافة العولمة أضربها مثلا وأكتفي بها.

فقد جمعت أمرها قبل أيام قلائل وأعلنت اتحادها الفرانكفوني واختارت لهذا الاتحادرجلا مجربا معروفا مخلصا للثقافة الفرنسية وهو بطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة وأقامت مؤتمرها الذي نصبت فيه غالبي في شرق آسيا. يجمع هذا الاتحاد الدول ذات الثقافة الفرنسية أو المتأثرة بالفرانكفونية

www.mtenback.com

كما يسمونها. وفرنسا قطب مشارك في العولمة ولكنها تخشى ألا يكون نصيبها الثقافي منها مثل نصيب الناطقين بالإنجليزية والثقافة الإنجليزية. لأن ثقافة العولمة تقودها أمريكا الناطقة بهذه الحلقة وهي التي تتبنى هذه الثقافة وتنشرها وستحطم كل الثقافات الأخرى وتحجم نشاطها.

وأمام هذا الحال بدأ العالم كله يحصن دفاعاته حول ثقافاته المحلية ويتمسك بشخصيته الثقافية، فهل نفعل مثلما يفعل العالم ونتمسك بثقافتنا الموحدة نحصنها، أو نواجه ثقافة العولمة بثقافتين مزدوجتين فنكون الضحية لينة المضغ سهلة الابتلاع، إننا ندعو كل مخلص لثقافته وميراث قومه وشخصيته العربية إلى نبذ التفريق والتحيز لشكل من الثقافة دون آخر وأدعو كل مخلص لعروبته وثقافة أمته بالتمسك بحب الثقافة العربية وبحب اللسان العربي والإيمان بأننا أصحاب رسالة وأصحاب تاريخ يجب أن نحافظ عليه ونحترمه وندافع عن ثوابته وقيمه الخالده.

واختتم المحاضر طرحه المتألق بقوله: دعوني أكون كعادتي مؤذنا لنفسي محبا لكم فأقول: أن من يقرون ثقافتين شعبية وفصحى لأمة واحدة، طيبون مخدوعون بالأسماء والاهواء، الثقافة شخصية كاملة وهوية والشخصية لا يمكن تعددها إلا في حالة الانفصام والجنون، ولا يمكن أن توضع شخصية الأمة موضع الخيار الذي يقبله أناس ويرفضه آخرون[1].

(1) ثقافة: العدد 11430، الثلاثاء 2 شعبان 1418هـ، الموافق 2 ديسمبر 1997م.

www.mtenback.com

أم كلثوم

أضعاف ما ينفقونه في غير رمضان ولديهم في بيوتهم صلاة تراويح.

* ما أطرف موقف مرّبك في رمضان؟

- طالما أننا نعيش أيام رمضان المبارك فسأستبدل الموقف الطريف بموقف يعبر عن الأخوة والوفاء، يتجلى في ذاكرتي كل رمضان، فعندما توفي والدي – رحمه الله – علم الدكتور مرزوق بن تنباك بالوفاة، فاتجه إلى مطار الملك خالد في الرياض واستقل أول طائرة متجهة إلى المدينة المنورة ويرافقه شقيقه الدكتور محمد بن تنباك، ليقوم فقط بواجب العزاء، على رغم مرور عقود من الزمان على تزاملنا أثناء دراستنا العليا في بريطانيا، وكتب قصيدة ما زلت احتفظ بها وكأن الذي فقد والده وليس والدي، ففي مخيلتي يرتبط اسم الدكتور مرزوق بن تنباك بموقف الوفاء.

* إذاً ماذا تتذكر لنا عن زميلك الدكتور مرزوق بن تنباك، وسني دراستكما في بريطانيا؟

- حقيقة لم يأت الدكتور مرزوق إلى مدينة أدنبرة طالباً بل كان أخاً كبيراً وموجهاً ومعلماً لزملائه الطلبة، وكان عندما يعود من إجازته السنوية إلى ادنبرة يفتح أبواب بيته ويقيم حفلة لزملائه الطلبة ويحل مشكلاتهم، إنه رجل على الفطرة وعصامي وكريم، وبالمناسبة عين الدكتور مرزوق عندما كان طالباً في جامعة ادنبرة عضواً في مجلس إدارة الجامعة ممثلاً لطلاب الدراسات العيا، وأنا كذلك عينت ممثلاً لطلاب الدراسات العليا في مجلس دراسات الشرق الأوسط في جامعة مانشستر، وهذه المراكز قليل من الطلاب السعوديين حصلوا عليها.

وما زلت اتذكر اسم مشرف الدكتور مرزوق، ذي الأصل الاسكتلندي مايكل ماكدونالد، الذي كان من أكثر المتعاطفين مع القضية الفلسطينية، وكان يكتب بخط عربي واضح، كما كان من أشد المعجبين بشخصية الدكتور مرزوق بن تنباك[1].

(1) الحياة: 2007/9/29م.

www.mtenback.com

العم مَذْكَرْ، والزميل الغذامي، وشيخ القبيلة

(1)

قبل خمسة وثلاثين عاماً كان العم مذكر يخطو إلى ما بعد السبعين وقد أدرك ردحا من الزمن الذي سبق توحيد هذه البلاد، وعاش أحداثا مثيرة من حياة الناس في ذلك الزمن، والعم مذكر كما يناديه الشباب، وهب ملكة خاصة في بلاغة الخطاب وأعطي قدرة على وصف الماضي الذي شهده أو حُدثَ عنه، بزّه أترابه بطريقة عرضه لذلك الماضي وسرد القصص سردا رائعا وتصوير الأحداث وتجسيد الوقائع وأطالة الخبر ومدّه حتى يستغرق ما يريد هو من الزمن المحدد للحديث أو المساحة المسموح بها في مجالس القوم.

كان أترابه الذين عاشوا معه وشاركوه الأحداث التي يصفها فيطيل فيها يحدثون عما يحدث عنه بدقائق معدودة، ويأتون على ما يراد من الخبر وما يستفاد منه بجمل موجزة، أما هو فيأخذ بأطراف الحديث، ويسترسل في القضايا الجانبية ويعود إلى الخبر قليلا، ثم يتناول مايتعلق به وما يؤدي إليه حتى يتحول الخبر المحدد عنده إلى قصة، يطورها خياله الخصب فيغري كل من استمع إليه بالمتابعة والاعجاب فهو ليس مخبرا، وإنما هو أديب، يصنع الحدث قصصا ممتعة وحكايات جذابة تجعل حتى الذين يعرفون الخبر يدهشون من قدرته على تلوينه بأشياء جانبية صالحة لحديث السمر، وإن لم تكن مفيدة فائدة كبيرة أو مضيفة إضافة هامة، عرف كيف يهول ما يحتاج إلى التهويل، ويبالغ عند حاجة المستمع إلى المبالغة، ويستعمل الإماء والإشارة وهمس الصوت وجهره وتغيير ملامح وجهه ونظراته عند اللزوم. وعرف الناس للعم مذكر هذا الفضل حتى الذين في سنه تعجبوا من قدرته على السرد القصصي، واستمعوا إليه وكأنهم لا يعرفون ما يأتي به ولم يسمعوه الا منه وإن كانوا قد شهدوا كل أحداثه.

بنى العم مذكر شعبية هائلة لدى الشباب الذين لا يعرفون أحاديث الماضي إلا عنه ومنه فكانوا أشد تعلقا بأحاديثه وحرصا على حضور مجالسه، وأصبحوا أكثر اختصاصا به لما يجدون عنده من ضروب القول الذي لا يسمعونه عند غيره ممن يعرف الأحداث كمعرفته أو أكثر.

www.mtenback.com

لكن هذه الفضائل اللغوية والقدرة التعبيرية التي لا يجدها الشباب عند أقرانه من الشيوخ وأكفائه في المجتمع، أثارت الحسد في نفوس الأتراب والاستغراب من الشباب.

وفكر الفريقان بما يُمحّص قدرات الرجل ويجلو حقيقة ما يقول، وزعموا أنه يزيد من الأمر، ويستعمل بلاغته ويغير في الوقائع ويخترع بعضها. وأنه يصنع أكثر مما يبدع. فدارت رحى المؤامرة عليه، وغذّى هو روح المؤامرة بشدة حرصه على أن يأخذ زمام الحديث في كل موقف، وألا يترك لأحد غيره مجالا في علم ظن أنه اختص به وأحسنه دون سواه، وزاد الأمر به قليلا، فزعم أنه الوحيد الذي يصلح للحديث وأن غيره غبي جاهل.

فكر الجميع في إغضاب الرجل وإسكاته ولو مرة واحدة فهداهم التفكير للبحث عن علم لا يعرفه، وفن لم يألفه، ووقع الخيار على وصف الطائرة، والجميع لم ير الطائرة إلا في كبد السماء عندما تعبر مرابع القبيلة فتنقلب لها الرؤوس تنظر إليها وتعجب منها، واختاروا أحد الشباب الذي قدم من المدينة توا، وطلبوا أن يكون حديث هذا المساء عن وصف الطائرة، حتى لا يجد العم مذكر سبيلا للمنازعة ولا للمشاركة فيلوذ بالصمت ويرغم عليه.

وبدأ الشاب يصف الطائرة وأن لها أربع عجلات ومقود كمقود السيارة.. إلخ. والشباب والشيوخ ينصتون إلى حديثه باهتمام مصطنع ويظهرون الشماتة في العم مذكر الذي أنصت هو أيضاً بهدوء إلى المتحدث وأخذ يستزيده من الوصف، ويسأل الشاب أسئلة فنية كما نقول الآن، ويحرجه في بعضها فلما أنهى المتحدث حديثه المخترع في وصف الطائرة، صاح به العم مذكر: مهلا يا بني أنت لا تعرف الطائرة، ولم ترها أنا الذي أصفها لك عن علم ومعرفة فقد رأيتها وركبتها، وجلست بجانب قائدها عندما زرت ابني – في تبوك العام الماضي – وكان ابنه رحمهما الله ضابطا في قاعدة تبوك – الطائرة من الخارج هكذا وبدأ يصف، أما من الداخل فكذا وكذا، وعند سائقها عدد من رؤوس «المشاهيب» مثل المقباس بعضها ناره حمراء وبعضها ناره خضراء بعضها ناره صفراء – وبدأ العم مذكر يتحدث عنها حديث العارف بالشيء الرائي له.

بهت القوم وذكروا ابنه الطيار وزيارته له وصدقوا مايقول وأقسموا ألا ينازعوه ما كتب له من حظ

www.mtenback.com

في الوصف وإن زاد في الخبر وأطال المختصر.

(2)

أما شيخ القبيلة كما تصفه لنا «ألميثيولوجيا» فهو رجل عظيم الهامة، وطويل القامة يعتم بعمامة، تحتكم إليه القبيلة في كل أمر ينوء بها ويحل بين أفرادها أو اختلاف يعن في مرابعها أو مشاجرة ومناخرة، والشيخ لابد أن تكون له مؤهلات وفضائل جمة، تجعله أهلا لمركز القيادة والرضا بين أفراد العشيرة، وأهم تلك الفضائل أنه المسؤول عن الانسجام التام في مجموعته وأنه لا يسمح للخلاف الشخصي والعداء الفردي أن ينمو في قومه ويفسد عليه جماعته. وهو قادر على حسم الخلاف بكل صور الدهاء الممكن والمقنع، ولكي ينجح في حلّ الخلاف حلا سليما فإنه لا يبحث عن جوهر الخلاف ولا حقيقته ولا يهمه الصواب في القضية ولا الخطأ فيها، فذلك شأن القاضي الذي يقيم الحكم على الجاني وليس شيخ القبيلة قاضيا، وهو يعرف أن القضاء مرّ الطعم لا يقبله أحد الخصمين، وحتى لا يقع في حرج القضاء فإنه يجعل الخطأ نصفين والقضية غامضة، فيرضى الجانبان بإنصاف الحلول، وهو يقسم لكل خصم أن خصمه لا يريد شرا وأن الأمر خطأ غير مقصود، وزلة لسان، وعثرة قدم، وأنه يعرف ملابسات وحيثيات عن القضية لا يعرفها صاحب القضية نفسه، وأن المعتدي صديق ودود للمعتدى عليه، وإذا لزم الطلاق من زوجاته الأربع طلق وأقسم بمغلظات الإيمان، كل ذلك أسهل عليه من أن يتشعب الخلاف وينفضّ سامر المجموعة. والشيخ يعلم أن إيمانه وطلاقه واستشهداه بأشراف العشيرة لا يعني أكثر من احراج الطرفين وسلّ الضغينة من الصدور، وإلا فإن طلاق الشيخ لا يقع ويمينه لا كفارة عنها.

ولابد له مكرها أن يضفي كل صفة الرجولة والمروءة والكرم والتسامح للخصمين معا، حتى لا يحس أحدهما أن لخصمه فضلا عليه عند والشيخ وإلا سقط عدله والقبول بحكمه، وهو يعرف أنه لا يملك عصار الإكراه وإنما يتمتع بعواطف الرضا.

ولا يجهل الشيخ أنه المنتصر الأكبر في كل قضية يستطيع حلها بمغلظات الإيمان فذلك أسهل من دخول الغرباء المستفيدين من جو الخلاف العائلي المصون. وما دام شيخ العشيرة قادرا على دور الوسيط

www.mtenback.com

الناجح فإن القلوب تلتف حوله، والأعناق تشرئب لطلعته، وكل فرد سيدافع عنه عند الحاجة، ويثني عليه عند الذكر، ويصد عدوان أنداده من شيوخ القبائل الأخرى والعشائر المناظرة إذا تعرضوا لشخصه أو نالوا منه.

(3)

أستعيد حال العم مذكر كلما استمعت لحديث زميلنا الدكتور عبدالله الغذامي أو كلما قرأت له، وما أكثر ما أستمتع وأقرأ للزميل الكريم، وأشهد أنني أعجب بما أقرأ وما أسمع، وإن كنت لا أوافقه على أكثر ما يقول ولا على أكثر ما يذهب إليه في تفسيره، إلا أن الأمر الذي لا أستطيع دفعه، هو أن الغذامي ناقد لابد أن تَحترم رأيه وأنت تخالفه، وتحترم رأيه أيضاً وأنت لا تستطيع المخالفة، وتحترم رأيه أيضاً وأنت لا تستطيع المخالفة، وفي الحالين فإنه الكاتب الذي أقرأ ما يكتب بل لا أخرج مما يكتب حتى آتي عليه ماعدا سحارته وما فيها، فإنني بحق لم أستطع قراءة أكثر من صرة أو صرتين من صررها العديدة.

أما المفاجأة هذه المرة فهي أنه انتقل بنا من سرديات العم مذكر وبلاغته وبيانه، إلى دور شيخ القبيلة، عندما تصدى للخلاف بين «الشاعرتين المتميزتين المبدعتين» والنص له خديجة العمري ولطيفة قاري، وأمسك عصا شيخ القبلة، وهو أمر جديد على زميلنا الكريم، بدأ يظهر فيه ضروبا من القدرة والابداع، ويجيد بشكل ملفت للنظر دور الشيخ.

وقد ظهرت بوادر الاجادة بكل وضوح في مقاله الذي نشر في خميس «الرياض» الماضي، بعنوان: «العتبة ليست قزاز» فشهد بنفسه وأشهد غيره، وحفظ لطرفي النزاع البراءة في القصد، والجودة في الشعر، وحسن النية، وسلامة الطوية. وأخشى أن تكون غيبته عنّا في العام الماضي، قد نقلته إلى خيام أخواله ومرابعهم في الحجاز، فشاهد شيخ القبيلة وثقف منه سريعا الدور الذي يقوم به، كما ثقف العم مذكر وصف الطائرة من ابنه. وليس المهم أن نضيف شيخا واحداً إلى جيش من شيوخ القبائل وعرافها، لكننا نخشى أن يجد أخونا الدكتور عبدالله الغذامي عملا أكثر نفعا من نظريات النقد، وتفريع الحجج فيه، ومقارعة الانداد، ومعالجة النصوص، وسرديات القصة فيتحول النقد إلى إصلاح ذات البين. ويغيب الناقد في عباءة المصلح الاجتماعي، ويضمحل الأديب في ظل شيخ القبيلة، فنكسب شيخاً وما أكثر الشيوخ

www.mtenback.com

ونخسر ناقدا وما أقل النقاد[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1958، السبت.

www.mtenback.com

عن «مفهوم الثقافة الشعبية والفصحى»[1]

السؤال الواجب طرحه هل نستطيع أن نحكم أو نفهم أن الثقافة الشعبية شيء مختلف عن الثقافة العربية الفصحى؟

ما يظهر من أدبيات طرحنا المحلى الحاضر يدل على أننا نفهم انهما شيئان متضادان ومختلفان، والدليل على هذا الفهم أن لدينا فئة تحسب نفسها على الثقافة الشعبية وتنتصر لها وتنطوى على ظلمها وتدافع عنها وتلتزم باسس هذه الثقافة وأدبياتها، فيولد لديها هذا الالتزام موقفا ضديا من الثقافة الأخرى حين تحاول أن تميز الثقافة الشعبية عن الثقافة العربية الفصحى وتقيم المقارنة بين ثقافتين، وتحشد لآرائها ومنطلقاتها الجدلية أكثر الحجج قوة وأكثرها أثرا وأعلاها اقناعا في درجات الاقناع، زاعمة أن الشعبية أهم وأقوى وأقدر وأقرب، وأن الثقافة الفصحى فيها عكس ذلك من الصفات والمثالب، وهذا الموقف الملتزم استوجب الرد بالمثل فقامت فئة أخرى مقابلة تصف الأدب الشعبي والثقافة الشعبية بأنها سقوط وانحدار بالذوق والفكر وأنه انحراف عن الثقافة الفصحى غير مقبول، وأنه ضار غير نافع مؤثر في التكوين الذهني، مثبط للهمم والعزائم لسهولته وقدرة العامية والخاصة عليه، فهو في رأيها مبتذل مباح لمن يعرفه ويحسنه ولمن لا يعرفه ولا يحسنه وقد بلغ من الأسفاف أشده ومن القول أرذله وأقبحه.

إن الثقافة العامة للأمة الواحدة لا يتحقق فيها الازدواج ولا الثنائية التي قد توجد في غير الثقافة ... الثقافة العامية هي أحاسيس الناس وأفكارهم وخطرات نفوسهم، وهي تكامل واتصال واحتواء للنشاط البشرى كله، وهي لا تقبل الضدية ولا تقبل التحيز إلى شكل منها دون غيره، ولا الانتماءات الجزئية الثقافية العامة للأمة أمثلها بالدوحة الظليلة والشجرة الوارفة التي تنشر أغصانها وتتهدل حول صلبها، وقد يكون منها أحراش ونباتات ضعيفة تعيش بجانبها وتتسع باتساع الشجرة وتقوى بقوتها وكلما كانت الشجرة قوية سامقة جذبت إلى قوتها وسموها الأغصان والأحراش القادرة على السمو والحياة فضمتها إليها

(1) مقاطع من نص المحاضرة التي ألقاها في المركز الرئيس بجمعية الثقافة والفنون بالرياض مؤخراً.

www.mtenback.com

وجعلتها منها وتجاوزت الضعيف من الأحراش والنباتات التي لا تقوى على الحياة، الثقافة هي هذه الشجرة بأصلها وما يتعلق بها وما يحيطها وما ينعشها حتى لو كان شيئاً غير محسوس وطبيعة الثقافة أنها نمو صاعد ورقي مستمر وتغير دائم تصهر ما حولها وتشكله بشكلها فيكسب الضعيف منها قوة والقصير طولا والهابط علوا والنازل ارتقاء، وهي لا تقبل الثنائية ولا التجزئة وإذا كانت وسائل التثقيف العام قد بدأت تفرض على وعينا الجمعي اختلافا ضديا في محصلة الثقافة الشاملة فسمت بعضها شعبياً وبعضها الآخر فصيحا وركزت على هذه التسمية والتفرقة ووسعت دائرة التقسيم فإنها تفعل خطأ وتجهل ماهية الثقافة الواحدة الموحدة للأمة، وتجهل طبيعة النمو والوعي الثقافي والتغير والتدرج الطبيعي الذي ينتهى بالناتج الفكري إلى خلاصة الثقافة العامة وضروراتها، حيث تبدأ الثقافة في أدنى مراحلها المعرفية اليومية بالمشترك الذي يدركه كل الأسوياء من الناس بحظوظ متفاوته كتفاوت الناس في المدرك، العادي ثم تبدأ بالصعود والتدرج إلى أن تصل بالمثقف إلى الوعي الصحيح التام لقضايا الأمة والحياة عامة وهموم المجتمع الذي يعيش فيه المقف، حتى يستجيب بشعوره ووعيه لثقافة نموذجية مؤثرة تدفعه إلى مشاركة فعالة في خلق الثقافة ذات البعد الراسي وتبرز جهده فيها وتميزه فيما يضيف إليها. وإذا نظرنا إلى الثقافة على أنها كلية تقوم على تكامل يجعل من الفعاليات البشرية آليه مناسبة لأغراض الأمة ولأهدافها، عندئذ يصبح من العبث ومن غير الجائز تفتيت الثقافة وتقديمها وتوزيع تخصصاتها وأغراضها وتعدد مسمياتها لكي تصبح ضيقة مخلخلة البنيان غير قادرة على احتواء وعي الأمة ونشاطها الذهني.

إن الثقافة تبدأ بقاعدة عريضة من الموروث العام الشامل، وتختار منه ما يصلح للنمو، وترتقى بما اختارت إلى القمة، وطبيعة الحياة أن تسمو وترتقي وطبيعة الثقافة كطبيعة الحياة وبين قمة الثقافة وقاعدتها تقع الأشكالية التي نتحدث عنها أي الشعبية والفصحى، فالثقافة التي نطلق عليها الشعبية قاعدة عريضة والثقافة الفصحى قمة شامخة والذين يحاولون فصل القمة عن القاعدة يخطئون كخطأ الذين يسمون هذه شعبية وهذه فصحى، إنها ثقافة عربية واحدة، وكم من أديب بدأ بما يسمى الثقافة الشعبية فسما بنفسه وسمت به ثقافته إلى القمة فأصبح علما من أعلام الثقافة العربية الأصيلة، وسبب رقيه نجاحه أنه عد فرعي الثقافة شيئاً واحداً وصار الترقى بسلمها هدفه وديدنه حتى أوصله إلى القمة دون الشعور بالاختلاف

www.mtenback.com

أو التعصب لشيء منها. وسأضرب لكم مثالين اثنين لا ننكر أنهما في كلا شطري الثقافة. أحد المثالين الشاعر محمد بن عثيمين شاعر النهضة في وسط جزيرة العرب هذا الرجل بدأ بالشعر العامي ونظمه وأحسن نظمه وسار فيه مشوارا من عمره ليس قصيرا حتى بلغ الخمسين وانطلق لسانه في الشعر الفصيح كما انطلق في العامي، فاتخذ الفصحى لسان شعره وقد خلده سموه بثقافته وخلد آثاره وشعره ولو عاش ابن عثيمين في عصر كعصرنا يقسم الثقافة إلى فصحى وعامية وفي مجتمع كمجتمعنا يتعصب لهذه أو لتلك لبقي في محيط عاميته لم يتجاوزها ولم يبرح ميدانها الضيق، ولم يشارك قومه وأمته ثقافة عربية خالدة يقرؤه فيها العرب في كل مكان فانتقاله من قاعدة الثقافة إلى قمتها جعله يطلع على مساحة أوسع من الوطن ومكانة أرحب من الإقليم فعاش شاعراً عربياً وبقى ذكرى خالدة للأجيال. أما المثال الثاني فهو الأديب المؤرخ الشاعر محمد بن بليهد هذا الرجل عاش يجوب مرابع القبائل العربية في الجزيرة نجدها وحجازها وتنبهت ملكة الأدب لديه مبكراً ولم يستطع في حياته الأولى ومجتمعه الأمي أن يمارس غير الممكن في تلك البيئة، ومع تلك الظروف وهو أدب القاعدة أو الشعبي كما نسميه اليوم فأحسنه وأجاده وبأرى شعراءه، ولكنه لم يقع في مأزق التصنيف لنفسه أو التحيز لفنه وقد وجد نفسه قادرا على ممارسة الأدب وانتاج الثقافة، فلما استقرب به الحال وجد القدرة على التدرج بملكته الشعرية وموهبته ممكنا سهلا انتقل من القاعدة التي كان يمارس فيها جزءا من الثقافة، إلى القمة التي يمارس فيها كل الثقافة هنا جعل الثقافة التي نصنفها اليوم ونسميها الشعبية هي وسيلته إلى الثقافة الكاملة ثقافة اللغة العربية فصار مسيرة طبيعية من قاعدة الثقافة إلى قمتها ارتقى بيسر وسهولة من محطة من محطات الثقافة إلى محطة أخرى على الطريق الصحيح، ولم يجد حرجا بل لم يشعر أنه يمارس فن القول في ثقافتين مختلفتين فمشى بخطوات التطور والتجاوز وارتفع إلى القمة وهو يصعد سلما واحداً هو سلم الثقافة، وأنا أزعم أن أكثر من يصنف نفسه شاعراً عامياً أو شعبياً في الحاضر ويلتزم هذا التصنيف كان باستطاعته أن يكون شاعراً عربياً فصيحا، وكان بإمكانه أن يرتقى في سلم الثقافة إلى الفصحى فيصبح شاعرا يشار إليه بالبنان في كلتا الحالين، وما منعه من تطوير فنه والنهوض بقدراته إلا التصنيف الذي فرضناه على ثقافتنا فجعلناها صنفين وشكلين صنفا أسميناه العامية أو الشعبية وتوجه له فريق منا وبدأ يمارس فيه أدب العامة وينافح

www.mtenback.com

عنه ويكافح، ويرى ما سواه قاصرا، وصنفا أسميناه الفصحى فخفناه وخشينا الاقتراب منه ولم نحاول حتى مجرد المحاولة أن نجرب السير فيه، فعلنا بثقافتنا الواحدة ما لم يفعله غيرنا فشتتنا الجهود وفرقنا الآراء وخلقنا صراعا وهميا لا مبرر له في قضية واحدة لا تقبل التجزئة وتندرج من قمة إلى القاعدة، وما نفعله في بعض تصرفاتنا هو محاولة لقلب القاعدة المعروفة في البناء الثقافي، فالقاعدة يجب أن تكون قاعدة في مساحتها وامتدادها، والقمة يجب أن تسمو وترتفع ولا يمكن وضع القمة والقاعدة في مستوى واحد.

إن العالم يواجهنا بثقافة العولمة – ونحن نواجهة بإزدواج الثقافة، والعولمة كلمة شديدة الإبهام مملوءة غرابة، تحمل دلالة خادعة ومعنى غامضا مثل غموض أهدافها، لكنها ولا شك نصر للثقافة والحضارة الغربية، وكل ثقافة أو حضارة غيرها ستكون مجالاً لطغيان ثقافة العولمة وستكشف الأيام أبعادها على الرغم من أنها ما زالت شديدة الابهام، إلا اننا نعرف قدرة الغرب على استعمال أدبيات اللغة إذ كانوا في الماضي يسمون احتلال الأرض واستعباد البشر إعمارا وهو اسم جميل لعمل قبيح، وكانوا يسمون القهر بالقوة لسكان الأرض الأصليين انتدابا وهي لغة غامضة مبهمة مثل ما هو غامض ومبهم. معنى العولمة اليوم أن العولمة استلاب جديد لثقافات الأمم غير الغربية، ومسخ بل حتى لثقافات الدول الغربية غير الناطقة بالانجليزية التي بدأت تشعر بالخوف على ثقافتها. وهذه فرنسا وهي الأقوى والأقدر بدأت تبحث عن مصدات ودفاعات تحافظ على ثقافتها من الذوبان بثقافة العولمة، أضربها مثلا وأكتفى بها فقد جمعت أمرها قبل أيام قلائل، وأعلنت اتحادها الفرانكفوني واختارت لهذا الاتحاد رجلا مجربا معروفا مخلصا للثقافة الفرنسية وهو بطرس غالي الأمين العام السابق للأمم المتحدة، وأقامت مؤتمرها الذي نصبت فيه غالي في شرق آسيا. يجمع هذا الاتحاد الدول ذات الثقافة الفرنسية أو المتأثر بالفرانكفونية كما يسمونها، وفرنسا قطب مشارك في العولمة ولكنها تخشى ألا يكون نصيبها الثقافي منها مثل نصيب الناطقين بالانجليزية والثقافة الانجليزية، لأن ثقافة العولمة تقودها أمريكا الناطقة بهذه اللغة وهي التي تتبنى هذه الثقافة وتنشرها، وستحطم كل الثقافات الأخرى وتحجم نشاطها.

وأمام هذه الحال بدأ العالم كله يحصن دفاعاته حول ثقافته المحلية، ويتمسك بشخصيته الثقافية فهل نفعل مثلما يفعل العالم ونتمسك بثقافتنا الموحدة ونحصنها؟ أو نواجه ثقافة العولمة بثقافتين مزدوجتين

www.mtenback.com

فنكون الضحية لينة المضغ سهلة الابتلاع؟ إننا ندعو كل مخلص لثقافته وميراث قومه وشخصيته العربية إلى نبذ التفريق والتحيز لشكل من الثقافة دون آخر وادعو كل مخلص لعروبته وثقافة أمتة للتمسك بحب الثقافة العربية وبحب اللسان العربي والإيمان أننا أصحاب رسالة وأصحاب تاريخ يجب أن نحافظ عليه ونحترمه وندافع عن ثوابته وقيمه الخالدة.

وفي الختام دعوني أكون كعادتي مؤذيا لنفسي محبا لكم فأقول:

إن من يقرون ثقافتين شعبية وفصحى لأمة واحدة طيبون مخلوعون بالأسماء والأهواء الثقافية شخصية كاملة وهوية، فالشخصية لا يمكن تعددها إلا في حالة الانفصام والجنون ولا يمكن أن توضع شخصية الأمة موضع الخيار الذي يقبله أناس ويرفضه آخرون[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) البلاد: العدد 15142، 1418/8/13هـ، 1997/12/13م.

www.mtenback.com

خلال لقاء مفتوح حول الفصحى والعامية في «أدبي الرياض»

ابن تنباك: «صنيتان» اسم يوناني ظهر في القرن الـ 7 الهجري

قال الدكتور مرزوق بن تنباك: إن أحد أساتذته قال له أثناء دراسته: إن اسم والده صنيتان اسم يوناني، مضيفا أن صنيتان يعني السيد المطاع في قومه، وهو اسم غريب على العرب، وأول ذكر له كان في القرن السابع الهجري، وشاع فقط قبل 100 عام فقط، مشيرا إلى أن هناك عديد من شيوخ القبائل يحملون هذا الاسم، وكان أول استخدام له بين شيوخ القبائل فقط. جاء ذلك خلال اللقاء المفتوح حول العامية والفصحى الذي أقامه النادي الأدبي في الرياض، واستضاف كلا من الدكتور مرزوق بن تنباك، والدكتور عوض القوزي وأدار دفة الحوار محمد الهدلق. وأكد ابن تنباك أن انتقال أصحاب اللهجات المختلفة إلى المدن الكبرى أدى لاندماج بين نص العامية والفصحى، وحول حل للجدل الدائر حول الفصحى والعامية رأى أن الحل لا بد أن يكون سياسيا، مثلما فعل الصحابي رضوان الله عليه عمر بن الخطاب عندما تبنى للغة قريش لتعمم على كل العرب وهذا ما أدى إلى نشرها.

وأوضح الدكتور مرزوق بن تنباك من خلال حديثه قائلا: «كنت أظن أن الحديث حول العامية من فضول القول، فقبل 30 عاماً كان هناك موجة في الأدب والرأي العام والنشر تدعو إلى العامية، وكان هناك جدل لا ينتهي، والجدل كان يدور على مستويات، وهذا الجدل موجود في كل اللغات العالمية، ولكن ما يجعل للهجة العامية اهتماماً هو اهتمام الناس بها»، وأضاف أن هناك كانت دعوة واضحة في الخليج والمملكة لمزاحمة تأصيل العادات والتقاليد، لأن العامية هي مصدر تاريخي وثقافي وهوية لكل أمة، ولهذا كان بعض أساتذة الجامعات والمثقفين يدعون للعامية، وقد قمت بتجربة بالتسجيل لكبار السن الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، فاكتشفت أن 90 في المائة منهم يتحدثون الفصحى، لكنها لم يبنوها بناء نحويا.

وأضاف أن الحديث الآن عن اللغة العربية واللغة الأجنبية، وهذا ما أهتم به وسأعمل على بيان هذا الشيء الجديد الذي يواجهنا، ويواجه الأمة والجزيرة العربية، ولقد بدا الاهتمام باللغة العربية عندما بدأت

www.mtenback.com

الصحف تصدر ملاحق للشعر العامي، واللغة العامية لا يمكن الخلاص منها، ولم يحدث أن جاءت لغة على مستوى واحد[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) الاقتصادية: 1433/11/1هـ، 2012/9/7م.

www.mtenback.com

تكرم الأميرة عادلة.. في مجال قضايا المرأة
الثقافية تقر «ثقافي» معرض الكتاب وتعلن أسماء المكرمين

أنهت اللجنة الثقافية لمعرض الرياض الدولي للكتاب تصميمها للبرنامج الثقافي المصاحب للمعرض الذي يفتتح برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود خلال الفترة من 4/23 - 1434/5/3هـ، تحت هوية المعرض الثقافية (الحوار.. ثقافة وسلوك) ويستمر عشرة أيام بمشاركة دولة ضيف الشرف المملكة المغربية الشقيقة.

وفي هذا السياق أوضح رئيس اللجنة الدكتور مرزوق بن تنباك في تصريح صحفي أن اللجنة الثقافية التي أعدت البرنامج قد راعت في اختيار هذه الفعاليات معايير عديدة تختلف عن الأعوام السابقة، وبما يتواءم مع متطلبات الثقافة الآنية التي تفرضها متغيرات الحياة بجميع أشكالها، والتي وجدت أن المنطلق الرئيس فيها هو الحوار، وعلى ذلك تم رسم عناوينه والشخصيات التي تتحدث وتحاور بحيث تعطي بعداً أعمق من خلال طرحها.

وبين د. ابن تنباك أن الفعاليات تستمر تسعة أيام تبدأ من اليوم الثاني لحفل الافتتاح وتنتهي في اليوم قبل الأخير لاختتام المعرض، ومن ضمنها فعاليات ضيف الشرف دولة المملكة المغربية الشقيقة، ومنها ما هو في الرياض وجدة بمشاركة نخبة من كبار مثقفي المغرب الشقيق، الذين لهم حضور مؤثر في المشهد الثقافي العربي والدولي.. مشيرا إلى أنه من أبرز عناوين الفعاليات المغربية (الفكر العربي الإسلامي في المغرب العربي المعاصر) و(الخطاب النقدي الأدبي في المغرب: رهانات التحديث) يتحدث فيها عدد من الأدباء والمثقفين المتخصصين في هذا المجال.

واستعرض رئيس اللجنة الثقافية لمعرض الكتاب عناوين الفعاليات الثقافية التي حفل بها البرنامج ومنها (مواقع التواصل الاجتماعي الإلكترونية) و(غواية حرف الدال) و(العلاقات الثقافية السعودية المغربية) و(الفساد قضية) و(العقل والوجدان في الفكر الإسلامي) و(المرأة والموقع القيادي)

www.mtenback.com

و(الكاريكاتير.. التأثير الصامت) و(القنوات الفضائية الشعبية) و(تجربة الفيلم السعودي القصير).

وأضاف أن الفعاليات - أيضا - تناولت جوانب لها علاقة بالثقافة المعاصرة ومنها (الإعلام الرياضي) و(الطفل والعوالم الافتراضية) و(المسؤولية الاجتماعية والعمل التطوعي) و(البرامج الحوارية والوعي المجتمعي) و(إستراتيجية التخطيط الثقافي) و(دور الإعلام الجديد في التعريف بالإسلام) إضافة أمسية شعرية يشارك فيها أطياف متنوعة من الشعراء السعوديين والخليجيين والشباب).

كما أعلن رئيس اللجنة الثقافية أسماء الشخصيات الذين سيتم تكريمهم هذا العام بعد أن رأت اللجنة تخصيص هذا التكريم للرائدات من النساء السعوديات في ثمانية مجالات قدمن خلالها خدمات جليلة للمجتمع السعودي وهن:

صاحبة السمو الملكي الأميرة عادلة بنت عبدالله بن عبدالعزيز - في مجال قضايا المرأة، نورة آل الشيخ - في مجال العمل الخيري، نوال مصلي - في مجال الفن التشكيلي، مها فتيحي - في مجال خدمة المجتمع، موضي النعيم - في مجال التربية، خيرية السقاف - في مجال الأدب، هند باغفار - في مجال التراث، ابتسام حلواني - في مجال الإدارة[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

ابن تنباك كلنا منتسبون للدين ولا قلق على المعرض

بدا رئيس اللجنة الثقافية لمعرض الرياض الدولي للكتاب 2013 الدكتور مرزوق بن تنباك، متفائلا بنجاح الدورة، مبددا مخاوف البعض من مغبة وقوع مضايقات داخل أروقة المعرض على غرار ما شهدته الدورات السابقة، وقطع في تصريح إلى "الوطن" بالقول "سترون ما يسركم في معرض هذا العام.. فبابه

(1) ثقافة اليوم: العدد 16316، الأحد 14 ربيع الأول 1434هـ، 24 فبراير 2013م، السنة الخمسون.

www.mtenback.com

مفتوح للجميع"، مشيراً إلى أن الإدارة لن تمنع أي دار نشر وافقت على النظام والتزمت بشروط المشاركة.

وعن الصعوبات التي يمكن أن يشهدها المعرض قال ابن تنباك "المعرض للفكر والعلم والأدب وليس هناك مخاوف ولا صعوبات ولن يحدث فيه إلا الخير. وأضاف "تفاءلوا بالخير تجدوه"، مبيناً أن هناك من الضوابط ما يسهل الصعوبات ويقلل المخاوف وأن كلا في خدمة العلم والمعرفة.

وأكد ابن تنباك أن اللجنة الثقافية التي يترأسها، ستأخذ بآراء الجميع ومقترحاتهم، فيما سيجد قراء الكتاب ورواده وعشاق الثقافة والباحثون عن الجديد الذي تحمله إليهم دور النشر هذا العام كل ما يتطلعون إليه.

وحول التخوف من أن يثير متشددون إشكالات في المعرض قال ابن تنباك: "كلنا منتسبون للدين ومن أهله وليس هناك تيار ينتسب للدين دون غيره.. والباب مفتوح لكل المواطنين وكل المرتادين للمعرض الذين أقيم من أجلهم ولهم.. وسيجد كل مكانه رحبا في المعرض ونرحب بهم جميعا بلا تصنيف". وبين ابن تنباك أنه لا يريد استباق الأحداث فقد لا توجد مضايقات ولا تجمعات، مشيراً إلى وجود جهات مسؤولة عن التنظيم وضبط الأمور ومستعدة للتدخل في مثل هذه الأمور وحلها من جميع الجهات.

وعن أبرز الأسماء التي ستشارك في الفعاليات المصاحبة للمعرض هذا العام، أوضح أن البرنامج الثقافي والندوات المصاحبة للمعرض ستعلن بكل تفاصيلها قريبا، مشيرا إلى أن الرجال والنساء سيشاركون في البرامج والندوات دون تمييز ولا تحيز، وتابع "ثقوا أن الجميع سواسية.. ولا يقدم أحد إلا جهده الثقافي وليس جنسه رجلا كان أو امرأة."

وحول ما يثار من منع بعض دور النشر من المشاركة هذا العام أو الأعوام السابقة، أكد أن إدارة المعرض لن تمنع أي دار وافقت على نظام المعرض والتزمت بشروط المشاركة وقدمت الكتاب الذي يحتاجه القارئ، مشيراً إلى أن المعرض مفتوح لكل من له رغبة وقدرة على المشاركة[1].

(1) ثقافة: العدد 4518، الاثنين 1 ربيع الآخر 1434هـ، 11 فبراير 2013م، السنة الثالثة عشرة.

www.mtenback.com

في رمضان

يأتي رمضان هذا العام في شهر يوليو في التاريخ الميلادي وهو أطول أيام السنة وأشدها حرارة في كل شهور العام ويأتي في العطلة الصيفية، حيث المدارس والجامعات في عطلة أيضاً. وهي عطلة طويلة بعض الشيء وقد اعتاد الناس في السنين القريبة عادة في رمضان هي قضاء يوم رمضان في سكون تام ونوم، وفي لياليه تقوم الحياة ولا تقعد وينقلب نشاط الناس من العمل والجد إلى التراخي والكسل وهي عادة عرفناها بعد توافر كثير من الوسائل المريحة مثل الكهرباء التي تجعل جو المنزل بارداً في النهار مما يشجع على النوم والخمول، والليل حين تضاء المراكز والأسواق فينشط الناس للخروج وقضاء الليل كله. ليس الحديث هنا عن تغيير الواقع الذي جرى عليه الناس في هذا الوقت وإن كان التغيير أولى، لكن الحديث كيف نكيف هذا الواقع ليستفيد الناس أو في أضعف الأحوال نخفف من أضرار التغير الذي يحدث في شهر واحد من أيام السنة ثم تعود الحياة اليومية للناس إلى مجراها الطبيعي في العام كله. قيل كثير عن وظيفة رمضان التعبدية وأنه شهر عمل وليس شهر كسل، وقيل غير ذلك كثير في كل عام عندما يستقبل الناس هذا الشهر الكريم، ولن أكرر ما يقال في كل عام. ولكن سأضع بعض مقترحات يمكن أن يستفاد منها، وأول هذه المقترحات موجّه إلى الطلاب والطالبات الذين لا يعملون بهذا الشهر أن يخصص ساعات معينة من اليوم يكلفون بها في أداء عمل في المنزل يقومون فيه بانتظام ويأخذ كل منهم حصته في المشاركة سواء كان هذا العمل مما تتطلبه الحال أو مما يحدث من أجل أن يملأ الفراغ الذي يجدونه في النهار، وأهم ذلك اختيار موضوع للقراءة والثقافة وليس من الأفضل أن يكون له علاقة بالمقررات الدراسية، بل يقترح كتاب عام أو موضوع ثقافي يميلون إليه ويرتاحون لقراءته وتكون فكرته ومضمونه مما يتناوله الجميع بالاهتمام وينشطون له دون ملل، وأن تضع كل أسرة لديها عدد من الشباب بنين وبنات نوعاً من المسابقات بينهم وتحديد جوائز رمزية لمن يكون أداؤه أفضل في الموضوع الذي يتم اختياره، وتكون هدايا العيد التي تقدم لهم في هذه المناسبة مقابل عمل ثقافي يصلهم بالمعرفة حتى لا ينقطعون عنها لا في رمضان ولا في غيره من العام ولا يشعرون بفراغ طويل قد يدفعهم إلى تضييع الوقت فيما لا فائدة

www.mtenback.com

منه ولا نفع، وأرجو الله أن يجعل شهر رمضان وكل شهور العام رحمة وبركة وعملًا نافعاً في الدنيا والآخرة، وأن يتقبل الصيام وكل عمل يراد به وجه الله وخير الناس، وهو على كل شيء قدير[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2266، الخميس 2 رمضان 1434هـ.

www.mtenback.com

ثمرات الربيع العربي

منذ أكثر من ستين عاماً والخلاف بين الدول العربية على أشده شمالاً وجنوباً، قوميون وغير قوميين، ولكنه اختلاف الأنظمة الحاكمة، فحسب التي لم تتفق على سياسة موحدة عربية أو سلامية. أما الشعوب العربية فلا شأن لها باختلاف السياسيين وأتباع السياسيين، بل كون المجتمع العربي بعمومه ما يشبه الوحدة في آماله ومستقبله مستقلاً عن أنظمته الحاكمة في الرؤى والأهداف، وكانت الخلافات التي تحدث بين الأنظمة الحاكمة تعطي الشعوب فرصة لاستشعار المشترك بين هذه الشعوب أكثر عندما تختلف الحكومات ويكون التعاطف بينهم ضد طغيان أنظمتهم وأخطائها حبلاً يربط بينهم ويوحد مواقفهم ويزيد في رصيد وحدتهم العاطفية حتى وإن لم تتحقق الوحدة السياسية؛ هذا كان شأنهم قبل الربيع العربي الذي لا أدري من سماه ربيعاً ولا كيف كان ذلك؟!، ولكن ما أدريه وتدرونه أنتم هو هذا الطعم المر لثمرة هذا الربيع العربي التي أكلها وغص بها كل ذائق لها ليس الأنظمة كما كان الحال الأول، ولا أتباعها وأعوانها، ولكن الشعوب أفراداً وجماعات يساراً ويميناً محافظاً وغير محافظ، سفكت دماؤهم باسم الربيع وانتهكت الحرمات وقامت الحروب التي لا تبقي ولا تذر بين عامة الناس وخاصتهم، وغاب الرأي الرشيد الذي يستطيع حقن هذه الدماء ويرد العامة والخاصة إلى الحق والعدل، ولم يعد أحد بمنأى عن هذه الفتنة التي أكلت الأخضر واليابس.

الربيع العربي كان حصاده مئات القتلى وآلاف الجرحى والمعوقين والمشتتين في كل مكان، وأهم من ذلك موت الإحساس العام عند الناس، وعدم الشعور بعظم الكارثة التي أصابت العرب في وجدانهم وفي قيمهم الإنسانية فضلاً عن وضعهم الاجتماعي والسياسي، وأصبح التحزب لهذا الفريق أو ذاك هو ما تؤججه وسائل الإعلام وتنشره على الملأ وتغري به.

أعيذكم وأعيذ الأمة العربية أن ينطبق عليها قول الشاعر:

إذا ما أراد الله ذل قبيلة

رماها بتشتيت الهوى والتخاذل

www.mtenback.com

وأي هوى وتخاذل غير ما نحن فيه أمام العالم[1]!!

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2272، الخميس 22 شوال 1434هـ.

www.mtenback.com

وانتهوا من متاهم

في الستينيات من القرن الماضي انقسم العالم العربي إلى معسكرين معسكر الثائرين القوميين الذين ينادون ويسعون على أن يكون العرب من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر كما يسمونه دولة واحدة وأمة واحدة. ومعسكر المحافظين التقليديين الذين يرون إصلاح الوضع من الداخل، ويزعمون أن مطامح القوميين خيالية وغير قابلة للتحقيق بأي حال من الأحوال. وأن الإسلام هو الحل والرابط الأقوى. انقسم الناس بين هذين الرأيين ولم يكن هناك رأي ثالث، إلا ما لا اعتبار له. مضى كل معسكر يعزز آراءه بما يستطيع بالقول والعمل حيناً وفي المناوشات والحروب المحددة أحياناً أخرى، وسار الحال على ذلك ولم يستطع أي من المعسكرين تحقيق شيء مما كان ينادي به، أو يطمح إليه حتى كانت النتيجة النهائية لانقسام هذين المعسكرين هي الهزيمة الساحقة في سبعة وستين. 67. بعد ما يقرب من ستين سنة أي في الوقت الحاضر. أصبح لدينا في العالم العربي من لا يزال يفكر في أن يصبح العالم الإسلامي كله وحدة واحدة. ومن ينادي بأعلى صوته أن يصبح كل إقليم دولة قائمة بذاتها، بل قد يفكر البعض أن تصبح المدينة وضواحيها مشروع دولة عربية قادمة. وبين هذين الطرفين المتباعدين مائة رأي ومائة رؤية، كل رأي ورؤية تدفع إلى مزيد من التشرذم والاختلاف والتمزق، وكل رؤية تعد مشروعها الخاص الذي تغذيه أفكار تقوم على ما يشبه المنامات والأحلام. فإذا أخذنا برأي القومية العربية الذي أشرنا إليه في مستهل هذا المقال، فقد حل محله الثنائيات العرقية والإقليمية التي بدأ الحديث عنها وعن حقوقها ووجودها واختلافها وتميزها عن غيرها من سكان الأرض العربية. كنا لا نعرف غير العربية والعرب من المحيط إلى الخليج، فأصبحنا اليوم نعد في هذا المحيط ثنائيات عرقية كثيرة كانت ضمن بطانة المجتمع العربي منذ الأبد ولم تظهر برأي وصوت إلا في هذا الزمن الطيب. وإذا أخذنا برأي الفريق الثاني الذي كان يدعو إلى أن يكون الإسلام هو الحل وجدنا أمامنا مئات الصور للإسلام ومئات الطرق والمذاهب ولكل صورة ومذهب دعاة ومنظرون لا يرى بعضهم صواب رأي الآخر ولا يرضاه ولا يأخذ به. بدأت مرحلة الفوضى والسريالية العربية اليوم بلا ضابط وبلا قيادة، وانتهت المعسكرات الشرقية والغربية إلى جماعات وأحزاب

www.mtenback.com

وفئات كل يرى الحل ما يراه والصواب ما يسير عليه؛ هذه الفوضى ستقود في نهاية مطافها إلى هزيمة أكبر وأخطر من هزيمة 67 ما لم تحدث معجزة ربانية تنقذ ما بقي من بقية. لقد اختطف صوت العقل وغابت الحكمة وجال في هذه المنطقة الحرب واختلفت الاتجاهات وتعددت مناهج الذين يشعلون الفتنة والمستفيدين منها. لقد آن للعقلاء من العرب في كل مذهب ورأي وطائفة أن يعلنوا الرفض الكامل لهذا الحال والفوضى ولا سيما أهل الرأي والفكر، وألا يحطب أحد منهم في حبل الجحيم المستعر الذي توقده الرغبات الجامحة والنزعات المشبوهة، ولا يربح من هذه الفوضى أحد في المحصلة النهائية غير الأعداء.

دعوة للصادقين ودعوة للعقلاء المخلصين ودعوة للصامتين أن يقولوا لما يحدث لا وألف لا؛ وما ذلك على الله بعزيز.

آخر سطر للشاعر محمد المشعان رحمه الله:

(وانتهوا من متاهم وابتدأنا متاهنا) [1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

المنصور تؤكد أهمية الاقتراب من الشباب للحد من ظاهرة «العربيزي»

ابن تنباك: تغيُّر التركيبة السكانية يهدِّد اللغة العربية في دول الخليج

حذر الباحث والأكاديمي الدكتور مرزوق بن تنباك، من هجرة غير العرب إلى دول الخليج العربية، موضحاً أنها تشكل أكبر خطر يهدد المكون السكاني للدول الخليجية منذ خمسين عاماً.

(1) اليمامة: العدد 2262، السبت 6 شعبان 1434هـ.

www.mtenback.com

وقال ابن تنباك في ندوة «اللغة العربية وتحديات الهوية»، التي أقيمت صباح أمس في فندق ماريوت في الرياض ضمن البرنامج الثقافي للمهرجان الوطني للتراث والثقافة «الجنادرية 28»: إن الدول تقبل التعددية في كل شيء، في الأعراق، الأجناس، والديانات، إلا اللغات، مشيراً إلى أن الدول تضمن دساتيرها باللغة الرسمية للبلد.

وأوضح أن اللغة العربية تواجه تحديات، منها العاميات، ومزاحمات اللغات الأجنبية، وكذلك العولمة، التي وصفها بـ»التحدي الكبير للأمة»، مشدداً على أن دول الخليج تعيش حالياً أكبر خطر يهدد مكونها السكاني بهجرة هائلة من غير العرب إليها، لافتاً إلى أن في 85% من سكان الإمارات غير إماراتيين، ويقطن قطر 80% من غير القطريين، وأن الأجانب والمواطنين في المملكة والبحرين يقتسمون نسبة السكان فيها، أما عمان فيسكنها 40% من غير العمانيين.

وأشار ابن تنباك إلى أن اللغة العربية أصبحت أقلية في دول الخليج، لأنها أضاعت الفرصة أن تكون اللغة العربية هي الوسيط بينهما، مبيناً أن الإنجليزية أصبحت هي اللغة الوسيط، وبهذه الطريقة ستتحول الدول الخليجية إلى منطقة دولية مثل سنغافورة، غير أنه لفت إلى أن قطر أدركت الخطر، وعادت إلى اللغة العربية، بعد أن جربت لغات أخرى، مطالباً بعدم رهن المستقبل على الغير.

وشارك في الندوة، إلى جانب ابن تنباك كلٌ من: رئيس نادي المدينة الأدبي الدكتور عبدالله عسيلان، أستاذ اللغة في جامعة الملك سعود، والدكتورة وسمية المنصور، والناشرة اللبنانية غريد الشيخ محمد، وأدارها الدكتور محمد المطلق.

وأكد الدكتور عبدالله عسيلان الحاجة إلى مزيد من الدراسات لمواجهة الحملات المشككة في اللغة العربية، وبث الوعي اللغوي، مشيراً إلى أن اللغة العربية محاطة بتحديات بوجود الجنسيات الأخرى، وأن الوعي الحضاري مرتبط بالاعتزاز باللغة، مشدداً على أن اللغة العربية تستوعب كل علوم العصر.

من جانبها، قالت الدكتورة وسمية المنصور إن اللغة تعد أقوى أدوات التواصل، ومرآة الفكر، مشيرة إلى أن اللغة عناصر متعددة الروابط، هي مجموعة هويات فسيفسائية لها وجهان، محسوس ومعنوي.

وعرضت المنصور استعمالات اللغة المحدثة «العربيزي»، مشيرة إلى أنها لغة بعض شرائح الشباب

www.mtenback.com

العرب السائدة اليوم، وتتداخل فيها مفردة أجنبية وكتابة عربية بخط لاتيني، بسبب تقنية الحواسيب. وأرجعت هذه الظاهرة، التي تنتشر بسرعة، إلى هيمنة اللغة الإنجليزية على حياة المجتمعات العربية، لافتة إلى أن الشباب العرب أصبحوا يلوكونها، مع كثرة الأخطاء الكتابية والإملائية والنحوية فيها، معتبرة «العربيزي» من التشويه اللغوي، وموضحة أن عوامل هذا التشويه تعود إلى ضعف انتماء دعاة «العربيزي» إلى اللغة الأم، وتغير ولاءاتهم، وسيطرة عقدة المغلوب. وبيَّنت أن «العربيزي» تتمثل في مزاوجة الأبجدية المكتوبة بالرقمنة، والاختزالات «العربيزية» في لغة الشباب المكتوبة على الإنترنت، وكتابة العربية بالخط اللاتيني، وانتشار القصائد الشعرية «العربيزي»، وتعريب المعاني العربية باللفظ الأعجمي.

وحددت المنصور مسببات ساعدت على استقرار «العربيزي»، وهي: تقنية الحواسيب، وهيمنة اللغة الإنجليزية على جوانب الحياة في المجتمعات العربية، وحقيقة تأثيرها في الفكر المجتمعي كأسلوب حياة، موصية بضرورة الاقتراب من اهتمامات الشباب، وعدم التهوين من توجهاتهم، ومشاركتهم الشعور بالمسؤولية تجاه أمتهم وهويتهم وانتمائهم.

أما غريد الشيخ محمد، وهي صاحبة أول معجم إلكتروني، فتحدثت عن المعاجم ودورها في الحفاظ على اللغة العربية وهويته، مبينة أن ابن عباس كان أول معجمي عند العرب، موضحة أن العرب مقصرون في متابعة اللغة، وأن هناك فجوة بين المعاجم الحديثة والقديمة[1].

(1) صحيفة الشرق: 1434/5/28هـ، 2013/4/9م.

www.mtenback.com

اللغة والمكون السكاني في الخليج

دعاني منظمو مؤتمر الجنادرية مشكورين للمشاركة في البرنامج الثقافي لهذا العام بندوة بعنوان الهوية الوطنية والتحديات، وقد كتبت بحثاً طويلاً في هذا الموضوع، وعندما حضرت الندوة الأولى كان المتحدث فيها هو رئيس وزراء إسبانيا فبدأ حديثه عن اللغة الإسبانية ومكانتها وعن أهميتها وعدد المتكلمين بها، وأفاض بمكانة لغته وتاريخها وما تحمله من مقومات الهوية الإسبانية، رغم أن اللغة الإسبانية لا يتكلم بها أحد في هذه البلاد، والرجل يتحدث عن السياسة والاقتصاد، ولم تكن الثقافة أو اللغة من موضوعات ندوته، ولا من اختصاصه. لكنه عرف أن اللغة هوية الأمة التي ينتمي إليها فبدأ وعرف بهوية أمته ومكانتها من خلال اللغة.

لقد تجاوز المقدمات وأكد أن اللغة ليست وسيلة تواصل، بل هوية معبرة عن الأمة وسيادتها. وهذا ما يجب أن نفعله نحن ونهتم بلغتنا كما اهتم هو بلغته؛ لأن اللغة هوية أمة وقومية مجتمع وهي محدد سيادي للدولة؛ بدليل أن الدولة أية دولة قد تجمع أنواعاً من الأمم والشعوب والقوميات والديانات والعرقيات والثنائيات والألوان والأجناس وتقر هذا التنوع والتعدد وتقبل به، ولكنها لا تقبل إلا أن تكون لها لغة واحدة موحدة هي اللغة الرسمية التي ينص عليها بالدستور مع تحديد مقومات الأمة وكينونتها.

هنا لا تحتاج اللغة إلى ندوات ومؤتمرات تحتاج إلى قرار سياسي ملزم ومطلب سيادي للدولة وليست لغة تواصل فحسب. ولغتنا في الجزيرة العربية والخليج تواجه خطراً غير مسبوق في العالم، وهو المكون السكاني الجديد؛ إذ أصبحت هذه المنطقة منذ خمسين عاماً منطقة جذب هائل للمهاجرين من جميع أنحاء العالم، وأصبحت الغالبية السكانية من غير العرب وهم مختلفون لغة وثقافة ودينياً. هذا الطوفان القادم إلى الجزيرة العربية وخليجها له مرجعيات غير العربية. وهو مكون من: ثنائيات لغوية شتى، وثنائيات دينية كذلك، وثنائيات عرقية، وثنائيات ثقافية.

هذه الثنائيات تشكل الغالبية السكانية في المنطقة ولا يجمعها سوى عاملين اثنين.

الوطن الذي قدمت إليه وأقامت فيه وهي الجزيرة العربية، واللغة التي ستكون وسيطاً بينهم.

www.mtenback.com

لذلك كان من الواجب أن تكون اللغة العربية لغة البلاد الأصلية هي الوسيط الذي يتعامل به هذا المكون السكاني الجديد، وأن تكون الثقافة العربية هي الإطار الذي يحوي هذا الخليط من البشر، ولكن مع الأسف الشديد أن دول الخليج أوجدت وسيطاً آخر أو فرض عليها، هو اللغة الأجنبية، حيث توجهت منذ عشرين سنة إلى التعليم باللغة الإنجليزية، وأتاحت فرصة ذهبية لهذا المكون السكاني الجديد ليتخلص من آخر رابطة تربطه بالعربية وثقافتها وتراثها وهي اللغة، ويجد وسيطاً يحرره من الانتماء للعرب والعروبة. حيث اللغة الأجنبية.التي يتفاهم بها الجميع وتعلم بها الدول الحاضنة لهذا الخليط البشري الكبير علومها في كل المجالات.

وأمام هذه الكثرة السكانية من غير العرب لم يبق من ورقة بأيدي أهل المنطقة للمحافظة على هويتهم إلا اللغة العربية وثقافتها.

وهنا يأتي السؤال المسكوت عنه هل هؤلاء الغالبية السكانية عمالة قادمة تعمل وتعود لبلادها؟ كما نظن أو أنهم سكان ومقيمون في المنطقة؟ أكثرهم ولد وعاش وتعلم واتجر وتملك في البلد وانطبقت عليه شروط المواطنة وحقوقها كاملة إلا الورقة التي تسميها الحكومات الجنسية.

الجواب أن 60% من هذا الخليط من الناس ينطبق عليهم إجابة السؤال الثاني فهم مقيمون، وسكان بالوطن ولا يمكن إخراجهم، لأنهم اكتسبوا بإقامتهم الطويلة أو بولادتهم على الأرض حقوق المواطنة وحقوق الإقامة الدائمة التي سيطالبون بها لا محالة في مستقبل الأيام، وستدعمهم المنظمات الحقوقية، والقوانين الدولية، وتؤيدهم الدول الكبرى التي ينتمي غالبهم إليها في الأصل مثل القارة الهندية بدولها الثلاث.

إذن نحن هنا أمام خيارين لا ثالث لهما.

إما أن نقاتل بكل ما أوتينا من قوة لنجعل العربية لغة وثقافة هي الوسيط بين هذه الثنائيات السكانية الجديدة التي سيفرض علينا قبولها شئنا أم أبينا. ولم يبق إلا ورقة اللغة والثقافة بأيدينا نعدها للمستقبل وندافع بها عن عروبة البلاد وثقافتها. ولا شك أننا سنحتاج لهذه الورقة عاجلاً أو آجلاً. أو أن تكون اللغة

www.mtenback.com

الأجنبية الوسيط المشترك وهنا لا يصبح لأحد ميزة عن الآخر فكلنا لآدم وآدم من تراب ودمتم طيبين[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2255، السبت 17 جمادى الآخرة 1434هـ.

www.mtenback.com

العجوز والشيخ

ماذا لو كنت جالساً في مكان مزدحم ورأيت شيخاً كبيراً مسناً قادماً يتكئ على عصاه، ورأيت شاباً يافعاً ينهض من مكانه ليجلس الشيخ فيه، لا شك أنك ستقدر هذا الشاب وتشكره على هذه البادرة وتثني على سلوكه الحضاري وخلقه الكريم وتقول: إن الدنيا ما زالت بخير، لكن ماذا لو رأيت عصا الشيخ تقع على ظهر الغلام بثورة غضب جنونية، وأنت والشاب ومن حضر المجلس لا تعرفون لماذا غضب الشيخ هذا الغضب، ولماذا قابل الإحسان بالإساءة .. هذا ما حدث أمامي في شكل دراماتيكي لا يتوقعه أحد. والسبب عدم معرفة الفارق بين هاتين الكلمتين اللتين وضعتهما عنواناً لهذا المقال. وقبل أن أكمل لكم ما حدث أمامي فإني لا أعرف أحداً في الجزيرة العربية يسمي الرجل الكبير (عجوزاً) وإنما الكلمات المعروفة الشائعة في مجتمع الجزيرة هي، شيخ، عود، مسن، شايب، قحم، وغيرها من المترادفات التي تصف الرجل إذا تقدمت به السن. أما العجوز فهي صفة خاصة بالنساء إذا تقدم بهن العمر أيضاً وطواهن الزمن، ولها مرادفات أخرى. وقد ذكر القرآن الكريم، الشيخ صفة للرجل وذكر العجوز وصفاً للأنثى، وقرر ذلك وأثبته وميز بينهما في قوله تعالى على لسان زوجة أبينا إبراهيم: (قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب) ووصف زوجة لوط: (إلا عجوزاً في الغابرين) ومثل ذلك قول ابنتي شعيب في وصف أبيهما: (قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)، وكذلك قال إخوة يوسف وهم يستعطفون الملك: (إن له أباً شيخاً كبيراً). فالفصاحة العربية واللفظ القرآني حددا الدلالة التي تتفق مع اللغة التي تميز الصفات للرجل وللمرأة، ولم يخلط المعنى ولا الاستعمال. وصدق الله حين وصف كتابه بأنه لسان عربي مبين.

نعود للقصة لقد نهض الفتى من مكانه وهو يقول بكل براءة للرجل الكبير تعال مكاني يا (عجوز) فكانت العصا إلى ظهره أسبق من المجلس مكانه، وكانت دهشة الحاضرين لثورة الشيخ وغضبته وسرعة رد الفعل عنده هي ما أثار فضول الجميع، ولا سيما مع حسن القصد وسوء العاقبة، لم يقبل الشيخ الأعذار التي شرحت المعنى وحاولت الترضية وإن كان قد أظهر شيئاً من الندم لتسرعه دون أن يعبّر عنه إلا أنه

www.mtenback.com

أصرّ على أن هذه الكلمة الجارحة لشعوره لا يمكن أن يقصد بها غير المرأة أو التشبيه بها، وأنه لم يسمع أحداً يصف الرجل بصفة المرأة، وهو يريد إكرامه. بعد أن هدأت العاصفة. سألت الفتى عما قال وهل سمع أحداً من أهله يستعمل هذه الكلمة للرجل قال لا ولكنني سمعتها من بعض الناس وأعجبتني ولم أقصد الإساءة للرجل ولكنه الخطأ الذي وقعت فيه[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2259، السبت 15 رجب 1434هـ.

www.mtenback.com

وعاظ المثقفين

مثلما يكون في الأديان وعاظ ومذكرون يرققون القلوب ويصفون الأماني والآمال، ويخوفون الناس ساعة ويرغبونهم أخرى، فكذلك يكون من المثقفين شبه مذكرين ووعاظ، ومنظرين للعامة والخاصة، تعجبهم الغرائب والأساطير، والفرق بين هاذين الطرفين، هو في المضمون وليس في الآليات التي يتبعها كل فريق من الوعاظ، وإن كان المستهدف في النهاية هو الجمهور الذي يرى كل طرف أنه أحق بقيادته والتأثير فيه، ويتوجه إليه بالنصائح ويطلب منه أن يسمع ويطيع.

يتكئ وعاظ الأديان على الترغيب والترهيب بأمور تتعلق بمصير الإنسان الأبدي، ويقدمون له من أساليب وعظهم ما يرونه يسعد الإنسان في دنياه وآخرته، والناس معهم يبحثون عما يسعدهم فيهما، ومن من الناس لا يريد تلك السعادة الأبدية في الدارين التي يهتم بها الوعاظ والمذكرون؟

أما وعاظ المثقفين ونشطاؤهم فيختارون الحياة الدنيا وزينتها ويشاركون الناس آمالهم وأيام حياتهم، يتحدثون عن الماضي القريب الذي عاشه الأجداد وأدركه الأحفاد، ويسرفون في وصفه وتقبيحه، يرهبون به ويرغبون عنه، يقولون: عندما كنا متفرقين ومتناحرين وفقراء ومساكين، ويضخمون حجم ماضينا القريب البائس ليقيموا المقارنة بين ذلك الماضي وهذا الحاضر الذي ينعم الجميع فيه برغد من العيش، لا يمكن مقارنتها بالماضي. ويعيشون فترة من الاستقرار والأمن الذي ينعم به الناس اليوم وقلما تمتع به أسلافهم في الزمن الذي لم يمر عليه طويل وقت، ولم يمر على الأجيال التي عاشته ما ينسيهم أحاديث ذلك الزمن، وخطاب وعاظ المثقفين يحمل في طياته ودلالاته دفع مساحة الرضاء عن الحاضر والغبطة به والمحافظة عليه والقناعة به حتى لا يعود ذلك الزمن الرديء في رأيهم. وهو أمر يحمل في مضمونه رداً مبطنا على من يتطلعون في حاضرهم إلى مستقبل أفضل مما هم فيه؛ لأنهم يعرفون ذلك الماضي كما يعرفه وعاظ المثقفين، ولا يريدون أن يخسروا هذا الحاضر الجميل خوفاً أن تعود بهم الأيام إلى ذلك الماضي البائس، وفريق الوعاظ المثقفين ومن يتوجهون إليهم بالوعظ من أبناء الحاضر متفقون على الهدف ومختلفون في آليات تحقيقه.

www.mtenback.com

فالماضي البائس الذي يذكر به ويكرره وعاظ المثقفين ويقيمون المقارنة بينه وبين الحاضر هو نفسه الذي يعرفه الفريق الآخر الذي يوجه إليه الوعظ والإرشاد أو يسمع عنه ويدرك خطورته فيحاول ألا يعود ذلك الماضي ولا تعود أسبابه ومبرراته، ولهذا كان الخوف من عودة الماضي البائس هو الدافع للبحث عن مستقبل يبعد شبح ذلك التاريخ الذي يتنازعه الطرفان وكل يتخذه سبباً في موقفه الذي يقفه ويفسر فيه رؤيته التي يراها معتمداً على المنازعة والاحتجاج. لا خلاف على الغاية بين الفريقين وإنما الخلاف على الوسيلة التي تقود إلى الغاية، كل يعرف الماضي، وكل يدرك الحاضر، وكل يريد أن يعيش مستقبلاً أفضل، ولكن بآليتين مختلفتين ورؤيتين متقابلتين. فأيهما الطريق إلى السلامة والأمن؟ هذا هو السؤال ومنكم ننتظر الإجابة والسلام[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2247، السبت 20 ربيع الآخر 1434هـ.

www.mtenback.com

يوم واحد لا يكفي

احتفل العالم كله والعالم العربي يوم (الثامن عشر من ديسمبر) بيوم اللغة العربية واللغات الحية؛ وهو احتفال مرحب به ليس لأن اللغة تقوم بوظيفة التواصل بين الناس، بل لأن اللغة في كل مجالاتها وأغراضها التي تعبّر بها عن أحاسيس أهلها والناطقين بها هي تعبير عن الهوية والانتماء الذي يحدد ذات الأمة ويميزها عن غيرها وتحفظ به تراثها وتاريخها وموروثاتها، وكلما قويت الأمة عبّرت قوة اللغة عن قوة الأمة؛ ولذلك كانت قوة الأمة ناشرة للغتها وفارضة مكانتها بين الناس، واللغة العربية في ماضيها كانت تحقق هذا الغرض وتقوم بين اللغات لغة وسيطة يتفاهم بها الشعوب والقبائل ولا سيما في العالم الإسلامي الذي يلتمس تراثه الديني والمعرفي في اللغة العربية. واليوم مع التواصل الكبير بين القارات وبين الأمم والبلدان وتقارب المسافات بين العالم شرقه وغربه وشماله وجنوبه كانت اللغة العربية إحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة؛ وهي واحدة من ست لغات معترف بها لغة عالمية يتكلمها ويقرأ في تراثها أكثر من مليار من العرب والمسلمين، وإذ كانت الأمم المتحدة قد حددت يوماً واحداً في السنة للغات الحية وطالبت بالاهتمام بها والاحتفال بيومها العالمي، فإن كل أمة من أمم الأرض تجعل للغتها والاهتمام بها كل أيام السنة وتعمل على تنمية مهاراتها وتسعى لتطوير وسائل تعليمها وتعلمها وتنشرها بين أهلها والمستفيدين منها. ويوم واحد لا يكفي لأن نهتم باللغة العربية، بل إنها تستحق كل الأيام لتصل حاضرها بماضيها وتشارك لغات العالم الحية في الرسالة الخالدة التي تقوم بها، ونحمد الله أن ما توافر من أساليب المعرفة في هذا الوقت يحقق للغة مساراً صاعداً في سلم الأولويات في الوقت الحاضر، ولكن الاهتمام يجب أن يتواصل على أساس الوعي الشاغل بالمكانة التي يجب أن نصل إليها في تقدم اللغة والربط بينها وبين الهوية المعبّرة عن الشخصية العربية والوطنية وعدم التفريق بين الحالين عندئذ يكون هذا الاهتمام غالباً في توجهه إلى كل مكونات المجتمع متفاعلاً مع اللغة في كل معانيها، تواصلاً مع الناس ومع التاريخ الماضي، ومستشرفاً للمستقبل الذي تصنعه العقول والأجيال وتصبه في قالب اللغة المعبّرة عن كينونتنا وعن شخصيتنا التي تحافظ عليها الأجيال وتنتمي إليها وتعبّر عنها وفيها؛ لتكون الشخصية العربية غير

www.mtenback.com

ملتبسة في معانيها أو دلالاتها بلغات أخرى أو مقالات ومقامات لا تقوم فيها اللغة مقام التفرد والتميز والاستقلال، هي دعوة عالمية للعالم كله وهي دعوة خاصة لنا نحن أهل العربية وأبناءها والناطقين بها لتكون كل أيام السنة للغة وألا نكتفي بيوم واحد، وكذلك تفعل الأمم الحية ونحن نحب الحياة ونحرص عليها فلنحب اللغة ففيها حياتنا إن شاء الله[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2238، السبت 16 صفر 1434هـ.

www.mtenback.com

حملة الأوهام

سمعت منذ فترة بعيدة عن شهادات الصيف والشهادات التي لا يتبع الحاصلون عليها الضوابط النظامية الصارمة علمياً والمتعارف عليها أكاديمياً مثل الانتظام في الدراسة في مقر الجامعة، وتحقيق التقدير المعترف به عالمياً في الشهادة الجامعية الأولى (البكالوريوس) والاستمرار في فترة الدراسة زمناً محدداً، والحضور مدة معلومة في مقر الجامعة، وغير ذلك من الشروط التي تحقق الحد الأدنى من الاستفادة المنهجية والعلمية المعتبرة، حتى ولو كانت المانحة للشهادة جامعة قائمة ومعترف بها، ولم نكن نسمع من قريب أو بعيد عن جامعات وشهادات لا وجود لها في أرض الواقع. ومنذ سنوات ليست بعيدة بدأ الحديث عن أناس يحملون ألقاباً علمية لا يعرف من أين جاءت ولا كيف حصلوا عليها، وأصبح الحديث يتكرر عن الشهادات الوهمية وعن حملتها، وكان الأمر في دائرة يقولون نعرف فلاناً وفلاناً الذين لم يغادروا بيوتهم ومنازلهم وأصبحوا حملة للدكتوراه والماجستير وغيرها من الدرجات العلمية التي يتسمى بها هؤلاء، بل لا يستطيع أحد مخاطبتهم حتى من أهلهم إلا أن يضع اللقب العلمي أمام أسمائهم. وأذكر أنني خاطبت واحداً من هؤلاء باسمه مباشرة فعقب مصححاً أنه الدكتور فلان، ولم أرد المناكفة فيما قال فالقضية ما زالت في دائرة المستور الذي لم يكشف غطاؤه، ولم يلبث حملة هذا الوهم أن تكاثروا وتكاثر الحديث عنهم، وازداد عدد الذين يتسابقون إلى هذا المستوى من التدليس على أنفسهم قبل التدليس على الناس حتى أصبحت قضية الشهادات الوهمية وحملتها قضية اجتماعية ومعرفية وأخلاقية، بل أصبحت قضية رأي عام تداولتها المواقع الإعلامية بكل أنواعها وأبعد من ذلك عرضت معلومات بالتفاصيل الكاملة عن هذه الشهادات ومصدرها والجامعات الوهمية التي تمنحها وعن أسماء بعض من حصلوا عليها وهي أسماء لها وجودها العلمي والإعلامي والاجتماعي في المجتمع، منها أسماء تتصدر التوجيه والتثقيف والإرشاد والتربية والتعليم ولم يعد الأمر في دائرة المسكوت عنه ولا الشأن الخاص الذي يمكن غض الطرف عنه. بعد أن نشرت الأسماء وعرضت صور أصحابها على الملأ ومنهم محامون وتربويون وعلماء شرعيون ووعاظ وإداريون وإعلاميون وكل هؤلاء يتصدون لتقويم الناشئة وتوجيه العامة ومراقبة الأخطاء،

www.mtenback.com

وتصحيح السلوك، والحث على الصدق في القول والعمل والبعد عن الغش والخداع والتدليس وهم يدعون إلى الصلاح فيما يقولون، ولكل منهم أصدقاء ومحبون وطلاب، ومريدون لا شك أنهم لا يقبلون منهم الصمت لما يتحدث الناس عنه بل ينتظرون منهم إما التوضيح أو أن يعلنوا موقفاً أخلاقياً وأدبياً شجاعاً أمام مجتمعهم وأمام محبيهم يطلبون فيه عفو المجتمع عما حدث كما فعل واحد منهم حين أعلن براءته وأحرق خطيئته على الملأ فقابل المجتمع عمله بكل التسامح والتقدير وثمن اعترافه وقابله بالشكر له والعفو عنه.

أما الحال الأخرى فالدفاع عن النفس، وهو حق مشروع وقائم وليس فيمن ذكرت أسماؤهم من لا يستطيع الدفاع عن نفسه وشهادته وجلاء الغامض وتوضيح ما حدث إن كان ما ذكر عنهم غير صحيح.

وفي كلتا الحالين يبقى موقف الجهات المسؤولة الرسمي وعلى رأسها وزارة التعليم العالي ووزارة التربية والتعليم ووزارة الخدمة المدنية وواجب هذه الجهات هو حماية الصحيح وتنقيته من المزيف، ووضع حد صارم لما يخدش سلامة المقياس الذي تقوم عليه العملية العلمية والتربوية وإعادة الثقة إلى المنهج الذي لا يصالح ولا يهادن في المقاييس التي تعتمدها هذه الجهات. إن الصمت عن مثل هذه الشهادات الوهمية لا يحقق المصلحة العامة ولا يضمن العدالة بين من عمل وبحث واجتهد وسافر واغترب وبين من يريد المساواة والمماثلة وهو لم يدفع شيئاً أكثر من المال فيما حصل عليه. وبعد أن وصل الأمر إلى هذا الحد من الانكشاف وتحدث عنه الخاصة والعامة وطرح للمناقشة على هذا المستوى من الإعلام والتداول فإنه لا يسع جهات الاختصاص الصمت ولا سيما أن بعض من وردت أسماؤهم من حملة الشهادات الوهمية تسللوا إلى كوادر هذه الجهات ويعملون بها[1].

(1) اليمامة: العدد 2242، السبت 14 ربيع الأول 1434هـ.

www.mtenback.com

قلقون ... لماذا؟

للقلق أسباب كثيرة في حياة الناس أفراداً وجماعات وأمماً وشعوباً، وهو في بعض حالاته أوهام ووساوس، تسببها ظروف الحياة العامة والخاصة، وتوجد عند قلة أو أفراد من المجتمع، وقلّ ما يكون القلق شائعاً وعاماً إلا في حالات قليلة، مثل الأخطار التي لا تستثني أحداً من المجتمع كالحروب والأوبئة والكوارث الطبيعية، التي تجعل القلق أمراً مشروعاً لشمول الخطر عامة الناس وخاصتهم، وما عدا ذلك فالشعور بالقلق يصير نسبياً وجوده غير عام ولا شامل.

ولكن نحن يظهر أننا استثناء في كل الأحوال؛ فالقلق لدينا ظاهرة عامة والتذمر من كل ما حولنا حديث يتكرر في مجالسنا وأحاديثنا، والشكوى والنقد تسمعه من الكبار، ومن الصغار، وتلاحظه في تصرفاتنا وعلاقاتنا، وتراه في حركاتنا وسكناتنا، وفي شوارعنا وأسواقنا، وحتى وأنت تقود سيارتك في الطريق العام ترى القلق فيمن حولك، وتراه فيمن يسير معك في الطريق أو يقابلك فيه. وليس المهم هنا أن نلاحظ الظاهرة، المهم أن نبحث في أسبابها. يقول العلماء: إن العصر الحديث عصر القلق لأن فيه متغيرات سريعة أسرع مما يستوعبه كثير من الناس، وأزمات فكرية متنوعة، وتسارع في الأحداث وتقارب في المسافات، وهم يرون أن القليل من القلق لا بأس به؛ لأنه يجعل المرء مستعداً بشكل أفضل لدرء المخاطر وإتقان التصرفات، والحياة اليومية تواجهنا بكثير من المواقف التي تتطلب الحذر والحيطة والجهد، والقلق باعث للتكيف مع الواقع والتفكير في الحلول ومواجهة الأزمات والتغلب عليها. ولكن نحن في هذه البلاد يفترض أننا بعيدون عن أسباب القلق لعدة أمور؛ منها الرخاء الاقتصادي المتوافر الحد الأدنى منه لأكثر الناس، ومنها الاستقرار الاجتماعي النسبي الذي نتمتع به رغم ما يحيط بنا من هوجاء الزعازع السياسية والاقتصادية التي تعم محيطنا العربي، ومنها الأمن المستتب الذي عاشه الناس منذ قرن من الزمان، ومنها الإرث الثقافي المشترك، وغير ذلك من بواعث الاطمئنان، هذا على المستوى العام. أما على المستوى الفردي فلا شك أن هناك منغصات تطفو على سطح الواقع الاجتماعي وهي مبعث قلق لأكثر الناس تفاؤلًا ورضاً، يأتي في مقدمة هذه المنغصات البطالة، وأزمة السكن، والطفرة الكبيرة في عدد السكان، واكتظاظ المدن، والهجرة غير المنظمة من الداخل والخارج، وازدحام

www.mtenback.com

الطرق، والضغط على المرافق العامة، وهي كلها أمور تتعلق بالحياة اليومية للأفراد ويواجهها الجميع دون استثناء ويشعرون بوطأتها. هذه الحال أحد أسباب القلق المشترك بين الناس؛ وهي أسباب وعوامل ساعدت على ما يبعث الخوف من استفحال هذه الظواهر وخطورتها على المستقبل، والإحساس أن حلول هذه المنغصات غير حاضرة وغير فاعلة. والذين يستشرفون المستقبل من قراءات الواقع يشعرون بكثير من القلق ويخافون على ما هم فيه، وهو خوف إن لم يكن مشروعاً فلا أقل من أن يكون مفهوماً، ولخوف الناس ما يبرره على كل حال.

والخوف هو اللازمة الثابتة في حياة المرء الذي يصاحبه في كل أطوار حياته، ولا ينفك منه في أي حال من الأحوال، يخاف على مكتسباته إن كان من أهل المكاسب، ويخاف من التغير الذي لا يدري أيكون له أو عليه، ويخاف على مستقبله الذي قد لا يكون أفضل من حاضره، ويخاف أشياء قد لا تحدث في حياته أبداً. وهذه أهم أسباب القلق، حيث يحدث الربط بمفهوم التقابل بين الحالين، الحاضر والمستقبل وكل له قراءته الخاصة على ضوء ما يعيشه وما يتعلق بتجربته، والقلق مشروع بشرط ألا يتحول إلى وساوس وأوهام[1].

(1) اليمامة: العدد 2251، السبت 18 جمادى الأولى 1434هـ.

www.mtenback.com

المتغير السكاني

منذ القدم اهتمت الأمم واهتم الفلاسفة والمفكرون بالأرض وبالسكان وقامت الدراسات التي تناقش هذا الموضوع في كل الحضارات القديمة كالحضارة الصينية التي يعد لها السبق في علاقة الإنسان بالأرض والحضارة الإغريقية التي ميزت السكان وصنفتهم وما تلاها من أنواع الحضارات، وفي كل الأطروحات والدراسات القديمة والحديثة تكون الجدلية القائمة هي الأرض ومن عليها من السكان والعلاقة بين العدد البشري والمساحة التي تستوعب هذا العدد الكثير من الناس وتقوم بحاجاته، ومع هذا الهاجس الإنساني القديم لضبط التوازن بين الأرض وساكنيها نشأ متدرجاً مع الزمن العمل على ألا يترك الأمر للصدف أو الاحتمالات ولكن يكون الضبط الواعي لحركة الإنسان على الأرض، حيث تبقى الأرض ويبقى الإنسان، ولهذا كانت العصور الحديثة أكثر تقنيناً واحتراز اً مما كانت عليه البشرية في عصورها الماضية. فقد تنبه الحاضرون لما تواجهه الأمم من تفجر سكاني غير مسبوق وكثرة النمو الهائل للناس على مساحة لا تزيد بزيادة البشر ولا تنمو بنموهم، وهنا كانت المفارقة التي أيقظت الإحساس بالعمل على بحث الوسائل الممكنة لمواجهة المتغير السكاني مع الثابت المكاني؛ فجاء الوعي والاهتمام بما يمكن أن يفعل حتى لا تصبح الأرض عاجزة عن تحمل ما تقذفه الأرحام على متنها وما تنوء به قدرتها.

وكانت الدولة الحديثة في كل أشكالها وأنواع الحكم فيها تقوم بوضع الخطط والدراسات الديمغرافية التي توازن النمو السكاني مع احتمالية الأرض وقدرتها على الاستيعاب والتحمل والمواءمة بين مسؤوليات الدولة وما تنتجه الأرض وتجود به، وكانت الخطط توضع والدراسات تقوم آخذة في الاعتبار علاقة الطرفين ومصلحتهما، وقد أصبح هم الدول المعاصرة هو كيفية الحفاظ على المستقبل الأفضل للناس، ولا يمكن أن يكون ذلك في ضوء التزايد المفرط، بل الانفجار غير المسبوق في عدد السكان في كل الدول إلا ما قل وندر، ومع هذا التكاثر غير المسبوق ما زالت بعض الدول حائرة فيما يجب أن تفعله لمستقبل الأرض وسكانها رغم أن الدراسات السكانية التي تمت وأثمرت تشير أو تقدم أشكالاً من الحلول يمكن الاستفادة منها والاعتماد عليها في وضع أفضل مما هو قائم، ولا سيما في عالمنا الثالث الذي يتردد بين

www.mtenback.com

تقاليده الاجتماعية الموروثة التي عهدها في تاريخه وبررها في أقواله وسلوكه وبين واقع الحال الذي صار إليه دون أن يدرك أن ما كان في الماضي قد تغير ولم يعد ممكناً العمل به، وأن متطلبات الحياة اليوم غيرها بالأمس. إن التحولات والإشكالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في الوقت الحاضر لا تترك فسحة للتراخي وتجاهل الواقع السكاني ولا تسمح بغض النظر عن تطبيق خطط محكمة تتوجه للرعاية الواعية للإنسان والقيام بحاجاته على مبدإ التنمية للقدرات وتنمية المهارات والإبداع مهما كان العدد قليلاً، فالأمم اليوم لا تحسب بكثرتها ولكنها تحسب بالإنتاج والعطاء والتميز فيه، وإن قل عددها. إن الكثرة العددية لا تعد غرضاً من أغراض التنمية المنتجة إذا لم تكن مؤهلة تأهيلاً عالياً وصالحاً للعطاء والإنتاج، وأن التوعية بالنوعية أجدى[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2233، السبت 10 محرم 1434هـ.

www.mtenback.com

صنيتان اليوناني

يوم السبت الموافق 28 /10 /1433هـ كانت محاضرتي في النادي الأدبي في الرياض عن التحول السريع الذي يعيشه مجتمعنا في اللهجات واللغات والصفات، وأشرت أنني قبل ثلاثين عاماً كنت أعرف طلابي في الجامعة من أسمائهم ولهجاتهم من أي مكان جاؤوا، أما اليوم فقد تقاربت اللهجات والصفات، وقد شرفني بالحضور أساتذتي الكبار عبدالرحمن الطيب الأنصاري ومنصور الحازمي، وعند المناقشة لم تفت أستاذي الكبير الدكتور منصور الحازمي بروحه المرحة (وقفشاته) الذكية كعادته أن يجعل من اسمي ملمحاً ثقافياً قبل أسماء الآخرين، وقد أشرت في الإجابة إلى أن أحد أساتذتي الغربيين عندما سمع اسم الوالد صنيتان زعم أنه يوناني من أثينا ولم أصحح له، بل قبلت تفسيره وهو تفسير مخالف لرأي الأستاذ الرحالة محمد العبودي الذي قال عندما ترجم للوالد(صنيتان) في بعض كتبه: إنه عربي فصيح يعني في اللغة العربية، السيد الكريم والشريف المطاع في قومه. وهو كذلك في معاجم لغة العرب، وأول من ذكر بهذا الاسم هو صنيتان بن بكر شيخ قبايل عنزة في القرن السابع الهجري 700هـ. ثم كانت أسماء شيوخ القبائل على منواله ومنهم صنيتان الضبط، وصنيتان بن راجح، وصنيتان الفرم والد الفارس المشهور في هذا العصر محسن الفرم، وصنيتان بن جهز بن شرار وصنيتان الشطير، وصنيتان أبو اثنين، وصنيتان بن تنباك، وصنيتان بن سعود والد فهد بن صنيتان الذي طالب الوالي التركي في الأحساء، أمير البحرين بإخراجه هو والإمام عبدالرحمن الفيصل من البحرين لما يقومان به من أعمال واضطرابات ضد الحكم التركي. وكل واحد من هؤلاء شيخ لقطاع قبلي كبير في الجزيرة العربية قبل عصر الدولة، ينطبق عليهم ما قاله العبودي وما تقوله معاجم اللغة العربية.

أما أنا فأميل إلى رأي أستاذي البريطاني وأشعر أحياناً بشوفونية يونانية آثينية. وقد نسبت بعض الصحف التي غطت المحاضرة، ومنها جريدة اليوم، وعكاظ، والاقتصادية، حكاية ما قلته نقلاً عن أستاذي البريطاني إلي شخصياً، وما قلته عن يونانية الاسم هو حكاية عما قال ذلك البريطاني.

أما تنباك فأول من نبهني إلى لطفه هو أستاذي عبدالله دبور - رحمه الله -، مدير مدرسة عمر بن

www.mtenback.com

الخطاب المتوسطة في المدينة المنورة عندما رأى اسمي وأظهر كثيراً من الاستغراب ثم أدرك بحسه التربوي أثر ذلك علي وبدأ يعتذر عن استغرابه مما شجعني على أن أخبره أنني أخفيت اسمه عن أهلي حين وجهتني إدارة التعليم إلى مدرسته؛ مما أثاره مرة أخرى وجعل يسألني عن معنى اسمه فارتبكت ولم أستطع الجواب، فصاح بحارس المدرسة يا عم حامد يا عم حامد ما معنى (دبور) عندكم فكان الجواب بلغة عامية: (الله يكفينا شر الدبور الله يكفينا شر الدبور يا أستاذ)، وما أظن ذلك الرجل كان يعرف اسم المدير. فسأله مرة أخرى عن تنباك فقال: (ونعم ونعم من أبوك ياورع)؟

وقد وجدت أن التفرد بهذا الاسم الجميل سيجنبني التكرار والمماثلة في الأسماء التي يعاني منها كثير من الأسر، وتكرار الأسماء يفقدها التمييز الذي هو وظيفتها في الواقع كما قال الدارمي:

لعمرك ما الأسماء إلا علامـــة منار ومن خير المنار ارتفاعها[1]

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2226، السبت 13 ذو القعدة 1433هـ.

www.mtenback.com

إدارة الحشود

إدارة الحشود في العصر الحاضر علم قائم بذاته له أدواته وآلياته التي تقوم بها جهات متخصصة، زكت بالخبرة والتجارب، وتطورت بالممارسة مع مرور السنين والأعوام، حيث كانت الحياة الجديدة في مجتمعات اليوم تجبر كثيراً من الناس على التجمعات السكانية الكثيفة في المدن وفي الأسواق، وتكون الاحتفالات والمناسبات الجماهيرية الضخمة، والاحتجاجات والاعتصامات وغيرها أمراً حاضراً في وعي المشرفين على مثل هذه المناسبات، ولا تخلو عواصم العالم من هذه التجمعات. وهذا ما جعل إدارة الحشود تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام المخططين للمدن والمطورين لها. وبازدياد المواجهات وتكررها تزداد الخبرة لدى المخططين والمطورين لمواجهتها، ويتجاوزون الحلول المؤقتة إلى الحلول الإستراتيجية الدائمة نتيجة للخبرة والتجربة وطول الممارسة.

وطول الخبرة والتجربة والممارسة لا تنقصنا نحن في هذه البلاد لأننا أقدم مجتمع عايش الحشود البشرية في التاريخ القديم والحديث، حشود الحج إلى مكة إذ كانت المكان الأول الذي يحتشد فيه آلاف البشر في مكان واحد وفي زمان واحد وأداء متطابق في كل اللحظات التي يبقى فيها الحجاج في المشاعر المقدسة. كانت قريش في الجاهلية قد أدركت أهمية هذا الموسم وقيمته الدينية والتجارية، وعرفت أهمية أن يشارك جميع أهل مكة في خدمة الحاج والمعتمرين فحددت المسؤوليات كما نقول في الوقت الراهن، وجعلت لكل قبيلة من قريش وظيفة تقوم بها مثل السقاية، والإطعام، وأمن الحجيج وغير ذلك، مما يحتاج الناس إليه، ويساعد على إدارة الكثرة الطارئة في زمن محدد، وفي وقت معلوم، وقد جاء الإسلام فزاد أهمية الحج وأكد فرضها على القادرين من المسلمين كافة عرباً وغير عرب، وزادت أعباء الحجيج وتعددت وظائف القائمين على خدمتهم. وإذا نظرنا من زاوية التراكم الكمي للخبرة والتكرار والتجربة فإن أقدم حشد في التاريخ هو الحج وأن أطول خبرة وتجربة وتراكماً معرفياً لإدارة الحشود يجب أن تكون عندنا نحن أهل مكة والمدينة بسبب ممارستنا المغرقة في القدم والبعد التاريخي والتجربة الطويلة في خدمة الحجيج وشأنهم، ومع هذا كله كان الحج في كل عام يستنفر الطاقات وتحشد له كل الإمكانات البشرية

www.mtenback.com

والمادية، وهي إمكانات ضخمة في مقاييس الماضي كله والحاضر، ونستطع بالتراكم والتجربة الطويلة المتكررة في كل عام أن نتجاوز بعض المعوقات التي تعترض العمل، وتحول دون كماله الذي نريد له، في كل عام تواجه الناس في الحج مشكلة ما، وتعترض قضايا تحتاج إلى أن نعاود التجربة أو نبحث عن جديد لحلها، لا أشك لحظة واحدة أن كل مسؤول في كل موقع يبذل أقصى ما يستطيع لخدمة القادمين وراحتهم، وهو واجب يقومون به ويشكرون عليه. لكن يجب أن نبحث عن أسباب عدم الاستفادة من طول التجربة والتطور في آليات وأدوات الحاضر وإدارة جماهير الحجيج ومتطلبات ذلك.

كنت في العشر الأول من هذا الشهر في بلاد إسلامية لها عدد كبير من الحجاج وقد واجهوني ببعض ما يعانيه أقرباؤهم الذين كانوا في المشاعر المقدسة من مشاكل يمكن تجاوزها أو التخفيف منها أو من بعضها لو أنصتنا قليلاً إلى الرأي الآخر، واستفدنا من تجاربنا ومن أخطائنا فيما سبق ومن نجاحنا فيما نرى أننا نجحنا به. وفق الله الجميع لكل خير[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2230، السبت 18 ذو الحجة 1433هـ.

www.mtenback.com

هل في المعاذير مندوحة؟

المجتمع الراكد الذي لا يجد ما يشتغل به من الأمور المهمة يشغل نفسه بالأشياء قليلة الفائدة وعديمة الأهمية، وأكثر ما يشغل هذا النوع من المجتمعات تسقّط أخطاء الآخرين مهما قلت، والجلبة حولها ورفع الأصوات بالضجيج العالي حتى يتغلب على هاجسه من الفراغ الذي يشعر به، ومنذ القدم وجد من الناس من لا يرضى عن شيء ولا يقدم شيئاً، ولكنه يبحث عن موضوع ما مهما كان صغيراً يثير حوله الزوابع ويشغل نفسه ويشغل الآخرين معه، ويجعل ما يرى قضية تستحق قدراً مناسباً من الزعيق والعويل، وأكثر من يقع بين أيدي هؤلاء الباحثين عن الأخطاء هم القلة النادرة من الناس الذين يقدمون شيئاً للمجتمع ويعملون شيئاً ومفيداً وإن تخللته بعض الأخطاء، كان بإمكان هذه القلة أن تحترز من الأخطاء بما كان يسميه الأقدمون «المعاذير»، ولا شك أن من يتصدى لقضايا المجتمع الفكرية والثقافية يعرف الطريق إلى هذه المعاذير ويستطيع أن يستعمل كلمات لينة مخملية طيعة في طبيعتها يحبها الناس ولا يجد المتسقطون للأخطاء سبيلاً إليها، ولكنهم لا يفعلون ذلك لسبب بسيط وهو أنهم لا يريدون الاتكاء على كلمات تعمم الأخطاء وتعومها، بل يريدون وضع الأمر في موضعه وتحديد الخطأ وتعيين من قام به، ولديهم من الشجاعة ما يجعلهم يواجهون الواقع كما هو ويتحملون مسؤولية الكلمة وإن جرت عليهم بعض التهويل والاستنكار والتهديد، رسالة الكلمة لا تقبل أن تكون مخادعة أو مؤاربة، ومن يعد نفسه لتصحيح ما يراه خطأ يتحمل مقابل ذلك ثمن المواجهة مع الخصم المشاغب الذي لا يرى غير رؤيته الخاصة به، في هذا الوقت توافرت وسائل كثيرة للتعبير المفتوح الذي يستطيعه عامة الناس! وخاصتهم. وأثيرت قضايا كثيرة في شؤون الحياة وشجونها، تطرح حولها الآراء وتختلف المواقف، ويدلي كل طرف بدلوه ويظهر ما يعتقد وما يدافع عنه، وتتنوع المذاهب في هذا المنهج؛ فهناك من يلف ويدور حول ما يرغب عرضه، ومن يغلف آراءه بكثير من الغموض والتلون خشية أن يقع في سوء الفهم وما يتبعه من تبعات لا يرحب بها أحد، وهناك من ينجح في رفع الصوت حتى وإن كانت الحجة واهية ولكل وجهة هو موليها.

لكن النقد البناء الذي يطلب الكاتب من ورائه الإصلاح لا يتلفع بمندوحة المعاذير، ولكنه يعمد إلى

www.mtenback.com

قدر واضح من الصراحة والمواجهة مع الواقع بلغة لا تتكئ على مساحات من التعميم الواسع، بل تضع النقاط على الحروف وتحدد المعنى وتشخص المشكلة بشكل من البيان لا يلتبس على أحد، ومن منا لا يريد أن يكون طالباً للسلامة حريصاً عليها، ويود أن يتحقق له الأمن في مجتمعه فلا يغضب من أحد ولا يغضبه أحد، وهذا ممكن لغير رواد الكلمة وقادة الرأي، أما هؤلاء فلا بد أن يقولوا كلمة ترضي فريقاً وتسخط فريقاً آخر، وقلما يكون غير ذلك ولا بد أن يتحملوا قدراً من الصخب ورفع الصوت بحجة وبدونها، وتلك ضريبة لا بد منها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2222، السبت 14 شوال 1433هـ.

www.mtenback.com

ضيف الشرف

في كوريا الجنوبية كانت المملكة ضيف الشرف في معرض الكتاب الكبير الذي أقيم هناك أوائل الشهر المنصرف، كان الاهتمام بالمملكة بارزاً في هذا المعرض وعلى شرف قيادات تنفيذية عليا من كلا البلدين، فقد مثلت وزارة التعليم بوفد كبير برئاسة معالي نائب الوزير الدكتور أحمد السيف وعدد من كبار المسؤولين والأكاديميين الذين شاركوا في فعاليات هذا المعرض ومن الجانب الكوري أيضاً، وكان جناح المملكة قد أعد إعداداً متميزاً مكاناً في المدخل الرئيس للمعرض وتنظيماً، حيث رتبت الجهات المشاركة من المملكة بشكل دائري جعل الذين يزورون المعرض لا بد أن تكون خطواتهم الأولى تمر به وتقف عليه، ومما لفت نظري الاهتمام الكبير من جميع الزائرين بالمعرض السعودي وتكاثرهم في الفترة التي استمر بها المعرض وسؤالهم عن كل ما رأوه ووقفوا عليه، وقد بذلت الإدارة المشرفة على الجناح السعودي برئاسة الدكتور سالم المالك وزملائه جهوداً كبيرة متفانية ومضنية في محاولة إظهار المعرض السعودي بما يمثل من تاريخ المملكة الحاضر والماضي، ونجحت في حسن العرض وإبراز الوجه الحاضر للمملكة، وتعاونت بحضور حقق المزيد من النجاح ممثليات المملكة في كوريا، السفارة والملحقيات الثقافية والعسكرية، وقد كان لطلابنا المبتعثين إلى كوريا دور بارز في كسر حاجز اللغة بيننا وبينهم، وقد بذل الملحق الثقافي السعودي الدكتور تركي العيار وطلابه من الجهد ما جعل الاتصال سهلاً والشرح عن فعاليات الجناح ميسراً للكوريين الذين يسألون عن كل صغيرة وكبيرة وعن كل ما يلفت انتباههم مما عرضه الجناح من تاريخ المملكة وتراثها الحضاري، والحق أن طلابنا والملحق الثقافي كانوا سفراء ناجحين لنا هناك، وكان الجهد المنظم من إدارة الجناح المشرفة عليه، والتعاون التام مع إدارة المعرض نجاح آخر لجناح المملكة في سيؤل جعل كل من زار المعرض يعرف شيئاً عن المملكة قد لا توفره وسيلة أخرى.

في الكوريتين الجنوبية والشمالية، أكثر من مثال وعبرة كانت الجنوبية قبل ثلاثين عاماً مع الشمالية أكثر دول العالم فقراً وتخلفاً فأصبحت كوريا الجنوبية اليوم من أقوى الدول تقدماً علمياً وصناعياً وتجارياً

www.mtenback.com

وأصبح دخل الفرد فيها من أعلى الدول في العالم، وكوريا الشمالية أختها جنساً ولغة وتاريخاً تعيش في مرحلة المجاعة والبؤس والفقر، شعب واحد يقع على نهر واحد وطبيعة جغرافية واحدة ويتكلم لغة واحدة وله تاريخ حضاري واحد قسمته السياسة إلى شعبين ونظامين مختلفين، فماذا كانت النتيجة؟ نظام رقى بشعبه إلى مصاف العالم الأول خلال ثلاثين عاماً، ونظام انحدر بشعبه إلى الدرك الأسفل من الفقر والجهل والتخلف.

نظامان عملا الفارق الهائل لشعب واحد، وليس الشعب أو الجنس الذي يلام، ولكنه النظام الذي يصلح الحال أو يفسده، ولعلي أهدي هذا الشطر الأخير لمفكرنا الكبير الشيخ إبراهيم البليهي ليخفف عن العرب بعض ما يراه فيهم[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2218، السبت 9 رمضان 1433هـ.

www.mtenback.com

الصيف بين عصرين

كان الشتاء عند العرب هو عصر الأزمات، والأزمة في أصل وضعها اللغوي هي شدة الحاجة، ومن معانيها ألا يوفر الإنسان طعام يومه كاملاً، وغالباً ما يحدث ذلك في أيام الشتاء القارصة، وفيه أي في الشتاء يحدث التفرق والترحل والانتقال ويبتعد الأحباب والأصحاب فلا يلتقون فيه إلا قليلاً، ويقابل شدة الشتاء وبؤسه في حياتهم، أيام الصيف التي تكون رخاء واستقراراً لأنها تأتي بعد أيام الربيع وفيها تكون الخيرات ونضوج الثمرات، وأوانها وأهم ذلك حصاد البر ونضوج التمر واكتناز الإقط والسمن، ويلتقي الناس فيه على الموارد والقرى ويجتمع الشمل ويستقر الحال بعض الوقت، وينتظر الشعراء الصيف لجمع شملهم بما يحبون وبمن فرقهم الشتاء، وقلما يخطئ إلا في حالة جميل حين شكاه بالأبيات التالية ولام من صبره لانتظار الصيف الذي أخلف ما عهد منه، ولم يأت له بما يريد فقال:

وأخبرتماني أن تيماء منزل
لليلى إذا ما الصيف ألقى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت
فما للنوى ترمي بليلى المراميا

أما اليوم فكان الحال مختلفاً وأصبح الصيف أبا الأزمات.

فأزمة الماء الذي هو سر الحياة حطت بكلكلها وحلت محل كل أزمات الشتاء عند العرب، وهي وإن كانت شديدة الضرر في الحاضر إلا أن حدوثها قد يكون إنذاراً مبكراً يوقظنا لما ستعاني منه المدن والقرى في المستقبل القريب، حتى لا ننسى أننا في غالب مدننا نعيش كثافة سكانية غير مسبوقة وازدحاماً هائلاً في مناطق محدودة، وليس في مدننا ولا في قرانا مصادر آمنة للسقيا. وإذا كان العالم كله يعيش هاجس الظمأ وخوف الجفاف، وهو لا يقيم المدن والتجمعات السكانية إلا على ضفاف الأنهار وسواحل البحار ومصادر المياه، فما بالك بنا نحن الذين لا يجري في بلادنا نهر واحد ولا توجد مدننا أو غالبها إلا في جوف الصحارى، نحن أحق أن نخشى ونخاف مستقبل الأيام وأن نعمل على أننا في أمس الحاجة إلى

www.mtenback.com

تخطيط إستراتيجي ونظرة مستقبلية بعيدة المدى، وأن نواجه الأمر بشجاعة ونقول إننا في خطر الجفاف القادم والشح الكبير في مصادر المياه.

أما الجانب الآخر فهو التشتت في الصيف. اليوم بدل التجمع في الماضي، فأصبح السفر في الصيف كأنه فرض عين على الناس لا يكاد يحل الصيف حتى تربط أحزمة السفر وتختلف وجهات الناس وتتشعب مذاهبهم من مشرّق ومغرّب، وليت الأمر يقتصر على القادرين والمبذرين، ولكنه أصاب حتى الفقراء والمعسرين وقد رأيت رجلاً وزوجته وأطفاله في أحد البنوك وهو يفاوض الموظف على قرض فهمت من الحديث أنه من أجل السفر في الصيف[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2209، السبت 5 رجب 1433هـ.

www.mtenback.com

ربيع العالم كله

لم يعد ما يسمى بالربيع العربي ربيعا خاصا بالعرب بل امتد الربيع إلى أكثر من ثلاثين دولة، وأمطر سحابه على الأرض كلها، واستقت منه شوارع ألف مدينة ، شرقا وغربا وشمالا وجنوبا، واحتفلت به أكثر من ألف بقعة حول العالم حين غصت شوارعها الفسيحة وميادينها الواسعة في جموع الغاضبين في هذه الأيام ،ينادون بالخلاص من الفاسدين وعملاء الفساد، وهو الأمر الذي يستحق أن يقف عنده الناظر إلى المستقبل، ليس للعرب وحدهم ولكن للناس كافة وللعالم بأسره . ولا أشك أن هناك ما يبعث على النظر وما ينذر بالخطر على المستقبل الذي يعيشه العالم بكل أوطانه وأممه وشعوبه ،حيث لا مكان اليوم ولا متسع لتجاهل هذا الطوفان البشري في مشرق الأرض ومغربها ، في دول الديمقراطية والحرية وفي الدول الشمولية كذلك ، لم تعد الثورة والاحتجاج موجهين إلى الأنظمة الحاكمة العادلة منها والمستبدة ،ولكن الشركات العظمى ورأس المال أو ما يسمونه الرأسمالية المتغولة هي موضع الاحتجاج والمعارضة التي تتجه بكل قوتها وحشدها الجماهيري إلى نقطة واحدة هي فك التحاف الذي حدث منذ أمد ليس بالبعيد ،بين الأنظمة السياسية وبين الرأسمالية المستبدة تلك التي تنمو وتمتد مخالبها في كل مرافق الحياة العامة والخاصة ويتسع جشعها كلما اتسعت ثروتها حتى لا تكاد تنتهي أطماع هذا الثنائي المخيف- السياسة والمال- عند حد يجعل لغيرهم مكانا معهم . المشكلة التي تواجه المجتمعات اليوم مشكلة بنيوية في المقام الأول تتكئ على خلفية من الصراع الأبدي بين المال بكل جبروته وسطوته في أيدي القلة من الناس وبين الكثرة الساحقة من البشر الذين حطم جبروت الثروة وجودهم وإنسانيتهم في المقام الأول والأخير.

كان التحرك لصد هذا الطوفان أمرا لا بد منه ولا بد أن يحدث اليوم أو غدا. ولم يكن متوقعا غير ذلك إلا أن ثورة الناس أي عامة الناس على هذا الواقع هو الأمر غير المتوقع ،كان المتوقع بعد انهيار الاقتصاد الأمريكي أولا، وما تبعه من انهيارات متتالية لاقتصاد العالم شرقه وغربه أن يحدث التغيير من القمة من النخب للمجتمعات التي كانت هي السبب والنتيجة في نفس الوقت، ولم يكن متوقعا أن تهتز القاعدة الشعبية وتهتز معها الأرض تحت أقدام أباطرة المال وحلفاء الثروة الذين كان تحالفهم المشئوم هو سبب الكساد

www.mtenback.com

الاقتصادي والفساد الذي قاد إلى ما وصل إليه الحال في جميع أنحاء المعمورة .

انتهت مرحلة النخبة أو كادت وبدأ عصر الحشد الجماهيري الغاضب من خديعة المصالح الشخصية والتحالفات المشبوهة يظهر على سطح الواقع ويعبر عن لحظة الخلاص المرتقب من مشاكله التي لم يستطع تحمل تبعاتها أكثر مما تحمل ، فاستجاب لغريزة البقاء والدفاع عن مستقبله وحياته وأمله.

كان وعي الجماهير في الغرب خاصة قد أدرك حديثا أن لعبة الديمقراطية وأصوات الجماهير وفوز الأحزاب وفرز النخب الحاكمة قد تلوث بالمال وخرج عن براءة القصد وسلامة الهدف إلى تبادل المنافع واعتبار المصالح ورد القرض الذي قدمه المال لفوز الحكام، ولذا أفاقت الشعوب من غفوتها وانتبهت لغفلتها وعادت لإظهار قوتها واسترداد حقها بتعبيرها الجماهيري الحاشد .

وهذا الحشد الجماهيري الذي لوحت به الجماهير في العالم هو الآلية الناجحة التي تصحح بها الديمقراطية نفسها وتعود إلى مسارها الصحيح ونهجها الطبيعي كلما أدركت الخطأ عادت إلى أسس الديمقراطية وثوابتها والتفتت إلى مكمن قوتها ، صوت الشعب، صوت الأغلبية وحقها في اختيار من يتولى قيادتها بتفويض منها[1].

(1) اليمامة: العدد 2179، السبت 24 ذو القعدة 1433هـ.

www.mtenback.com

المواطنة والوطن

قبل سنوات ليست بعيدة في مسير الزمن قلما تسمع عن المواطنة بصفتها انتماء وكينونة ثابتة في وجدان الناس والأمم والجماعات، وقلما يدعي المرء هذه الدعوى رغم أنه يعرفها ويمارس واجباتها ويعرف حقوقها، لأن معنى المواطنة ممتد في التاريخ البشري امتداد الأرض التي يعيش عليها الإنسان، ولأن الناس لا يعيشون في فراغ وإنما تحتويهم الأرض التي هي الوطن في النهاية، والانتساب لها مواطنة، ولو بحثنا في ثقافة الشعوب ولا سيما العربي منها لما وجدنا مفردة واحدة تتحدث عن المواطنة بهذا المعنى الذي ترددده الحناجر اليوم، ولكننا نجدها ونحسها مجسمة في الأفعال وليس في الأقوال؛ لأن للمواطنة معنى يحتوي الإنسان في كل أبعاده وأمور حياته وقضاياه لا يغني عنها القول مهما بلغ وكرر.

واليوم وقد أصبح الحديث عن المواطنة حديثاً يستدر كثيراً من العواطف وتدور حوله التحديات وتشتد حوله الخصومات وتطول عليه المناقشات والمنازعات، وكل يدعي أنه المواطن الأول الذي لا يجاريه أحد في وطنيته، ولا يقاربه مقارب في طبيعته، كان لا بد أن ينظر لهذه المفردة التي تدور حولها الآراء وتختلف عنها التصورات، ما هي وما حقيقتها ومن هو المواطن الذي يعزز وطنيته بعمله ويشرك معه غيره، ولا يوسوس له شيطانه أنه الوطني الوحيد، وأن الوطن لا يتسع إلا له وحده، وإن اتسع عنده أكثر فلفئته وجماعته، أما من بعد عنه أو اختلف معه في قول أو عمل فالوطن منه بريء والمواطنة عنه نازحة!، هذا التنازع هو ما جعل الكلام عن المواطنة يتسع ويأخذ كل متحدث لنفسه حق إعطاء المواطنة وإضفاء جناحها على من يريد أو نزعها وإبعادها كما يشاء.

أظن المواطنة تستحق منا كثيراً من النظر والتروّي واحترام معناها النبيل الذي يستوي فيه كل من يعيش على أرض الوطن وينتمي لها انتماءً دائماً وثابتاً بشروط المواطنة وحقوقها، المواطنة بمصطلحها المعاصر لا تحتمل التجزئة ولا تستسيغ الانحياز. والمواطنة ليس من طبيعتها الإقصاء ولا التفرد بخير الوطن دون شره، وليس من أخلاق الوطنيين والمواطنة الغلبة والاستئثار، ولا الأثرة في أي شأن خاص أو عام، إذا رأيت شيئاً من هذه الخصال فيمن يردد مفردات المواطنة فاعلم أن المواطنة في أخطر مراحلها

www.mtenback.com

وفي أضيق الطرق إليها، وحتى لا تكون المواطنة هلامية المعنى فقد وضع لها من الحدود ما يجنبها المغالبة ويرفعها فوق كل ادعاء لا تسنده حقيقة علمية أو عملية، أركان المواطنة وثوابتها هي الحقوق المتساوية في كل الظروف والأحوال، والعدل الذي لا يجور فيه القادر من المواطنين على من هو أقل قدرة منه، والإخلاص للوطن بكفة متعادلة، والقسمة العادلة فيما يقدمه الوطن من خيرات، والتضحية من أجله والتفاني بخدمته.

مقاييس المواطنة دقيقة منضبطة بضوابط المشاركة التي لا تلغي أحداً مهما كان موقعه، ولا تحابي أحداً مهما كان سلطانه، هذه هي المواطنة وكل دعوى سوى ذلك تحتاج إلى دليل[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2191، السبت 27 صفر 1433هـ.

www.mtenback.com

خيار الربيع العربي الدولة المدنية

أمطر الربيع العربي على عدد من الدول العربية التي كانت التيارات الإسلامية فيها هي الصوت البارز والظاهرة السياسية ذات التوجهات الإسلامية التي كانت تنادي بأن الإسلام هو الحل منذ تأسيسها، ووضعت برامجها ومناهجها على هذا الأساس وانتصرت للدولة الدينية القادمة على هذا المفهوم النظري، ونالت من كل التوجهات التي لا تتفق مع رؤيتها السياسية ونددت بالأنظمة الوضعية التي لا تراها تقدم حلاً صالحاً لإدارة الناس والحياة، لكن ما كاد الربيع العربي يميل إلى جانبها، وما كادت هذه التيارات تتلمس سلم السلطة حتى أعلنت الرجوع عن كل أطروحاتها ونظرياتها في الفكر والسياسة. ونادت بأن الدولة المدنية هي الخيار الممكن العمل به ولم توار خيارها هذا، بل أعلنت العمل به حتى قبل أن تستلم السلطة الرسمية.

والسؤال الذي تدور الإجابة حوله في هذا المقال ليس التشكيك بإخلاص هذه التيارات والاتجاهات للمبدأ الذي نادت به من قبل وآمنت بأهميته عندما كانت بعيداً عن السلطة؛ لأنها كانت في طور النظرية التي لا يصحبها التطبيق وهي في تلك المرحلة تحتاج إلى الحشد العاطفي والتجييش الجماهيري لما يلامس أفئدة الناس العامة منهم والخاصة، ولاشك أن التنظير الذي يتكئ على موروث ثقافي وديني عميق في النفوس ستكون الإجابة له سريعة وفاعلة؛ وهو ما حدث في واقع الأمر فكان انتصار هذه التيارات في كل البلاد التي مارست فيها الشعوب! حقها في الاختيار قوياً وساحقاً تبوّأت به قمة الصدارة وشكلت منعطفاً جديداً في التوجهات الجماهيرية، ولم يعد هناك منافس لهذه الجماعات في قيادة الشعوب التي هبت معها.

لقد ضحى قادة هذه التيارات تضحيات كبيرة منذ أكثر من خمسين عاماً وتعرضوا لأنواع شتى من الابتلاء من السجن والتغريب والطرد وصبروا على كل ذلك ولم يحيدوا عن دعوتهم رغم كل ما واجههم من صنوف التنكيل في بلادهم ومن أجل مبدئهم وهم في أضعف حالاتهم، ولم يتخلوا عن أي شيء مما نادوا به وأعلنوه رغم سطوة القوة وجور السلطان.

فلماذا يعلنون اليوم وهم في أوج قوتهم وسلطانهم التخلي عما جاهدوا من أجله سنين طويلة ويختارون

www.mtenback.com

الدعوة المعلنة إلى خيار الدولة المدنية أي خيار النظم الديمقراطية على غيرها من أنواع الأنظمة، بل إن بعضهم ذهب إلى أبعد من ذلك وقال إنه لا يرى مانعاً من أن يكون رأس الدولة في النظام الجديد مواطناً غير مسلم وأن القبول به ممكن.

لقد كان هذا التحول في الرؤية لدى القوم تحولاً يفرضه الحال وتقتضيه المرحلة التي تحتاجها الإدارة الناجحة ويمليه الواقع، حيث لا مجال إلا الأخذ بآليات النظم الديمقراطية وتجربة الشعوب، كانت واقعية القيادات الإسلامية ووعيها لمتطلبات الحاضر هي التي دفعت بها إلى هذا الخيار، وكان الشعور بالمسؤولية وعبئها الثقيل الذي شعروا به هو السبب في قبول الواقع وتمثل الأفضل واستعمال الممكن.

وهذا هو الفرق بين النظرية وبين التطبيق؛ وهذه هي المسافة الفاصلة بينهما ليس في حال التيارات الإسلامية وتجربتها البكر وخيارها للأفضل، بل في كل الأحوال، إن اختيار التوجهات الإسلامية للديمقراطية وقبولهم بتطبيقها وانحيازهم إليها في الوقت الحاضر ينم عن حكمة ورؤية لديهم ووعي قوي بمتغيرات الأحوال واتباع لقول مشهور (حيث ما تكون المصلحة فثم شرع الله)؛ ولا شك أن المصلحة فيما يحقق العدل والحرية والمساواة بين الناس، وتلك ما بحثت عنه الأمم والشعوب منذ زمن بعيد، وجدها بعضهم وضيعها آخرون وسيردد جمع من الناس المثل المشهور (الحق ما شهدت به الأعداء) [1].

(1) اليمامة: العدد 2188، السبت 6 صفر 1433هـ.

www.mtenback.com

الخادمة أن قولدي

حديث العامة ولا سيما الجنس اللطيف كثير في موضوع واحد وهو الخادمات وسحرهن أو الخوف منه، وقد تناولت الصحافة والكتاب في كثير من المقالات هذا الأمر بين متحدث عن خطر السحر وخطر الخادمات وما يتهمن به من ربات البيوت أو بعضهن، بل ومن الرجال أحيانا ومن شدة الخوف مما قد تقوم به الخادمة من سحر، سمعت أن بعض الأسر تقوم بتفتيش روتيني لممتلكات الخادمة الخاصة، حيث لا تحترم لهن خصوصية ولا تحفظ لهن كرامة وأكثر من ذلك أن البعض يستعين بمن يدعي معرفة السحر وطرقه وإمكانية وقوعه من هذه المسكينة أو تلك، وقد كتب الدكتور عبدالله ناصر الفوزان فيما أذكر مقالاً أنصف فيه الخادمات وبدد دعاوى السحر التي يدعيها الموسوسون والموسوسات وضرب أمثلة للمعقول والمنقول مما يتردد على ألسنة العامة وزيفت كلمته ما يزعمه الزاعمون من قدرة الخادمات على الأذى المتخيل.

وهذه الكلمة لن تكون عن خادمات اليوم وسحرهن ولكنها ستكون عن خادمة كانت قبل مئتين وتسعة وعشرين عاما بالتمام والكمال أي في عام 1782م هي الخادمة (آن قولدي) التي اضطرتها الحاجة لتعمل خادمة في بيت رجل مشهور وتقضي وقتاً طويلاً في خدمته وخدمة أهله ثم تكون التهمة الموجهة إليها هي السحر والضرر الذي ألحقته به وبأهله.

كان هذا الرجل هو (يوهان تشاودي) وهو قاض مشهور في منطقة (غلاروس) في سويسرا الحالية وكانت تلك المرأة في فقرها وضعفها لا تستطيع أن تواجه وتكذب قاضياً مشهوراً وشخصاً مقدراً في وطنه وقوياً في حجته مهما كانت أسباب براءاتها ومهما كان باطل دعوى السحر وحده الذي كان هو الحجة القاضية التي ستنتزع روح هذه المرأة وتسكت صوتها إلى الأبد، ولكن وراء الدعوى بالسحر أكبر وأهم بالنسبة للقاضي وهي السمعة والشرف الذي لا يريد هذا السيد أن يلوث.

كان اتهامها بالسحر غطاء لعلاقة غير شرعية معها لم يردها أن تظهر للناس ولا سيما أنها رغبت بتركه وانتهاء العمل عنده فخشي عواقب سوء ما فعل فكانت حيلة السحر هي المنقذ له حتى ولو كان ذلك

www.mtenback.com

الإنقاذ إلى حين فذهبت روحها درءاً لسمعته.

على بعد المسافة الزمنية بين خادمات اليوم والسحر، والمسز آن قولدي وسحرها، يكون الشبه في الدعوى والاختلاف في السبب، الفارق أن حتى الأموات في بعض البلاد يجدون من يدافع عنهم ويبرئ ساحتهم وينتصف لتاريخهم ويكشف باطل أهل الباطل حتى بعد مضي مئات السنين؛ وهذا ما فعله سكان إقليم غلاروس قبل ثلاث سنوات حين أعادوا لها اعتبارها وأقاموا لها متحفاً يحكي قصتها ويصور مأساتها وضم ما يتعلق في محاكمتها وقصاصات الصحف التي كانت تنشر الإعلانات للقبض عليها.

أما خادمات اليوم فعلى الرغم من ضعف الحجة في السحر أو ضعف القبول به أو الشك حوله وعدم قدرة الخادمات الضعيفات على فعله أو عدم إمكانية ذلك فإن هناك ما هو أهم وهو أن الحديث عنه وتكراره فيما يكتب وينشر وفيما يقال ويذكر أمر يؤسس لثقافة ضارة ويؤثر على الوعي العام لدى قطاع كبير من الناس، وتكرار الروايات غير الصحيحة وتداولها يرسخ تصديقها ويهيئ لقبول الخطأ وتوقعه رغم قلة الصحيح وكثرة الباطل فيما يرويه الناس وفيما يتحدثون عنه، والأهم من ذلك كله أن الأمر يتناول قطاعاً كثيراً من الناس ويشيع الباطل عنهم ويجعل العامة يتوجسون منهم خيفة ويشكون في تصرفاتهم مما يعرضهم للظلم وسوء المعاملة وهو ما نسمع عنه فيما يعرضهم للظلم وسوء المعاملة وهو ما نسمع عنه فيما ينشر من حالات تعسف في معاملة الخادمات وتعرض بعضهن إلى ما لا يليق بكرامة الإنسان وآدميته[1].

(1) اليمامة: العدد 2158، السبت 18 جمادى الآخرة 1433هـ.

www.mtenback.com

انغلاق النخب العربية

تعددت التفاسير واختلفت الآراء واحتدت المناقشات حول ظاهرة الغليان العربي في بعض الدول، وأدلى كل بدلوه فيما حدث ولم تجمع الآراء إلا على رأي واحد وهو أن هذه الاحتجاجات التي أطاحت ببعض الأنظمة العربية وما زالت تحاول الإطاحة بالبعض الآخر يقوم بها الشباب في تلك الدول الذين ولدوا وشبوا في ظل تلك الأنظمة التي ثاروا عليها يريدون الخلاص منها. وهو أمر يسهل تفسيره ويمكن قراءته على ضوء الواقع الذي عاشته تلك الأنظمة نفسها منذ قيامها إلى زمن المطالبة بالخلاص منها. ذلك الواقع الذي سارت عليه تلك الأنظمة هو الانفصام بين النخب النافذة في المجتمع واختيارها الانغلاق الطوعي الذي حدث لهذه النخب على ذاتها ورغبتها عدم التواصل الطبيعي بين قمة الهرم التنفيذية العلياء في الدولة وقاعدتها الشعبية، مما جعل التواصل بينهما ينعدم أو يكاد، ظنت النخب أنها قادرة على المضي في طريقها الذي خطته لنفسها وغلبت فيه مصالحها دون الرجوع إلى قاعدتها الطبيعية وتجاهلت مسؤوليتها الاجتماعية والسياسية وألهتها مصالحها الذاتية عن كل ما يحدث من تحولات في مجتمعاتها وفي كل ما يدور حولها، كان الانقطاع والتباعد بين القمة والقاعدة في المجتمعات العربية هو الظاهرة الأقوى في حركة الانفصام الأبدي التي آلت نتائجها إلى هذا الواقع الجديد، تضخمت الذات الفاعلة أو المتوهمة للفعل عند هذه النخب ومعها تضخمت المصالح الذاتية ودارت المعارك بينها على حظوظها من الدنيا وتعزيز مراكزها، واستقوى بعضها على بعض وتكديس ثرواتها وازدياد مطامعها حتى بلغت في غلوها مبلغاً لا رجعة بعده إلى واقع تعيشه المجتمعات التي تنتمي إليها تلك النخب، وأصبح شأن الشعوب مراقبة حروب النخب بينها وهي تدرك مدى ما وصل إليه حال المجتمعات والنخب الغالبة على أمرها. ظن كل فريق بل تيقن كل منهما أن التوافق بينهما لم يعد قائماً، فعملت النخب العربية بمعزل عن شعوبها وبعدت عنها حتى أصبح التواصل منعدماً والاتفاق مستحيلاً على مسيرة متحدة تجمع بينهما على هدف واحد وفي بيئة هذا الحال لا بد من تجاوز أحد الفريقين مسار الآخر.

لم يعد أمام قاعدة المجتمع العريضة الواسعة إلا خيار الانفصال عن القمة الغافلة عن واجباتها المنشغلة بأطماعها وذاتها، وكان لا بد من أن تكون القاعدة العريضة هي صاحبة القول الذي يسمعه الجميع، وأن

www.mtenback.com

يكون الشباب وحده هو القادر على رفع الصوت الذي أسمع الجميع، وكان المحرك للواقع الراكد الذي صار آسنا لطول سكونه وانقطاع المدد عنه من كل بواعث الحياة فيه. كان لابد أن يحدث ما حدث وهو الأمر الذي راهن عليه كثير من المتطلعين للتغيير واستبق الشباب إلى تطلع المجتمع ولبى دعوته ونظرته إلى المستقبل فكانت هذه الظاهرة غير المسبوقة في التاريخ الحديث هي عنوان المستقبل ولا شك أن أمام هذه الحركات الشبابية مجالات كثيرة للنجاح واحتمالات مثلها للفشل لا قدر الله ذلك، لكن النجاح هو الأقرب، لأن الرأي العام قادر على المراجعة والتصحيح وقادر على علاج الطوارئ والمستجدات إذا حدثت من منظور مشترك في الرؤية القابلة للنقد؛ وهو ما سوف تحاوله الجماعات التي تمسك اليوم بمبدأ المشورة وتقر بمشروعية المشاركة المسؤولة لكل مكونات المجتمع وقياداته وفئاته الشابة منها وغير الشابة. وليس ذلك الضرب من الاستبداد الذي ساد فترة طويلة في الماضي وباعد بين الشعوب وحكامها حتى وصلت الأمور في تلك البلاد إلى ما وصلت إليه من تباين واختلاف كان انغلاق النخب وهو السبب فيه والدافع إليه[1].

المجتمع المدني

مر المجتمع الإنساني منذ ثلاثة عقود بتحولات سريعة قادها ما سمي بالنظام العالمي الحديث الذي حمل معه اختراقاً هائلاً للخصوصيات الإقليمية والدولية، حيث لم يعد أحد بعيداً عن تأثير العولمة على كل الأمم والشعوب والجماعات وحتى الأفراد، وقد حملت رياح العولمة معها سياقات معرفية واجتماعية وسياسية غير معهودة بسرعتها وتأثيرها، وتشكل بهذا الجو مجتمع عالمي جديد، ونشأت قيم ومعارف أممية أصبح القاسم المشترك لها هو التغيير والتحديث لكل القيم والتقاليد والعادات وحتى الأنظمة

(1) اليمامة: العدد 2162، السبت 16 رجب 1433هـ.

www.mtenback.com

الاجتماعية والسياسية حدث فيها من التطور ما لم يكن معهوداً من قبل ومن ذلك، بل من أهم ذلك ما بات يعرف باسم المجتمع المدني وقيام المنظمات الأهلية غير الحكومية التي تقدم خدماتها موازية لما كانت تقدمه المؤسسات العامة للدولة، وما يقوم به القطاع الخاص من عمل ينشط بجانب القطاع العام وبمساعدة منه، فكان القطاع العام والخاص هما ذراعا الحراك الاجتماعي في السابق، أما في الحاضر فقد عززا بثالث هو المجتمع المدني بهيئاته ومؤسساته الكثيرة التي بدأت تنمو نمواً كبيراً وفاعلاً في الوقت نفسه ويمتد نشاطها على مساحة الكرة الأرضية وحيث ما وجد الإنسان، وتنتشر أنشطته في كل القارات والدول الكبيرة منها والصغيرة والغنية والفقيرة، وفي خضم هذا الرواج لمفردات المجتمع المدني ومصطلحاته دارت تساؤلات كثيرة حول تعريفه وماهيته ووظيفته التي يؤديها ونوع الخدمات التي يقوم بها سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو ثقافية أو غيرها من الأنشطة الخدمية الأخرى! وقد عرف البنك الدولي المجتمع المدني بأنه الكيان الذي يشمل مجموعات واسعة النطاق من المنظمات غير الحكومية والمنظمات غير الربحية التي تشكل وجوداً حيوياً في حياة الناس وتنهض بعبء كبير في مساعدتهم استناداً إلى اعتبارات أخلاقية أو ثقافية أو علمية أو سياسية أو خيرية، كل تلك وغيرها من أنواع النشاط يساعد على قيام الجماعات بتنظيم نفسها وتحريك نشاطها المشروع بعيداً عن سلطان البيروقراطية الحكومية، ويعطي المجتمع المدني حرية أكثر للعمل الخيري والنشاط الاجتماعي المفيد. ولا خلاف في أن منظمات المجتمع المدني رغم قصر عمرها وحداثة تجربتها قد حققت كثيراً من النجاح في تقديم خدماتها الاجتماعية وتنفيذ برامجها موازية بعملها ما تقوم به الحكومات، بل تزيد على ذلك في بعض الحالات التي تخدمها مما لا يكون ضمن أطر سياسات الحكومات؛ وذلك ما أتاحه لها نظامها وطبيعة عملها التطوعي الذي لا يتقيد بضوابط النظم القديمة وقوانينها وإنما يستجيب لنداء الحاجة في أي مجال كان.

إن المؤسسات الطوعية التي تعبر عن رغبات الناس وتلبي حاجاتهم لم تعد ترفاً، بل أصبحت ضرورة اجتماعية وتوجب هذه الضرورة قيام مجموعات تطوعية تسعى لتحقيق أهدافها وترعى مصالح الجماعات التي تحتاج خدماتها في أطر تلك المنظمات ذات النفع العام، التي تعبر عن حاجات الناس ومصالحهم وتقدم نماذج فعالة للمنظمات التي تجعل أهدافها هي تفعيل المسؤولية الاجتماعية وتعميم الخدمة وتقديم

www.mtenback.com

الرعاية بعيداً عن كل عثرات الروتين الجامد[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2196، السبت 3 ربيع الآخر 1433هـ.

www.mtenback.com

وعند موافق الخبر اليقين

تثار هذه الأيام قضايا كثيرة عن التعليم بكل أنواعه ومستوياته العام منه والعالي، وعن الجامعات وتعددها وأنواعها وتخصصاتها في الداخل والخارج وعن شهاداتها وخريجيها وما إلى ذلك؛ مما يستحق أن يكون موضوع مقالات ومناقشات على كل المستويات، والبحث في التعليم ومناهجه وطرائقه أمر مشروع في كل الأحوال، بل هو حاجة ملحة في كل الأوقات، ولكن ما يدور حوله الجدل وما تناله الشكوك خاصة هي الشهادات التي تمنحها بعض الجامعات في الخارج، ويتساهل بمنهجها بعض الجامعات الأهلية وشبه الأهلية في الداخل، ولا سيما الشهادات العليا منها تلك التي تؤهل حامليها للتعليم العالي وما قد يتسرب من ذلك النوع من حملة الشهادات غير المعترف بها إلى الهيئات التعليمية في جامعاتنا التي ما زالت تحتفظ بمستويات جيدة وهي حريصة على أن لا تترك فرصة لحملة تلك الشهادات من الوصول إليها أو الانضمام إلى هيئاتها التدريسية. ورغم أن ظاهرة الشهادات غير المعترف بها والتي تمنحها جهات تبحث عن الكسب لا تخلو منها أي دولة مهما كان صلابة نظامها التعليمي إلا أن سرعة انتشار الجامعات عندنا في مدة قصيرة وفي ظرف خاص وحاجتها الماسة لعدد كبير من أعضاء هيئة التدريس قد يكون سبباً للتساهل في التدقيق في هذه المؤهلات وخصوصاً من غير السعوديين الذين يستعان بهم عند الضرورة.

وقد دفع هذا الهاجس أحد الأكاديميين السعوديين وهو الدكتور موافق الرويلي أستاذ التربية في جامعة الملك سعود وعضو مجلس الشورى حالياً إلى تناول قضية الشهادات غير المعترف بها أو المشكوك بسلامتها بطريقة علمية صارمة وإحصاء شامل وتتبع دقيق لمصادر تلك الشهادات وأغراضها وما يراد منها!، وما يترتب على التهاون بهذه القضية من ضرر كبير على العملية التعليمية والسلوكية لحملة الشهادات التي لا يتم اعتمادها من جهات مسؤولة مؤهلة تشهد بسلامة الشهادة وصلاحها، وقد تبنى الدكتور موافق الرويلي في بحث غير مسبوق قضية الشهادات التي نسميها شهادات غير معترف بها تلطيفاً لمسماها الحقيقي، وقد تتبع فيه مصادر الخطأ والخطر الذي يقع من جرائه خلط للصحيح مع غير الصحيح وللجادين من حملة

www.mtenback.com

الشهادات التي يحصلون عليها من أرقى الجامعات بعد كد وتعب ومواصلة الليل بالنهار وقضاء السنوات الطوال في البحث، مع أولئك الذين يسلكون أقرب الطرق للحصول عليها بوسائلهم التي يعرفونها، وبأموالهم التي ينفقونها وهم في منازلهم وعلى أرائكهم ويريدون أن يكون لهم مثلما يكون للفريق الأول، وهناك أمثلة كثيرة لمن يحملون تلك الشهادات وليس الأمر هنا لذكر الحالات والأشخاص وإنما الأمر هنا لعلاج الظاهرة بغض النظر عن المستفيد منها، ومنع خطرها وانتشارها.

الدكتور موافق الرويلي لديه كثير من المعلومات عن مصادر هذا الزيف وعن حملة هذه الأوهام وعن مصادر هذه الشهادات المشبوهة، وقد نبه للخطر الذي تواجهه جامعاتنا ومؤسساتنا التعليمية حين لا تحصن نفسها ومستقبل أبنائها من هؤلاء المدلسين الذين يحسنون اقتناص الفرص ويستغلون العواطف من جانب والحاجات والضرورات من جانب آخر، لكن التعليم والصحة حقلان لا يجب أن يخضعا للضرورات ولا يتساهل بأمرهما مهما كانت الأسباب التي يحتج بها من يبحث عن بنيات الطريق[1].

صحافة الأدب وصحافة الطلب

بدأت حركة الأدب في عهدها الحديث مع أول ما أنشئ من الصحف المحلية التي تأسست أوائلها منذ وقت مبكر، وقام بتأسيس هذه الصحف الأفراد النابهون من أبناء الوطن المخلصين له وللكلمة الطيبة، فكانت هذه الصحف ميداناً رحيباً ومجالاً واسعاً لرجال الفكر والأدب يتبارون على صفحاتها في نشر إنتاجهم الأدبي من الشعر والنثر وكل الفنون المتعلقة بهذا الفن ويؤسسون مناهج للتفكير الحر الذي تنهض به الصحافة، وقد اتسع دور الصحافة المحلية عندما وجد فيها القراء بغيتهم فاهتموا بما يطرح فيها من أفكار وآراء، وما يعرض من نصوص من التراث القديم أو الحديث، فكانت استجابة الكتاب لرغبات قطاع كثير من الناس حافزا! للقائمين

(1) اليمامة: العدد 2201، السبت 8 جمادى الأولى 1433هـ.

www.mtenback.com

على الصحافة على ممارسة وظيفة التثقيف العام وفتح أبوابها للأقلام التي تريد أن تشارك في تسطير الأدب والفكر والنهوض بجانب مهم من الحركة الفكرية وهو مظهر من مظاهر الإبداع والاهتمام بالمبدعين ووعاء لأقلام الطليعة الشبابية الذين استفادوا من تجارب كبار الكتاب الذين كانت تجاربهم وخبرتهم مدرسة مفتوحة الأبواب تصل إليهم بفضاء مفتوح هو فضاء الصحافة الذي لا تحده حدود ، فالصحيفة تدخل كل بيت وتصل إلى كل يد ولهذا كان تأثير الصحافة الأدبي كبيرا على قطاع لا يستهان به من أبناء البلاد في عصرها الأول ثم كان بعد ذلك أن نشأ جيل من الكتاب الذين امتهنوا الصحافة وكانت تجربتهم الفكرية والأدبية رصيداً للأجيال التي أتت بعدهم وعززت مسيرة الأدب ومن هنا جاء جيل من العلماء واسع الاطلاع، محترف في الكتابة والتثقيف، مخلص لمبدإ التوعية والتنوير الذي يحتاجه المجتمع في ذلك الوقت. وقد عكس رؤيته وقراءته على مشهد الحركة الأدبية في كل أبعادها الفكرية، وسار بها إلى مراحل النضج والإتقان. ومن هذا المنطلق اتخذت الصحافة منهج التعليم مع اتجاه الأدباء السعوديين إلى الاهتمام بتأليف الكتب ونشر الأسس العلمية التي صارت فيما بعد مرجعا للتالين من كتاب الصحافة وأدبائها واستفاد من هذه التجربة الأولى جميع من جاء بعد فترة ازدهار الصحافة في سنيها الأولى وقد أشرنا إلى وعاء الصحافة أولًا لأنه الوعاء الذي بدأت به بوادر النهضة العلمية والفكرية الرائدة وهيأ السبيل السهل لممارسة النشر الحر وطرح أدب البدايات التي اتصل عملها واستمر الوعي المنظم بين الناس بقيمة المعرفة وأهمية اكتسابها، وقد حظيت الصحافة منذ بداياتها بمساحة من الجدل المنظم الذي شجع المتابعين لما ينشر ولاسيما بين العلماء والأدباء والكتاب الذين كونوا كثيراً من المعجبين بإنتاجهم والمتابعين لهم، وقد نتج عن هذا التطور حرية فكرية أدبية أصبحت تقود مسيرة الأدب في كل مرافق الحياة العامة والخاصة والعامة.

جاء هذا الخاطر في نفسي وأثار المقارنة بين دور الصحافة الورقية وما جد من وسائل التثقيف الحديث الذي يهيم به كثير من القراء كتويتر والفيس بك والصحف الالكترونية وغيرها من وسائل الاتصال الحديث، وأنا أتابع ما تلفظه هذه الوسائل الجديدة وما تقدمه لمتابعيها من لقطات وانفعالات لا تسمن ولا تغني من جوع كما يقال في المثل، ولا أظن أحداً يقارن بين ما قدمته الصحافة التقليدية للأدب بشكل خاص وللعلوم بشكل عام وما تقدمه هذه الوسائل الحديثة من خطرات ومقتطفات وجمل قصيرة

www.mtenback.com

ومقطعات لا تفيد كثيراً في جانب التكوين المعرفي الذي كونته الصحافة القديمة ولكنها كزمنها السريع المضطرب لا تروي غليلا ولا تقدم ما تقدمه الصحافة الرصينة ذات الرسالة الأدبية والعلمية النافعة. فهي صحافة طلب ورغبة وسبب وليست صحافة رسالة وأدب[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2205، السبت 7 جمادى الآخرة 1433هـ.

www.mtenback.com

لهذه الأسباب خمدت نار المعارك الأدبية والفتنة نائمة فلا نوقظها.. د. ابن تنباك: الغذامي كتب كتابه حكاية الحداثة من منطلق ذاتي ورؤية شخصية

- أنا ضد الإلغاء لأي طرف في الحياة أو لأي حراك اجتماعي أو ثقافي.
- هؤلاء يجتمعون ويقررون فكموا الأصوات التي لا تجلب معهم بخيلها ورجلها.

حوار ساري الزهراني المفكر الدكتور مرزوق بن تنباك صاحب مشاركات متعددة، وبحوث متنوعة، لعل آخرها كتابه الذي أثار لغطا وجدالا واسعين «الوأد عند العرب بين الحقيقة والوهم.. »، التقاه «ملحق الرسالة» في حوار يتساوق وما يثار في المشهد الثقافي، متطرقا في ذات الحوار إلى عديد من القضايا الفكرية، كموقفه من كتاب الدكتور عبدالله الغذامي «حكاية الحداثة»، وموقفه من خمود المعارك الأدبية، ورأيه في غرف العمليات الأمنة كما يصفها، مؤكدا على أنه ضد المحو وضد الإلغاء، لأي طرف في الحياة، أو لأي حراك اجتماعي، أو ثقافي؛ كاشفاً النقاب عن سقوط الدكتور حمزة المزيني ومحمد السحيمي ومحمد الحربي وسعيد السريحي.. فإلى نص الحوار.

عمليات آمنة:

قلت في تصريح لك في إحدى الصحف المحلية ما فحواه: «إن الدكتور عبدالله الغذامي في كتابه «حكاية الحداثة» كان مشغولاً بإحصاء المكاسب، وأنه أدار معركته من غرفة عمليات آمنة، تاركا الاستشهاد من نصيب الفرسان الحقيقيين».. هل لك أن تعطينا تفسيرا مقنعا حول ما قلت.

- يمكن أن نختلف مع الأستاذ الدكتور عبدالله الغذامي في كل ما يطرح أو نتفق معه في بعض ونخالفه في بعض آخر. أما ما لا يمكن الاختلاف عليه ولا إنكاره مهما كان نوع الاختلاف معه فهو شجاعة موقفه من آرائه، وقدرته على المواجهة ورباطة جاشه عند التنازع وهو أمر لا يختلف عليه إلا من ينكر الواقع.

www.mtenback.com

أما معنى قولي عنه – وإن كنت أكره تفسير الأقوال – فإن الدكتور عبدالله كتب كتابه «حكاية الحداثة» من منطلق ذاتي ورؤية شخصية وهي حكاية كما سماها، والحكاية في الفن السردي تتلون بلون الحاكي وتنطلق من رؤيته الشخصية وموقعه من الحكاية. وكنت مثلت مرة في مقال لي نشر سابقاً بقدرة الغذامي على السرد وهي ميزة أدبية لا يستطيعها إلا القليل من الأدباء والنقاد وهذا ما قصدت بإحصاء المكاسب وحديثه عن تلك المكاسب بعد أن وضعت الحرب أو زارها، وأصبحت القضية مجالا للحكاية وتقويم الخسائر والأرباح، وقد عدد مكاسبه وأشار إلى خسائره أيضاً، ولكن المحصلة النهائية أنه خرج منتصرا وهو ينظر للماضي ببعد آخر. أما أنه أدارها من «غرفة آمنة» فهذا تقييمي الشخصي وقد لا يكون الغذامي من العارفين في مكانه الآمن الذي وصفته أنا به. لكنني أعرف قدرة ذلك المكان على الحماية، وقد تخطته السهام لا لأنه يتقيبها خوفاً من سهام المحاربين بل لأن القدر وضعه في هذا المكان الآمن، وقد حمت جدرانه غيره من شجعان الرأي والموقف التنويري مثل غازي القصيبي وتركي الحمد وغيرهم، ومن تتكشف عنهم جدران هذه الغرف الأمنة يسقطون سريعا كسقوط الدكتور حمزة المزيني ومحمد السحيمي ومحمد الحربي وقبلهم سعيد السريحي وغيرهم كثير أيضاً. ولا تظن أنني أحكي حكاية أو «أخمن» لكنني أنقل نصوصا عن أحياء يرزقون.

السهام الموجهة:

ويضيف الدكتور مرزوق بن تنباك: لقد أطاحت السهام الموجهة إليه بفرسانه واحدا تلو الآخر وأنت تعرف بعضهم إن لم تكن تعرفهم جميعاً، وقد كتبت عن ذلك في مقال بتاريخ 1409/6/2هـ بجريدة الرياض ونجا هو محققا النصر الذي سطره في «حكاية الحداثة»، قد تكون شجاعته هي سبب نجاته، ألم تقرأ القول المشهور «احرص على الموت توهب لك الحياة». وقد تكون الغرفة التي ذكرت أن الأقدار وضعته بداخلها هي سبب النجاة. وأي الأمرين كان فإنه خرج ببسالة يغبط عليها «كما تخرج الأسد من غابها» وحكى حكايته الجميلة وإن كانت تخصه وقد لا تكون هي كل الحقيقة، أضرب لك مثالا فيما حكاه عني فرغم تفسيره الجميل لموقفي من الحداثة فإن الواقع هو التالي: كنت في بداية الأمر أجمع مادة كتابي «نظرية الفكر العامي» وأتتبع الصحافة وما ينشر فيها فلفت نظري نشاط لفئة من الشباب الحداثيين

www.mtenback.com

ومقالاتهم فأخذت أجمع بعض القصاصات التي أرى أنها تستحق النظر وأجد بعض المآخذ من الناحية الفنية واللغوية والنقدية فيما يطرحون، لكنني رأيت أنهم يحاولون شيئاً جديداً وهم شباب، وبعضهم درس في الغرب وعرف الديمقراطية والحرية الفكرية. فقلت في نفسي هذه طالعة يمكن أن تحرك الراكد من تراثنا الأدبي وما يقع من هنات منهم أو من بعضهم يمكن تجاوزها مع الزمن واشتداد العود، فأبقيت ما جمعت من ملاحظات، ولكن ما إن استحكم أمرهم واستولوا على الملاحق الصحفية في جميع الصحف ولم ينجُ منها إلا صحيفة «الندوة» حتى قلبوا ظهر المجن لحرية الفكر وروح التنوير وأسقطوا كل صور التسامح مع الذين لا يرون رأيهم بل شكلوا ما يمكن تسميته «التوجيه المركزي» للثقافة وبدأوا برحلات مكوكية بين المناطق والملاحق الصحفية، يجتمعون في الليل ويقررون النصوص التي ستنشر غدا والقراءات المساندة لها ونقد المتحدثين عنها، فكموا الأصوات التي لا تجلب معهم بخيلها ورجلها، عندئذ وجدت أن هذه الطليعة التي كنت أؤمل أن تكون بداية لحرية في الرأي وتنويرا في الأفكار قد انغلقت على نفسها أشد من انغلاق الثقافة السائدة التي كان الأمل هو الخروج منها.

تمويل بحث:

وأضاف: ولهذا السبب تقدمت للجامعة بطلب تمويل بحث عن الحداثة، وكنت أريد أن أكشف فيما لدي من نصوص مواقفهم من حرية الرأي وتجاوزهم للجانب الفني وابتعادهم عن الوسط الثقافي الذي يكتبون له، والأهم من كل ذلك كيف كانوا أشد تعصبا للرأي وأكثر انغلاقا وتسلطا مما هو سائد، لكن كان الأمر متأخرا وأثناء إعدادي للبحث بكل كدت أنتهي من جمع مادته والبداية في الكتابة، بلغ سيلهم زيد الواقع الاجتماعي والثقافي وضربوا الضربة القاضية وانهار جدار السد الذي أقاموه لأنفسهم وتمترسوا وراءه وعلا الموج رؤوسهم وأطاح ببعضهم كما وصف الدكتور الغذامي، فكان أمامي أمران لا ثالث لهما إما أن أصدر بحثي وأركب موجة التيار العاتي الذي يعصف بهم، وإما أن أتوقف عن البحث وكتابته فكان الخيار الأخير، لأنني ضد المحو وضد الإلغاء لأي طرف في الحياة كلها أو لأي حراك اجتماعي أو ثقافي، كان سبب بدايتي في البحث خيبة أملي فيهم وسدهم لكل منافذ الرأي الآخر وإسقاط التسامح من حسبانهم أثناء دولتهم التي لم تدم إلا سنوات قليلة، وكان توقفي في البحث بسبب قسوة الانتقام التي واجهتهم، وكشف

www.mtenback.com

عن خلل بنيوي مركب في مفهوم الحرية عند كلا الطرفين، وكان كل منهم يصدق في حقه قول الشاعر «لم نكن ظلمنا ولكنا أسأنا التقاضيا» والأهم من ذلك أن الديمقراطية وحرية الفكر والرأي بيننا وبينها مسافات ضوئية.

هذه حكايتي وهذه حكاية تراجعي عن البحث في الموضوع، نعم حدثت الصديق الزميل عبدالله الغذامي عن أن الموضوع أصبح شائكا وهذا ما كنت أعنيه بالشائك.

أسطورة الوأد:

أثار كتابك «الوأد عند العرب بين الوهم والحقيقة» الكثير من اللغط، وإن لم يكن له تلك الحظوة عن الدارسين..

السؤال: ما مدار كتابك الذي تعول عليه في صحة ما ذهبت إليه، وهل لديك قناعة بأسطورة الوأد؟

- كتاب الوأد لم يكن لطلب الحظوة ولا إثارة اللغط قلّ أو كثر، بل لبيان حقيقة وصل إليها البحث وأثبتها الكتاب ولم يتصدَّ أحد لما جاء فيه وينقضه بالحجة والبرهان إلا بالهوى وميل النفس، والكتاب بيّن الخلاف بين الوأد الذي ذكر في القرآن الكريم ومن هي المؤودة وبين القصص التي بنيت على فهم خاطئ لتفسير القرآن، والكتاب يكرر ومؤلفه يقول إن وجد في كل تاريخ العرب أن بنتا واحدة وئدت بالصورة التي رسمت لنا في الماضي فالكتاب وما فيه باطل.. ولا زال الدارسون يرددون قصصا وآراءً وأقوالا أتى بها الكتاب وناقشها وبيّن أنها حكايات لا تثبت وكل من تناول الكتاب لم يورد نصا يدل على أن الوأد حدث يضيف نصا في موضوع الوأد لم يأت به الكتاب ويناقشه وبيّن خطأه والخلاصة أن حكاية الوأد التي ترددها كتب التراث غير الوأد الذي جاء بذكره القرآن.

هذا لا يضيرهم:

كثير من مدارس التفكير ذات التوجه غير الإسلامي تتهم التراث الإسلامي أنه سبب ضعفنا وتخلفنا، وأنه كثقافة لم يعد صالحا للتفاعل مع علوم العصر وابتكاراته ونظرياته العلمية والفلسفية والأدبية.. ما رأيك في هذه المقولة؟

- قول غير الإسلاميين إن قالوا شيئاً لا يضر الإسلام ولا يضر تراثه، وضعفنا وتخلفنا لا يضرهم

www.mtenback.com

أيضاً وقد لا ينفعهم، ودعك مما قالوا وانظر إلى واقعنا فإن كنا أقوياء وغير متخلفين فقولهم باطل وإن كنا كما يقولون فابحث عن السبب.

لهذا خمدت المعارك:

للمعارك الأدبية حضورها بداية الثمانينيات الميلادية؛ ولكنها غائبة في السنوت الأخيرة مع العلم أن لها أكبر الأثر في نمو الحركة الأدبية، وتحريك المشهد الثقافي.. فما سر هذا الغياب في اعتقادكم؟

- الناس مشغولون بمعاركهم الحياتية والاقتصادية ولخوض المعارك أولويات ومن المؤكد أن المعارك الأدبية لا تعطي أولوية على معارك الحياة الأخرى، وأمر آخر هو أن المشهد الثقافي لم يعد مغريا مع مشاهد كثيرة مثل مشهد سباق الخيل ومشهد سباق الإبل وسباق الفضائيات وسباق القوت اليومي وسباق البحث عن وظيفة أو البحث عن عمل كل هذه لا تجعل مضمار السابق لهذه الأسباب جميعها أو بعضها خدمت نار المعارك الأدبية والفتنة نائمة فلا نوقظها.

تقليعات الترجمة:

هل تعتقد أن ترجمة بعض الدواوين الشعرية إلى إحدى اللغات الأجنبية أو كل الدواوين إذا كان الشاعر يملك قدرة على الترجمة وقدرة على النشر وهذا هو المهم، أما العالمية فشيء نسمع به ولن نبلغه حتى ولو ترجمنا كل نصوصنا العالمية، شيء لا يطلب ولا يعمل له وإنما يأتي بطبيعته، والذين حجزوا مقعدا في العالمية لم يخطر ببالهم هذا الوهم وهم ينشئون أعمالهم التي ارتقت بهم إليها.

حسبه هذا:

يحمل كل فرد منا كثيراً من الذكريات حول شهر رمضان، هل لك أن تعطي القراء بعض تلك الذكريات، وما المعنى الأهم الذي يحمله المفكر تجاه هذا الشهر الكريم؟

- رمضان شهر مثل شهور السنة ولا أخصه بذكريات وليس عندي فيه غير ما عندي في بقية شهور السنة، وقراءتي له في الماضي لا تختلف عن قراءتي لكل الشهور الماضية مثله، يبقى لرمضان طعم الصوم ومشهد الصلاة ومضاعفة العبادة وهي ما يميزه على غيره في الحاضر مثلما تميز على غيره في

www.mtenback.com

الماضي حسبه أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن وتضاعف فيه الإيمان[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) جريدة المدينة المنورة: الجمعة 1428/9/23هـ، 2007/10/5م.

www.mtenback.com

لازمة الخوف

لا توجد لازمة في حياة الإنسان أكثر من لازمة الخوف، يخاف على نفسه من متغيرات الحياة وتقلباتها، ويخاف من الفشل في جهوده، ويخاف على مستقبله في شبابه، ويخاف على مكتسباته في شيخوخته، ويخاف من تبدل الأحوال في شخصه وفي المحيط الذي يعيش فيه، ويخاف من المرض والفقر، ويخاف حتى من ثورات الطبيعة وزمجرة الأحداث، يتوقع هواجس كثيرة قد لا تحدث له أبداً، ويقع أحياناً فريسة لما لا يتوقعه ولا يخطر له في بال، الخوف مشروع إنساني في الدرجة الأولى ولهذا السبب كان التوقي والحرص على السلامة مطلباً يضعه الفرد والجماعة في حسبانها! حتى في أكثر الأوقات أمناً واستقراراً.

وليست الدول أقل توقعاً وتوجساً من الأفراد والجماعات، بل لعل مفهوم الأمن هو المشروع الأول الذي تؤسس الدولة عليه حياتها وتسخر كل إمكاناتها له قبل غيره، وإذا ظهرت علامات الخطر وإشاراته ولو كانت بعيدة فإن الأمر ينتقل من التوقي إلى المواجهة التي تستثير الآليات الممكنة للخروج من الهاجس إلى الواقع الذي تمليه الحالة الراهنة لتحقيق الأمن وإبعاد أسباب الخوف الحاصل أو المتوقع.

ونحن في هذه المنطقة العربية عامة وفي دول الخليج خاصة نعيش في معمعة الأحداث وفي معترك الأزمات التي تبعث القلق المبرر الذي يراود الفرد والجماعة ولا تستثنى منه حتى الدولة؛ وباعث الخوف قد لا يكون من الداخل الذي تحكمه الضوابط الداخلية والصلات الاجتماعية المحلية، لكن المحيط الذي حولنا ينذر بكثير من المتغيرات التي لم تكن مما هو معهود، وليس مسبوقاً في شكله وطبيعته، ولا يمكن تجاوزه بالتجاهل والإعراض عنه. والمواجهة بأكثر الأساليب الممكنة والحلول الناجعة المبتكرة والبحث عن وسائل تبعد هذا الشبح القادم من خارج الحدود تصبح أولوية بل ضرورة من الضرورات التي يتطلبها الحاضر بكل ممكن من العمل الجاد الذي يضمن الحد الأدنى من الاطمئنان ويزيل شبح الخوف من النفوس القلقة على الحاضر بكل مكتسباته والمستقبل بكل آماله. إن التغيرات والتحولات المتسارعة من حولنا لن تترك مهلة من الانتظار والتأني ولا المراهنة على عامل الوقت وانتظار الحلول التي يفرضها الزمن أو

www.mtenback.com

ينبئ بها، الزمن أسرع مما نتصور وأبخل من أن يأتي لنا بما نريد أو يسعفنا بما نود، وتجاربنا مع حلول التغافل والتجاهل والإعراض ليست مشجعة في كل الأحوال.

ما نحتاجه في هذه المرحلة هو الالتفات إلى الداخل وفحصه والتأكد من سلامته وحسن أدائه وقدرة تفاعله وكفاءة أدواته التنفيذية ووعي هذه الأدوات بواجبها والتأكد من قدرتها على أداء هذه الواجبات، التصور الممكن للأثر المحتمل لما يحدث حولنا علينا من جميع الوجوه وعلى كل المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها.

الاعتراف بأننا نحتاج لكثير من العمل في الداخل، وأننا نحتاج إلى الاعتراف بوجوه النقص الذي يعتري الأداة العامة التي نعتمد عليها، وأن تطوير آليات العمل في الداخل أولوية قبل كل الأولويات[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2155، السبت 26 جمادى الأولى 1433هـ.

www.mtenback.com

الجامعات والتجميعات

قبل عدد قليل من السنوات كان لدينا سبع جامعات لكل الوطن، ولكل من يخرجهم التعليم العام، وكان الضغط على هذه الجامعات كبيرا، ويزداد كل عام، ومع هذه القلة في الجامعات حين ذاك كانت تستوعب كثيراً من الخريجين من التعليم العام وإن كان بحرج وضيق، وكنا نظن أن إضافة جامعتين أو ثلاث جامعات كفيلة بحل مشكلة الضغط الذي تعانيه الجامعات القائمة آنذاك على مدى عدد من السنوات، ونطالب بذلك مع تعسر بالإجابة لما نطالب به، وخلال خمس سنوات وبقدرة قادر صار لدينا أكثر من خمسين جامعة وكلية جامعية مستقلة، حكومية وأهلية، أي أن عدد الجامعات والكليات العامة والخاصة قد تضاعف عشر مرات خلال هذه المدة القصيرة وهذا حسن على كل حال.

والمتوقع أن هذا النمو الهائل والسريع في العدد وحده سيجعلنا بعيدين كل البعد عن مشكلات القبول وعن ما كنا نعانيه من أزمات في مثل هذا الوقت من كل عام قبل الأعداد الكثيرة من الجامعات والكليات. وأن نبقى زمنا معقولا بلا مشاكل القبول ولا الازدحام حوله ولا الجدل في آلياته ووسائله.

لكن ما الذي حدث مع الطفرة العددية في محاضن التعليم العالي، لقد بقيت مشكلة القبول مثلما كانت قبل هذا العدد، بل بلغ الأمر إلى حد المواجهة مع الطلاب غير المستوعبين في الجامعات الذين لم يجدوا مكانا لهم حتى في غير التخصصات المفضلة لديهم كما حدث هذه الأيام.

أما الذين قبلوا فكانت المشكلة أكبر بالنسبة لهم، حيث قذف بهم الزحام إلى مناطق بعيدة ومدن نائية عن مقر سكناهم وبعيدة عن رغباتهم وهي مشكلة مركبة بالنسبة للطالب وبالنسبة لأهله ولا سيما الطالبات حين لا يتوافر التخصص المرغوب أولاً، ولا المكان المناسب ثانياً، مع أهم تلك المشكلات وهي أخطار السفر كل يوم والطريق الصعب وتكاليف النقل وغير ذلك مما هو محسوب على الجو الدراسي والاستقرار النفسي للطالب وأهله. أين المشكلة وكيف حلها؟

لا يمكن أن يقال: إن إحداث خمسين جامعة وكلية في زمن قصير غير كاف وأن العدد قليل بالنسبة للزمن الذي حدث فيه كل هذا. ولا يمكن إلا أن يفكر فيما وراء الظاهرة المستعصية التي تواجهنا في كل

www.mtenback.com

عام في مثل هذه الأيام سواء كثر عدد الجامعات أو قل.

المشكلة الحقيقية في رأيي تكمن في وضع الجامعات الحديثة وأماكن وجودها وكلياتها وتخصصاتها، فهي أولاً في حقيقة الأمر تجميعات وليست جامعات، وإحداثها كان أقرب إلى الارتجال منه إلى التخطيط الإستراتيجي المنظم، ووضعها المشتت جعلها لا تستطيع أن تقوم بواجبها بصفتها الجامعية، لا من حيث التعدد في الاختصاص، ولا من حيث القدرة الاستيعابية، ولا الجاذبية للطلاب، وهنا جاء استمرار مشكلة القبول وبقائها.

الأمر الثاني التركز السكاني الهائل في مناطق وفي مدن خاصة أصبحت قبلة للطلاب إما لجاذبيتها أو لوجود عدد كبير من الطلاب في هذه المدن أصلا، ومن الصعب عليهم الانتقال من المدينة إلى الريف الذي لا تتوافر فيه وظيفة الجامعة ولا هيئتها.

كان الأولى أن تقوم الجامعات الحديثة في المناطق التي وجدت فيها على هيئة الجامعة المتكاملة التي تعبر عن وضعية الجامعة وتحقق أهدافها، وتغري الطالب أو الطالبة بالانتقال إليها، والحياة فيها، وأن تكتمل مرافق الجامعة وكلياتها في مكان واحد أو في مدينة واحدة حتى تكون فرصة لتوزيع منضبط مع تحقيق الحياة الجامعية الحقيقية كي تصبح الجامعة مدينة بحد ذاتها لها مقوماتها الطبيعية.

هذه وحدها مشكلة القبول التي يعانيها الناس اليوم وهي مشكلة بلا حل سليم حتى اليوم. أما مشكلة المجتمع كله فستكون بعد أربع سنوات وعن تفاصيل المشكلة القادمة سيكون لنا مقال آخر ودمتم بلا مشاكل[1].

(1) اليمامة: العدد 2168، السبت 29 شعبان 1433هـ.

www.mtenback.com

قال مالك

قالوا إن الإنسان اجتماعي بطبعه، وهو مع هذه الصفة الحسنة أناني كذلك يحب نفسه ويسعى لخيرها ويحب الغلبة والأثرة على أقرانه إن كان فرداً، ولطبقته إن كان ينتمي إلى طبقة أو جماعة أو فئة، كانت الفردية هي الغالبة على الإنسان الأول، حيث ذاته المفضلة عنده حتى جاءت الفئات والجماعات والطبقات فانتمى لذاته أولاً، ولفئته بعد ذلك، فأصبح يعيش ثنائية الانتماء فيحارب من أجل هذه الثنائية ويغالب، حتى يضمن لنفسه ولفئته النجاح والتفوق الذي يطلبه كل الناس، وإن اختلفت وسائلهم إليه، وفي صراع كهذا لابد أن تميل الكفة لصالح فئة ما على حساب فئة أخرى، فيشعر المنتصرون بالنشوة وفرحة النصر والظهور، وقد يعززون ما يتحقق لهم من مكاسب بالدفاع المشروع! عن مكاسبهم أمام حسرة المغلوبين وكبتهم، وقد يرفع الطرف المغلوب الراية البيضاء ويعلن الاستسلام إلى حين، لأنه يعرف أن الأيام دول لا تدوم. وكان الشعراء هم أشد الناس ألماً إذا غلب جانبهم ومال الأمر إلى غيرهم ولا سيما أن لسان الشاعر سريع إلى كشف ما في وجدانه فتظهر فلتات لسانه ما يضمر وجدانه. كانت دولة الشعراء قد دالت في أيام جرير الشاعر الأموي المشهور إلى صف غيرهم فكان أمامه خيارات كثيرة، اختار منها خيار الزمن ليعلن هزيمته أمام دورة الحياة وتغير الأحوال، وهو الأمر الذي لا يستطيعه إلا من كان مثل جرير في واقعيته وتقديره لسلطان الغلبة ومرارة الاستسلام للغالب، فتوجه إلى المنافس القوي والخصم الغالب يخاطبه ويذكره بالفارق بين الحالين وحكم الزمنين الماضي الذي كان له والحاضر الذي كان عليه فقال:

يا أيها الرجل المرخي عمامتــه هذا زمانك إني قد مضى زمني

كان الشاعر في زمن جرير وما قبله هو المثقف والمعلم والمتطلع إلى ما وراء الأفق البعيد الذي لا يطمع أحد في غمط حقه أو التجاوز عليه فيما يراه ويعرضه للناس ولكن زمن خصمه صار مختلفاً فانقسم الزمان في رأيه إلى زمانين، زمان للشاعر وزمان لخصمه واستمر الانقسام يدور مع الأيام بين الناس الشعراء وغيرهم وما مدح فريق من النا زمناً إلا وهجاه آخرون، ومثل ما لقي جرير لقي غيره من الشعراء الأندلسيين، وكانت الأندلس غير الشام والعراق في ذائقتها الأدبية وحياتها الناعمة، حيث أضفت الطبيعة

www.mtenback.com

الجميلة في خضرتها جانباً آخر ذهب به الشعر مذهباً أندلسياً خاصاً قلما شابهه غيره في المشرق، ولكن عدوى الزمن كانت راصدة للشاعر في الأندلس كما كانت راصدة له في المشرق، ومن الفئة التي التفت إليها جرير ذاتها، يلتفت الشاعر الأندلسي إلى دولة الزمن فيقول:

ويا قـال زيد أعـرضي أو تعـارضي فقد حال من دون المنى قال مالك

ودامت هذه المداولة بين الناس حتى خلدها عبقري الشعر العربي كله المتنبي وجعلها تدور على كل لسان فقال البيت الخالد:

كذا قضت الأيام ما بين أهلها مصـــائب قـوم عند قوم فوائد

هذه المعادلة الأبدية هي ناموس الحياة الثابت الذي لا يتغير ولا تبدله الأيام ولا تختلف حوله المقالات فمن كسب مكسباً لا بد أن في مكسبه خسارة لجانب آخر قد يعرفه من تحقق له الكسب وقد لا يعرفه البتة.

في تاريخ الشعوب والأمم تبقى المداولة بين الأقطاب فمرة لك ومرة عليك، وبهذه المرة وتلك التي بعدها تستمر الحياة وتحلو المشاغبة البريئة أحياناً وغير البريئة أحياناً كثيرة والأيام دول، وصدق الله الذي يقول وهو أصدق القائلين «وتلك الأيام نداولها بين الناس»[1].

أين اتجاه الناس

فأنا قائدهم: هذا قول قديم وهو قول يعرف طبيعة الناس وكيفية قيادتهم وهو عمل مشروع يحاول أن يسبقهم إلى ما يريدون وليس الاعتراض في طريقهم والسير بهم عكس حاجاتهم وما يتطلبه الحال الذي عليه الناس، فالسير أمام رغبات الناس هو ضمان قيادتهم واستمرار انقيادهم، ولكن معرفة اتجاه الناس مشكلة عانت منها الشعوب والقيادات على حد سواء منذ القدم، وقد حاولت كل الأنظمة السياسية والاجتماعية التماهي مع الرغبات وتوجهها إلى حيث تريد، وقد بحثت الوسائل التي ترصد الرأي العام

(1) اليمامة: العدد 2151، السبت 28 ربيع الآخر 1433هـ.

www.mtenback.com

وتعرف اتجاهه وأصبحت الأمم في العصر الحديث تنشئ مراكز ضخمة ومؤسسات كبيرة مهمتها رصد المتغيرات ومحاولة معرفة الاتجاهات في المجتمع ونموه والأفكار والمعارف والمكتسبات التي تؤثر في سلوك الناس ومتطلباتهم قبل المطالبة بها وتبني عليها تصرفاتهم، فصارت التنبؤات للمستقبل تخصصات واهتمامات علمية ومعرفية لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات التي تسعى لضمان السير الآمن إلى المستقبل الذي تتنبأ به هذه الدراسات الراصدة لحقيقة الحراك الاجتماعي والمؤشرة بعلم ومعرفة إلى ما يمكن أن يحدث في المستقبل من التطورات في البنية الاجتماعية والإعداد لها والتجاوب مع متطلباتها.

وشرط الاستفادة من المعلومات الراصدة هو المرونة التامة في الإدارات التنفذية والتجاوب غير المتردد في قبول الاستنتاج المتوقع والاستجابة له قبل إلحاح الطلب به من الجمهور، بل يجب أن يسبق المخطط المسؤول التطلعات المشروعة للناس ويعمل على إحداث التغيير قبل الشعور بالحاجة إليه من الآخرين.

ما يواجه العالم العربي اليوم من مشكلات واضطرابات يعود في مجمله إلى غياب التجاوب الطبيعي مع المتغيرات والتسارع الكبير في المتطلبات ونمو المشكلات الاجتماعية دون أن يلوح في أفق القيادات الإدارية الشعور بها أو الإدراك لضرورات المرحلة التي يعيشها المجتمع، وانغلاق النخب التنفيذية على ذاتها وبعدها الذي تمارسه طواعية متخذة كواليس البيروقراطية ردءاً ووقاية عن المواجهة الصادقة والمخلصة مع الواقع كما هو وليس كما يرغب المستفيدون من المماطلة والتجاهل حتى يقع ما لا يمكن إخفاؤه ولا التجاهل له.

إن معطيات الحاضر لا تسمح بكثير من المماطلة في مستحقات الشعوب ولا تعطي مجالاً رحباً لتغطية الأخطاء مهما ظن البعض أنه قادر على شيء من ذلك. فوسائل التغيير لا تأتي فقط من الداخل فحسب، ولا يمكن أن يوضع عليها غطاء الغفلة أو تبريرها بغير أسبابها، وقد آن الوقت المناسب للذين يراهنون على حلول الوقت لمشكلاتهم أن الوقت لم يعد حلالاً للمشاكل ولا في صالحهم الانتظار أكثر مما مضى، والخيار هو المواجهة للواقع وليس انتظار الحلول التي لن تأتي إلا بثمن باهظ التكاليف قد لا يكون في

www.mtenback.com

صالح أحد[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2145، السبت 16 ربيع الأول 1433هـ.

www.mtenback.com

إزاحة المتحقق إلى المتخيل

في الأسبوع الماضي عقد مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني ندوة تحت عنوان القبلية والمناطقية والتصنيفات الفكرية وأثرها على الوحدة الوطنية، وهو عنوان يحيل إلى مفهوم متخيل في أثره المعهود في الثقافة السائدة، حيث القبلية والمناطقية مكمن العصبية في الذاكرة الشعبية وهو أمر يقع ضمن إزاحة المتحقق إلى المتخيل، فالمتخيل هو القبيلة أو الإقليم، أما المتحقق فهي عصبية من نوع حادث جديد تشكله مصالح وأغراض قد تكون الفئة القليلة عاملاً حاسماً في وجودها وتأطيرها النفعي الذي يستند إلى تقاطع واضح مختلف جداً في حياة المجتمعات وتبلور في مكامن البيروقراطية واحتل مساحة كبيرة وتقوم عليه ولاءات وانتماءات أهم بكثير من الانتماء للقبيلة أو المنطقة، فالقبيلة والمنطقة انتماء عريض ورابطة بشرية تقوم عليها علاقات وصلات مجتمعية لابد منها في تكوين الأمم التي لا تخلو أن تكون منتسبة إلى إقليم (منطقة) يجمع أو نسب يرفع.

وفي هاتين العلاقتين يتحدد الارتباط الذي يرتكن إليه الناس في التعارف وتكون الروابط التقليدية التي ألفتها المجتمعات في عصر تكوينها الأول، ولأن ذلك مظان العصبية القبلية والمناطقية كان الاتجاه إليها بديلاً عن غيرها من مركن التعصب الجديد الذي يوجده حراك المجتمع السريع مع متغيرات الحياة ومتحولات الزمن فتنوع العصبيات والثنائيات والانتماءات لا تحكمها صفة واحدة كالقبيلة أو الإقليم لكن قد تتعدد المسميات وتتنوع الانتماءات وتنتقل من مكون القبيلة والمنطقة إلى مرتكزات أخرى مثل عصبية المنافع العامة أو الخاصة واتفاق المصالح المعنوية والمادية، ولكن المعهود الاجتماعي هو الذي يوجه الاهتمام! إلى الموروث التقليدي بدل البحث في حالات التغير الذي يحدث في بنية المجتمع ويحكم تحولاته. ولا شك أننا أمام واقع مختلف تحكمه مستجدات الحياة ومتغيرات الظروف التي يعيشها المجتمع الحديث مجتمع لا تمثل القبيلة واقعة ولا يمثله الإقليم، المجتمع الجديد يتبلور خارج هذين الإطارين التقليديين وإن كان يبتعد عنهما كثيراً، بل يتدثر ببعض ملامح الماضي ليحتال على الحاضر حتى يتلافى أسباب الانقطاع الذي لا يريد أن يتوجه إليه. ولذا كان الواجب مد النظر إلى طبيعة المتغيرات ومرتكزاتها الطارئة في

www.mtenback.com

علاج مشكلات الواقع الاجتماعي.

السياق الذي يحدد ملامح المجتمع الجديد ينطلق من ثنائيات كثيرة لا تحصر فيما توجه مركز الحوار إليه كثنائية القبيلة والمنطقة ومظنة العصبية هناك، بل أصبحت العصبية التي يحاول كل طرف إلقاء تبعاتها على الآخر تعشش في أماكن كثيرة قد لا تكون مما عرفه الناس ولا ألفوه في الماضي، والأطروحات الكثيرة التي تعالج أحوال المجتمع يجب أن تلامس الواقع وليس المتصور حتى تكون أقرب إليه وأهمها العمل على تجذر البدائل الطبيعية التي يكون القبول بها والانتهاء إليها ممكناً! وأولى ذلك وأهمه تأصيل مفهوم المواطنة وإحلال مدلولها مكان كل انتماء مهما كان نوعه ومهما صعب التحول عنه ولا يكون هذا التحول المأمول حتى تحقق المواطنة معناها؛ وهو أن تحل بديلاً موضوعياً لكل انتماء غيرها وشرط القبول بالمواطنه بديلاً أن يتحقق العدل بين الناس وأن يجد المرء فيها ما يجده في غيرها من كل أنواع العلاقات والصلات التي يتواضع عليها الناس وهذا وهو الذي يضمن الجانب الذي تبحث كل المؤتمرات والندوات واللقاءات عنه.

إن التزاحم في الولاءات لا يحقق وحدة المواطنة ولا يخدم مبدأ العدالة وما يجب أن يتم التعامل فيه هو تلمس بواعث الاختلاف وأسباب التشظي في كل الاتجاهات سواء كان مبعثه العصبية المتلبسة بالقبائلية أو المناطقية أو تلك التي تتكئ على ما يحدث ويجد في الحياة الاجتماعية بكل أبعادها من أغراض ومصالح قد تأخذنا بعيداً عن الوطن والمواطنة الحقيقية[1].

(1) اليمامة: العدد

www.mtenback.com

العدل يجمع الناس

يبحث الناس منذ القدم عما يسعد حياتهم ويضبط علاقاتهم ويسهل طرق التواصل بينهم، وحي نزل الإنسان الأول إلى الأرض لأول مرة واستقر فيها وتكاثر في طولها وعرضها وتنقل في أنحائها وتكاتفت جهوده في عمارتها نزلت معه شهواته ونزواته واختلاف أغراضه فبحث عن صلة تجمعه بالآخرين الذين يعيشون معه وآلة تربطه بواقع الحياة الذي يراه صالحاً له وينتمي إليه، فانتمى إلى الأسرة أولاً، وإلى الفصيلة ثانياً، وإلى العشيرة ثالثاً، وإلى القبيلة والشعب بعد ذلك، في سلسلة طويلة من الأحساب والأنساب التي يراها أولى الروابط، ولم تملأ هذه الفراغ الذي يجده في تكوينه وتطلبه حاجاته فشرع في البحث عن أنظمة اجتماعية تكون بديلاً معقولاً لرابطة النسب التي لم يجدها كافية لما يريد من الحياة. فكانت المحاولة التي أنتجت الأنظمة والقوانين والأعراف الاجتماعية التي عاش بعضها طويلاً ومات كثير منها قبل أن يبلغ مرحلة التدوين وسن الرشد.

وجاءت الأديان فتعدد البشر بتعددها وافترق بافتراقها، وجاءت الثقافات التي تقرب الفهم العام بين الناس وتسهل التواصل، البشري على أسس الوعي المشترك بالذات وبالآخرين، حيث يسمو الفكر على غيره من صور التقارب، وقبله كانت اللغات التي يتواصل بها قطاع كبير من الناس فتجمع بينهم وتحدد هويتهم، ولكنها جاءت مختلفة كاختلافهم الذي صار يتعدد بتعدد البحث عما يجمع بينهم.

اتسعت حركة الإنسانية وانقسموا على تلك الأسس التي سبق الحديث عنها فكان الدين صلة، والنسب صلة، والثقافة صلة، واللغة صلة، ثم جاءت الدول والأنظمة السياسية التي تجمع أو قد تجمع الناس تحت سلطان الدولة مع اختلاف روابطهم وصلاتهم وثقافاتهم وأديانهم ولغاتهم، حيث يجتمعون في سلطان الدولة الواحدة ويختلفون فيما بينهم بقدر ما سبق من أمثلة التوافق والاختلاف مع تباين في الحقوق والواجبات التي تبحث عنها كل هذه الروابط من التشكيلية البشرية التي تعيش على الأرض الواحدة وقد يجمعها النظام السياسي الواحد وتفرقها الاختلافات العرقية والدينية والثقافية واللغوية وغير ذلك من عوامل التعدد والثنائيات التي لا يخلو منها مجتمع على وجه الأرض كما أشرنا.

www.mtenback.com

كان البحث عن المساواة والعدل هو الدافع إلى التعدد والاختلاف، وكان الفلاسفة وعلماء الاجتماع ورجال الدين يحاولون في كل مرة سلوك طريق إلى العدل والمساواة كما يظنون، ثم لا يلبثون أن يجدوه ناقصاً لا يحقق كل ما يطمحون إليه فيتجهون إلى البحث عن طريق آخر، رغم أن كل محاولة تأتي بجديد ولكنه جديد غير كاف للمطلب الأسمى وهو العدل والمساواة بينهم.

لم يكن العجز في أسس التشريع للعدل والمساواة، ولكنه العجز عن ضبط السلوك البشري وقدرته على التلون والاحتيال على كل تشريع يسن لصالح الجماعة، ليجد الأفراد أو الفئات التي تريده لها دون غيرها وتفسره لصالحها.

إن كل تشريع مهما كانت قوته وصلاحه لابد أن ترافقه سلطة تحميه ووعي يدافع عنه ويمنع المتجاوزين لثوابت الحقوق مهما كان نوع التجاوز، وقد لا يكفي إعلان القبول دون الممارسة التي تضمن للجميع فرص العدل بينهم. والعدل أصعب ما يمارسه الناس في حياتهم وإن زعم كل منهم أنه من أهله والقائمين عليه ولقد صدق المثل (لو عدل الناس لاستراح القاضي).

والتجربة تثبت أن الناس لا يعدلون حتى لو ادعى كل منهم ذلك وطالب به[1].

الشعوذة والمشعوذون

في الآونه الأخيرة كثر الحديث عمّا يمكن أن نسميه ثقافة الشعوذة وما يتردد من أحاديث عن مطاردة المشعوذين واكتشاف أعمالهم وبيان خطرهم. ولو بحثنا فيما وراء الحاضر لوجدنا في العمق السحيق من الذاكرة الإنسانية أشياء كثيرة مخيفة، ولا سيما في طفولة الحياة الأولى وبدايتها حيث الظلام والطبيعة القاسية والإنسان الذي يعيش شبه وحدة في بيئة مخيفة مقفرة تصاحبه هوام الأرض وطيور السماء وتحيط

(1) اليمامة: العدد 2141، السبت 18 صفر 1433هـ.

www.mtenback.com

به السباع ومخلوقات الله الفطرية، والإنسان معها يعيش في طور الفطرة ويراقب ما حوله بخوف وتوجس ورهبة عظيمة لاسيما حين تكفهر الحياة من حوله وتتحرك العواصف ويرى السحاب الذي يكون بعضه ظلمات بعضها فوق بعض، ويسمع الرعد يزلزل الأرض تحت أقدامه، ويرى البرق يخطف بصره، ويقع في مهب الريح العاصفة التي تحدث الرعب في نفسه، وهو منتبذ صغير الحجم ضعيف الجسم، إلا أنه عاقل قادر على النظر والتأمل، حريص على أن يعيش بسلام مع من حوله، قاده هذا الواقع إلى ضروب شتى من الحيل لاتقاء شر ما يحيط به، فعبد بعض ما يشاهده في الأرض وبعض ما يتخيله في السماء، وأعطى عقله فسحة في أن يتعامل مع الأشياء بحذر وأن يفسر بعض الظواهر تفسيراً يناسب موقعه منها، زاعماً أن بعضها نافع وبعضها ضار، وأن لبعضها قوة فوق قوته، ولم يستطع تفسير كل ما يراه من صور الحياة مع تعامله مع كل ما يحيط به، خلق ذلك نوعاً من المسلمات عنده آمن بها وتوارثتها الأجيال واكتنزتها الذاكرة الشعبية البدائية الساذجة حتى تحول بعض ما يعتريه إلى معتقدات تجري على لسانه ويصنفها خياله مع الواقع الذي يتكيف فيه، ولعل أشد ما حيره هو عجزه أحياناً عن معرفة كنه الأشياء التي تحيط به، وعدم قدرته على تبرير أشياء أخرى يراها أو تقع له أو يتصورها ثم لا يجد لها تفسيراً يناسب اندهاشه بها وتفاعله معها، سلباً أو إيجاباً من جانب، ومن جانب آخر يتعرض بقدراته المحدودة لامتحان يصعب عليه تعليله أو تبريره فيجد لعجزه تعليلاً ليبعد عن نفسه العجز الذي يحس به ويسيطر عليه. وإذا عجز عقل الإنسان عن إدراك حقيقة أمر من الأمور أو غمض عليه شيء من الأشياء لجا إلى المستحيلات والتخمينات التي تسعفه بما يفسر له الغامض والمعجز، هنا يقوده منعطف الغموض إلى حبائل الشعوذة والأوهام النفسية التي يستغلها شياطين الإنس لتحقيق مكاسب معنوية وعلى حساب الإنسان الذي يعجز عقله عن تفسير الأشياء لديه.

إن الانسياق مع الشعوذة قبولاً بها ممن يصدقها أو رفضاً لها ممن يحاربها خلف نوعاً من ثقافة الشعوذة التي تقود الفريقين إلى أخطاء في القبول وأخطاء في المحاربة.

والأولى أن تفكك حقيقة الشعوذة علمياً ليظهر عدم صحتها أصلاً، وإنكار نفعها أو ضررها بلغة

www.mtenback.com

معرفية مقنعة وليس بمحاربة تقود بطريقة عكسية إلى تكريس وجودها حتى عند الذين يحاربونها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1927، السبت 14 رمضان 1427هـ.

www.mtenback.com

حلول القضايا

في كل المجتمعات توجد المشكلات ويواجه الناس الصعوبات في فنون الحياة وشؤونها، بل إن المجتمع الذي يعاني بعض المشاكل في حياته وحاجاته يصبح أكثر قدرة على التعامل مع ما يواجه من ضروب المتغيرات، وتصبح خبرته وتجربته سلاحاً يساعده على التجاوز إلى فرض تجربته الخاصة، ليستفيد منها الآخرون، وتكون التجربة والخبرة مانعة من الوقوع في الأخطاء مرة أخرى، وكلما تعددت المشكلات وتنوعت، تعددت وسائل حلها والتغلب عليها، وأصبح المجتمع آمناً أو شبه آمن من تكرار المحاولات وتكرار الأخطاء، فكل مشكلة تواجهه وتحدث في حياته يواجهها بحلولها الخاصة بها.

ونحن لنا مثل ما للناس من المشكلات التي نعيشها على أرض الواقع، ونبحث في حلولها وتجاوزها كغيرنا من عباد الله إلا أن بعض مشكلاتنا تأخذ منا في حلها أكثر مما يجب وتدوم أطول مما ينبغي، ولو أردنا التدليل بدليل واحد على هذه الحال لما صعب علينا ضرب الأمثلة، وما أكثرها ولكن لنبدأ بواحدة منها، ولتكن مشكلة البطالة التي تقلق الناس اليوم وتزيد ضراوتها باستمرار، وهي قضية واجهتنا منذ أكثر من عشرين عاماً واستمرت تواجهنا في كل عام ونحن نبحث عن حلول ناجعة لها ومع كل حل نراه أو نقترحه تتجاوز مشكلة البطالة كل الحلول ونعود نبحث من جديد عن حل وآخر ونطبق نظرية وأخرى، ولكن المحاولات تتكرر وأعداد العاطلين عن العمل تزيد بالرغم من كل المحاولات الجادة وبالرغم من كل الفرص المؤاتية.

تبقى القضية بلا حل وتبقى الحلول وقتية أو شكلية مؤقتة أو دائمة، لكن البطالة بين طلاب العمل من المواطنين مستمرة مستعصية على كل حل أتينا به مع أن كل فرضيات الحلول لها مهيأة وممكنة، بل إنه من المفارقة العجيبة أن توجد عندنا بطالة في أي نوع من العمل ونحن نقدم الفرص الكبيرة لملايين العاملين من مشارق الأرض ومغاربها ويعمل لدينا أكثر من نصف السكان وأكثر من قوة العمل المحلية فلا يجد هؤلاء شحاً في فرص العمل ولا مشقة في الحصول عليه.

إذن ليست المشكلة بقلة الحلول ولكن المشكلة بنوعية الحلول وبكيفيتها وأهم من ذلك كله كيفية تنفيذها

www.mtenback.com

والتعامل معها.

فنوعية حلولنا آنية وقتية تفرضها مناسبة عابرة وفكرة لم تستوعب أبعاد المشكلة وحيثيات وجودها وظروفها الاجتماعية التي أوجدت المشكلة من أصلها قبل التفكير في حلها.

أما الكيفية التي نكيف بها التعامل مع القضية فهي لا تقل بعداً عن المناسب من الحلول، فتصورنا لأسباب البطالة هو الآخر ناقص استقراء وممارسة ولهذا السبب لا نستوعب الخلفيات الشكلية التي قادت بالضرورة إلى ما نحن في سبيل حله فنضع الحلول لما نتصور أنه هو المشكلة وإن كان الأمر غير ذلك. أما التعامل مع الموضوع فلا يكون نصيبه أقل من العاملين السابقين بعداً عن الحلول المقبولة أو الممكن قبولها فأكثر ما نضع من الحلول يأتي فوقياً جاهزاً لا يستأنس بآراء أصحاب القضية ولا ينزل إلى مستوى الباحثين عن العمل فيسمع منهم ويستفيد حتى يعرف ما هم فيه وما يريدونه وما يحتاجون إليه وقد يكون لرؤيتهم وتفهم قضاياهم ما يساعد على الحل[1].

الحاجة تصنع القيمة

على مدى ثلاثة أيام كان النادي الأدبي في القصيم يستعيد التاريخ تاريخ العرب وتاريخ الشعر والفروسية وتاريخ الحب الطاهر العفيف. كان النادي والمدعون إليه من أهل اللغة والأدب والشعر في الأسبوع قبل الماضي يسيرون مع الماضي لهذه الجزيرة مع أول إطلالة الإنسان العربي إلى العالم بشعره وفكره وحربه وسلمه. كان عنترة بن شداد العبسي هو محور هذا التاريخ وهو جامع هذه المعاني المشار إليها، حيث كانت الجاهلية وكان الشعر وغيره مما حفظه لنا شعر عنترة الذي سار مع الزمن سيراً حثيثاً حتى وصل إلينا بصورته التي استقرت في أذهان الناس: عنترة الفارس العاشق، العبد، الحر، المختلف

(1) اليمامة: العدد 2129، السبت السبت 15 ذو القعدة 1431هـ.

www.mtenback.com

حوله والمتفق عليه مع أشياء أخرى ليس هذا مجالها.

إنما المجال الذي حررت هذه الكلمة من أجله هو ما أضافه عنترة إلى تلك الصفات والقيم؛ ذلك تجربته في الحياة ومعرفته طبائع الأشياء والناس وتفحصه لدقائق السلوك الإنساني الذي لم يتبدل منذ عهده وجاهليته إلى عهدنا وإسلامنا عندما يجمع صفات الناس التي تلازمهم؛ وهي تقدير القيمة لما يحتاجون إليه وزهدهم في الشيء عندما يستغنون عنه؛ خذوا هذه الحكمة عنه واسمعوه يقول:

ويدعونني في السلم يا ابن زبيبة

وعند صدام الخيل يا ابن الأطايب

تلك تجربة الشاعر مع أخلاق الناس ووصفه لما عرف وجرّب منهم لا يبعده عن دوره معهم حتى وإن عرف ما في نفوسهم.

إذن الحاجة هي صانعة القيمة للإنسان والأشياء، وقديماً قيل حاجة كل امرئ ما يحسن، وقد أحسن الإخوة الزملاء في نادي القصيم الأدبي حين كانت الكلمة الطيبة والتجربة الإنسانية الخالدة، بل الشخصية المعبرة عن كل أحاسيس الناس هي محور النقاش الذي دارت حوله بحوث المؤتمر في جو من الانسجام مع مضمون الكلمة الطيبة المنتخبة من صميم تراث العرب ومن تجاربهم في الحياة، وقد لا نبعد عن الحقيقة والواقع إذا زعمنا أن الناس اليوم أكثر تقديراً للقيمة النفعية وأكثر إلحاحاً على التصنع لها عند الحاجة إليها؛ سواء كانت هذه القيمة للإنسان أو للأشياء وأكثر تجاهلاً وزهداً فيما لا يقدم لهم نفعاً إن كان من الناس أو الأشياء، وسجية الاهتمام بالنفع والزهد عند الاستغناء عن الناس والأشياء، هي طبيعة الجحود وسجية التنكر إلا لما يجلب النفع ويحقق الذات؛ وهي أنانية عرفها الأولون وشكوا قسوتها وعرفها المستأخرون واكتووا بنارها وستدوم الحاجة في كلتا الحالين ويدوم الناس إلا أن يشاء الله[1].

(1) اليمامة: العدد 2080، السبت 12 ذو القعدة 1430هـ.

www.mtenback.com

الديمقراطية تصحح نفسها

نعم فاز الرئيس الأسود الأول في تاريخ أمريكا، ومعاني هذا الفوز كثيرة لأمريكا خاصة وللعالم. أما لأمريكا وحدها فإن اختيار الشعب الأمريكي لرئيس أسود من أب غير أمريكي يختاره شعب تغلب عليه النظرة العنصرية إلى عهد قريب جداً، ويقوم على الفصل العنصري حتى أواخر الستينيات من القرن الماضي، ولكنه اليوم يعلن للعالم تخليه عن هذه المواقف الماضية ويعدُّها مرحلة تاريخية في حياته يمكن أن يعلن عن قريب مسؤوليته عن هذا الماضي ويكفر عنه، بل قد كفر عنه باختياره هذا العام لأوباما وامتعاضه لمبدأ التمييز بين الأمريكيين على أساس اللون أو الدين أو العرق، هذه الرسالة الواضحة التي حملها اختيار الشعب الساحق لشاب تنازعه الأعراق والأديان والقارات والألوان أيضاً. أما الرسالة الثانية فهي الواقعية أو إن شئت فقل «البروقما تكية» فقد أظهر الناخبون في هذا البلد الكبير الذي يحكم العالم اليوم في قوته العسكرية والاقتصادية أن الناس يحتاجون أمام الكوارث الهائلة التي سببها الرئيس السابق وإدارته إلى منقذ بغض النظر عمّا وراء الشخص الذي يمكن أن يكون هو الرجل المناسب في الوقت المناسب وبغض النظر عن كل التقاليد والأعراف التي تأسس عليها تصور كامل للنوع الذي تطمئن إليه جماهير الشعب وتقاليده الراسخة. وهذا لب الديمقراطية وقدرتها على تصحيح نفسها وأخطائها و«دينا ميكية» تغييرها من الداخل وبنائها لذاتها دون الركون إلى شكليات لا تقدم التغيير المناسب، في رأيي أن النجاح المدوي الذي حصل عليه الرئيس القادم لأمريكا لم يكن نجاحاً للسود والملونين في أمريكا وخارجها، ولكنه نجاح للدميقراطية ووسائلها وآلياتها وقدرتها على أن تخرج بحلولها الذاتية لمشكلاتها وكوارثها، ولهذا السبب كان الحظ هو العامل الذي جعل خيار الديمقراطية في شخص الرئيس أوباما الأسود الذي وعد بالتغيير؛ وهو العمود الفقري لنجاح الدميقراطية وأساس من أسس بقائها واستمرارها وصلاحها.

لقد راهن الناخب الأمريكي على القدرة والكفاءة والبرنامج الذي يحمل التغيير للواقع إلى ما هو خير منه؛ لأنه أدرك خلال تجربة قصيرة في عمر الحكومات «ثماني سنوات» أن الأداء الذي تقدمه حكومته خرج عن ثوابت الشعب الأمريكي وأوقعه في مغامرات غير محسوبة العواقب، كما أدرك النتائج الوخيمة

www.mtenback.com

لهذه المغامرات فعزم على أن يجعل لذلك حداً يقف عنده المتهورون والمغامرون.

لأن الديمقراطية بكل آلياتها جعلت السفح والقاعدة العريضة والكثرة هي التي تحسّ وتقيس النجاح فتكافئ عليه أو الفشل فتعاقب الفاشلين وتبحث عن طريق للنجاح مرّة أخرى بكل وسائلها الممكنة.

أمّا ما يعنيه فوزه للعالم ولا سيما نحن في العالم العربي الذين نبكي على كل ذاهب من هذه الإدارة، ونصفق لكل قادم فإن العصا من العصية ولا تلد الحية إلا حية، وسترون ذلك وتعرفونه[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2032، السبت 17 ذو القعدة 1429هـ.

www.mtenback.com

ارحموا الناس من سوء الظن

من طبيعة الناس أو بعض الناس الحذر الشديد من الآخرين وأعمالهم وضرورات الحيطة التي قد يراها هذا البعض مهمة له عند تعامله مع الناس أو ارتباطه بهم؛ وهذا في حده الأدنى أمر طيب، لكن بعض الحذر يدفع صاحبه إلى سوء الظن بالناس الذين حوله، والظن كما نعرف مغروس في طبيعة البشر، وهو نشاط عقلي محايد لا يصح أن يحمد أو يذم، وهو رد فعل لأمارات وعلامات تتلمس الواقع المحيط بالإنسان ينتهي إلى صدق الفراسة أو فشل الظنون. لكن المرء الذي ربي على النشأة الصحيحة السليمة يحسن الظن بالآخرين، وهذا يحتاج إلى ملكة الإحساس التي لا تكتسب إلا برقابة النفس وإخضاعها لسلطان الواقع الاجتماعي والتماس الأعذار لأخطاء الآخرين بسلامة صدر، ويبعد عن سوء الظن بهم، إذ سوء الظن يحمل على الاعتقاد وأن ينزل عمل الآخرين على الوجه السلبي في غير دلالة ظاهرة. ومن هنا يظهر معنى «إن بعض الظن إثم»، وهذا لا شك أمر في غاية الأهمية التنبه إليه عند المعاملة والاتصال بالناس. وقد يدفع سوء الظن إلى دغل القلوب وأحقادها التي تؤول بصاحبها إلى مرض نفسي يلازمه وينغص عليه حياته وصلته بمن حوله، وهذا لا يعني الغفلة عن كل شيء، بل إن من الظن ما هو فراسة وألمعية بدلالة الظواهر واستقراء الأحداث دون انخداع بملابسة الأمور، لكن غلبة الظن الحسن مطمئنة للنفس ومريحة للبال وهي الخلق الطيب المستقيم ما لم يحدث ما يدل على خلاف الحسن والمقبول. وفي المقابل لحسن الظن نجد في مظاهر سوء الظن العجب بالنفس، واتهام الناصح والشك بنيات الأقربين، وتقطيع الأواصر، وغبن الآخرين مما يورط صاحبه في مشكلات كثيرة، كما أنه سبيل إلى الخوف المفرط مما يدفع إلى فقدان الثقة وعدم الدقة في تقدير الأمور والتعجل في إصدار الأحكام على غير بينة ولا علم، ولا شك أن المرء لا يستطيع العيش في جزيرة معزولة عمّا حوله ولكنه بحسن الظن يستطيع أن يتعايش مع واقعه بروح مسالمة آمنة مطمئنة تحمل آراء الناس وأفكارهم على محمل حسن ما لم يقم الدليل على

www.mtenback.com

خلاف هذا الظاهر والأخذ بالأثر: احمل أخاك المسلم على سبعين محملاً من الخير[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1924، السبت 11 ذو القعدة 1427هـ.

www.mtenback.com

يك استاد سعودی زنده به گور كرن دختران پيش از ظهور اسلام را بی اساس خواند

يك پژوهشگر واستاد دانشگاه سعودی به "العربيه. نت" گفت كه "زنده به گوركردن دختران" در عصر پيش از ظهور اسلام را واقعی نمی داند واين برداشت نسبت به آن دوران را ناشی از قصه پردازی راويان ومفسران يافته است.

دكتر مرزوق بن تنباك كه يكی از مشهورترين كتابهايش را "زنده به گوركردن دختران در ميان مردم عرب، خيالپردازی يا واقعيت" ناميده است، اظهار می دارد: به رغم حملات وانتقادات، از نظر خود باز نمی گردم زيرا 7 سال را برای تحقيق وتعمق در اين مساله سپری كرده وبه يقين مطلوب رسيده ام.

نويسنده كتاب "الوأد عند العرب بين الوهم والحقيقه" می گويد: اين يك توهم تاريخی ويك دروغ ساخته وپرداخته فقيهانی است كه با تعصب عليه دورانی نوشته اند كه به جاهليت معروفش ساخته اند.

يادآوری می شود در تاريخ عرب از دوران پيش از اسلام به "دوران جاهليت" تعبير می شود ومنظور از اين نامگذاری، اين بوده است كه عربها پيش از مبعوث شدن پيامبر اكرم (^) نسبت به احكام الهی "جهل" داشته اند، يا به عبارت امروزی تر بی اطلاع بوده اند. حال آن كه ادبيات آن زمان عرب بسيار قوی بوده وساير جنبه های زندگی آنان، مثلا بازرگانی وپذيرش بيگانگان ايرانی ورومی وحبشی با معيارهای آن زمان در حد طبيعی بود.

دكتر مرزوق بن تنباك معتقد است كه اصولا در دنيای كهن وتا همين اواخر در بسياری از جوامع، به دلايل مختلف، واز جمله ؛ جنگها وناآرامی ها، فرزند پسر بر فرزند دختر ارجحيت داشته است. اما در اين قضيه، مفسران وراويان مسلمان با تعصب خاص مرحله ی تاريخی شان نسبت به ما قبل وبه كمك خيالپردازيها وافسانه سرايی های مردم پيرامونشان، تفسير آيه معروف "واذا الموءوده سئلت باى

www.mtenback.com

ذنب قتلت" را به سمت وسوی دیگری سوق داده اند.

این پژوهشگر واستاد دانشگاه سعودی توضیح می دهد: همان گونه که می دانیم در زبان عربی، مذکر ومونث وجود دارد و"نفس" یا جان هم از اسمهای مؤنث است.

قرآن مجید وقتی می فرماید: اگر از زنده به گور شده سوال شود که به کدامین گناه کشته شده است" منظور "نفس انسانی مذکر ومونث" است. حال اگر بدانیم که جنین ها ونوزادان هستی یافته از روابط نامشروع در بسیاری از جوامع به عنوان "لکه ی ننگ" از بین رفته ومی روند، می توانیم تفسیر را در منع قتل جنین ونوزاد ببینیم .

وی استدلال مخالفان خود را که غالبا با ذکر اتفاقاتی برای این وآن پیش می کشند، نااستوار خواند ودرجه ی صحت نقل قولها را ضعیف وپایین دانست. او حتی یك حدیث نبوی نقل شده در کتب در این زمینه را که اغلب مایه ی استدلال می شود، دارای صلابت علمی وفقهی مناسب ندانست .

گفتنی است اغلب منتقدان آرای این استاد دانشگاه، نظرات وی را اجتهاد شخصی ونگرش آزاد فردی می دانند. بویژه آن که او در مورد سکولاریسم ولیبرالیسم نیز اندیشه های بازتری دارد.

دکتر مرزوق می گوید: اگر به عنوان مثال 3 میلیون مسلمان را در بریتانیا می بینیم که آزادانه زندگی وعبادت می کنند، این از برکات سکولاریسم ولیبرالیسم است. سکولاریسم با هیچ دین وآیینی سر جنگ ندارد ولیبرالیسم نیز آزادی بیان واعتقاد را فراهم می کند .

با این حال نمی توان دکتر مرزوق را "غربزده" خواند. زیرا او کتابها ومباحثی در مسئولیت ملی ووطندوستی، حقوق شهروندی، راههای حفاظت از زبان قرآن وپیرایش دین از خرافات دارد. بنابر این وی را باید از کسانی شمرد که چشم به داخل دارند نه خارج[1].

(1) اليمامة: العدد 1924، السبت 11 ذو القعدة 1427هـ.

www.mtenback.com

من الدانمرك إلى بغداد.. أمة شاعرة

بين رسوم الدانمرك وحذاء الزيدي مسافة من الزمن ومسافة من الأعمال والأقوال، ودفع هائل من المشاعر وثورات ومظاهرات للفرح والترح يموج بها عالم تدفعه العواطف إلى اتخاذ مواقف آنية عاطفية سريعة التكاثف والغيوم، وسريعة التبدد والانكشاف، وسبب هذا هو الارتكاز على ثقافة شاعرة كما قيل في القديم «العرب أمة شاعرة» والشعور والانطلاق معه في مسافات بعيدة لا يضبطها النظر والتأمل، تدفع المتشاعرين والشاعرين على حد سواء إلى أفعال ارتدادية وقتية آنية، لا تلبث أن تنطفئ، وتبرد وتعود الحياة سيرتها الأولى، بل ركودها الآسن الآمن. وصف الجاحظ رحمه الله ثقافات الأمم قبل ألف عام أو تزيد، وذكر ثقافة اليونان والفرس وغيرهما من الشعوب، ثم وصف ثقافتنا الصحراوية التي نشرناها في شعوب الأرض بأن الرجل من أهل هذه الثقافة لا يكاد يقارب الكلام، ويصف العواطف حتى تنثال عليه الكلمات انثيالاً ويهدر بها كهدير السيل و«صرقعت» الرعد، وهذا الوصف الأخير من عندي والجاحظ بريء منه، ونعود إلى موضوع الأمة الشاعرة، ترى لو خرج العرب ومعهم المسلمون من ثقافة المشاعر وحرارتها إلى ثقافة النظر. والتفكير والتأمل وقياس الأعمال والأقوال والأفعال بمقياس النفع والضرر وما يصلح الحال وما لا يصلح لمثله، وتعاملوا على هذا المقياس مقدرين الأرباح والخسائر التي جنتها عليهم ثقافة المشاعر، وفكروا ولو قليلاً بنتائجها ونظروا إلى العواقب المترتبة على هذه الثقافة العاطفية، وقارنوا ذلك بمقابل مفترض في ثقافتهم، وهو إعمال الفكر ودراسة النتائج قبل الفعل والقول والعاطفة.

ترى كم سيكون الفارق النافع الذي يدوم ويستمر ولا يتوقف إلا عند نتائج مرضية، أو على أقل تقدير نتائج غير ضارة في عمومها، هذه الصورة من الانفعالات العاطفية التي لا تلبث أن تموت وتنتهي هي صورتُنا التي كوَّنها عنَّا الناس وعرفونا بها، وبنوا تعاملهم معنا على أساس هذا العمل المعهود عندنا والمعلوم لهم، فالأعمال التافهة أو الأعمال الساذجة والانفعالية وغيرها تثيرنا بشكل غير عقلاني وغير نافع بل هو ضار محبط؛ لكنها تستجيب لحاجة في نفوسنا عزَّ تحقيقها بَعُدَ منالها وعجزت أفعالنا عن

www.mtenback.com

الاقتراب منها، فأشعلنا عواطفنا للبحث عنها في مثل ما ذكرت من الأفعال والانفعال وصدق خالد الفرج.

أنا شاعر لكن ببؤس بلادي أفـؤادكم يـا قوم مثل فؤادي[1]

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2037، السبت 29 ذو الحجة 1429هـ.

www.mtenback.com

حتى الكلام

قد يعجز المرء حتى عن الكلام عندما يكون الحادث الذي يعيشه والألم الذي يعانيه يطبق على مصادر النطق، ويلحم الألسن ويخرس الإرادة؛ وقديماً عبر الشعر عن هذا العجز الرهيب في دلالة الكلمة ومعناها حتى يصبح الخرس والعجمة هي أفضل الحالات وأبلغ الكلمات.

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم نطقت ولكن الرّمـــاح أجرَّت

لم تكن هذه الحالة الأولى التي تصيبنا بشلل الألسن، وفقدان القدرة على التعبير عن مآسينا منذ ستين عاماً، ونحن جيل يتجرع الآلام ويتغصص بالمهانة تلو الأخرى، يحاول هذا العالم الذي يسمى عربياً أن يهرب إلى النسيان والغفلة، ويهرب من جراحه وآلامه وهزائمه إلى داخل نفسه يريد أن ينسى، يريد أن يعيش يتجرع آلامه العضوية وآلامه النفسية، فلا يكاد ينعم بغفلته واستكانته حتى يجدد عدوه عذابه ويوقظه على مواجعه، وينكأ جراحه قبل أن تلتئم بجراح أشد وأقوى وأخطر وأقسى.

كيف نتكلم وبأي لسان ننطق لم يبق لنا شيء ننطق به، ولا معنى نتكلم عنه إلا معنى واحد هو طعم الهزيمة وطعم العجز؛ كنا نتسلى باللاءات الثلاثة واللاءات الثلاثين، كنا نتهكم بالإدانة والشجب والاستنكار إذا أطلقت وكررت، فصرنا اليوم نبحث عن (لا) واحدة فقط، ونرهف أسماعنا لكلمة استنكار أو إدانة وشجب فلا نسمعها، ولا تستطيعها حناجرنا المقطوعة بالهزائم المبحوحة بالشتائم للضحايا، لم نعد نجرؤ حتى على البكاء، ومُنع منّا حتى العويل، وأصبحنا آلة صماء عمياء لا تذرف حتى الدموع، ولا تنطق حتى بالدعاء إلا أن يكون سراً في غرف مغلقة وأنوار مطفأة، وظلام في نفوسنا ومن فوقنا ومن تحت أرجلنا.

ماذا نقول وكيف نكتب الكلام الأول أو الكلام الأخير؛ وقد كتبت إسرائيل منذ ستين عاماً كل مفردات النصر والقوة والعزة، ومحونا نحن كل تلك المفردات في حياتنا وفي دمائنا، هذه جثث الأطفال والنساء والشيوخ تتكلم بكل اللغات، وتتحدث بأبلغ العبارات، هذه الكلمات وهذه الجمل هي التي تقرع أسماعنا، وتشهد على عجزنا، وتعلن استسلامنا غير المشروط، لماذا نكتب الكلام الأخير أو الكلام الأول، لقد كتبت

www.mtenback.com

إسرائيل بالنيابة عنّا كل ما يقرؤه القادمون إلى الحياة والقارئون للتاريخ بدماء غزة وأهلها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2041، السبت 27 محرم 1430هـ.

www.mtenback.com

لو

لو امتنع رؤساء التحرير في صحافتنا المحلية عن نشر أي حديث أو مقال يتعلق بقضية المرأة وحدها، وعملها وملبسها وشكلها وصلتها بالناس وما يحق لها وما يتعلق بها وما يشير إليها بخير أو غير. لو قدر على ذلك – لا سمح الله – واتخذ رؤساء التحرير تجربة منع النشر عنها يومين أو ثلاثة، ترى ما مدى سعة الفراغ الذي سيتركه هذا المنع من النشر عنها في الصحف، ما الذي يصنعه الكتاب والوعاظ والمفتون في شؤونها والمتحدثون عنها، من أين لهم أمور ينشرونها ويملؤون بها بطون الصحف وساعات البث وإشغال الناس بقضية المجتمع الكبرى في رأيهم.

إن المشقة ستكون كبيرة عليهم لو سكتوا عن هذا الجدل الذي تصدعت حوله الآراء وافترقت عنه الطرق وصار حديث من لا يجد حديثاً غيره.

منذ عشرين عاماً أو تزيد ونحن مشغلون بهذه القضية وكأنها قضيتنا الكبرى التي ليس لنا قضية غيرها، يتحدث عنها الناس كل الناس ويكتب بها من لا يجد موضوعاً أقرب منها وأسهل وأكثر إثارة، عن تعليم المرأة وعملها وجلوسها في البيت أو خروجها منه بمحرم أو بغير محرم.

ولم نقصر بتخيل حلول لهذه المعضلة النسائية أو تلك ولم نقف عند حد ولم نجد حلاً لكل تلك القضايا ولا اتفقنا على شيء منها، بقيت المرأة هي القضية المصيرية وهي القضية الفقهية وهي النازلة التي يقدح كل منا بنات أفكاره لحلها أو تسويغ وجودها والبحث عن الحلول الممكنات لها.

وبقيت قضية المرأة قضية بلا حل في رأي كل هؤلاء المهمومين بهموم المرأة من كلام الجانبين المتنازعين عليها والمختلين حولها والغيورين على حاضرها ومستقبلها ومحياها ومماتها.

وبقيت المرأة كما خلقها الله جزءاً من الحياة وجزءاً من الوجود في كينونة المجتمع وتعدده وفي حياته وموته، بقيت كما كانت ساعداً قوياً للرجال في البيت وخارج البيت في العمل أو عاطلة منه، وبقينا نحن الاستثناء الوحيد في العالم الذي يستغرق الحديث عنها غالب أدبياتنا النظرية والفقهية، بقينا نختلف حولها ونتجادل من أجلها لأننا خلصنا من حلول كل القضايا غيرها ولم يبق إلا هذه القضية، أنجزنا كل شيء

www.mtenback.com

على أحسن ما ينبغي وأفضل ما يمكن، حللنا مشاكل التعليم ومشاكل البطالة وشؤون التنمية، ولم يبق إلا المرأة ولهذا السبب تفرغنا لها كل هذا التفرغ وجادلنا عنها كل هذا الجدل ولله في خلقه شؤون[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2110، السبت 22 جمادى الآخرة 1431هـ.

www.mtenback.com

الأيام الوطنية

اعتادت الدول والأمم في الوقت الحاضر تخصيص يوم من أيامها للاحتفال والاحتفاء، وسموا ذلك اليوم يوماً وطنياً أو عيداً وطنياً والمعنى واحد وإن اختلفت التسميات، فهو نسبة إلى الوطن الذين ينتمي إليه كل الناس، فقد تجمع الدولة الواحدة عدداً من سكانها بينهم من الاختلاف في الأديان والمذاهب واللغات والثقافات ما يجعل الرابط الوحيد الذي لا يختلفون حوله مستحيلا. مع تباين في الحقوق والواجبات، فصار الناس يجتمعون في سلطان الدولة الواحدة، ويختلفون! فيما بينهم بقدر ما سبق من أمثلة التوافق والاختلاف. التي تربط كل فريق بواحدة من هذه الخصائص البشرية التي تعيش على الأرض الواحدة. وقد يجمعها النظام السياسي الواحد وتفرقها الاختلافات العرقية والدينية والثقافية واللغوية وغيرها من عوامل التعدد والثنائيات التي لا يخلو منها مجتمع على وجه الأرض ولا تقوم دولة أو جماعة بدونها. فكر الفلاسفة وعلماء الاجتماع ورجال الدين والسياسة بشيء يجمع البشر ويساوي بينهم في الحقوق والواجبات ويقيم العدل بينهم على اختلاف ما ابتدعوه من تقابلات في حياتهم وأجناسهم، وكانت المساواة عنقاء مغرب يصفونها ويطيلون في وصفها ويبحثون عنها وقل ما يرونها أو يجدونها، كانت هذه العنقاء هي ما يطلبه المصلحون ويرغبه المجتمعون على كل صعيد، وكانت التصورات تتعدد بتعدد الاجتهادات التي حاولت تقرير فضيلة العدل بين الناس والمساواة لهم في كل ما يجمعهم، وقد حاولوا محاولات كثيرة للوصول إلى الهدف الذي يطلبه الناس ويسعد به المجتمع، وقد حققت كل محاولة جانباً أو عدة جوانب مما يطمح إليه المهتمون بشؤون الناس وسياستهم، إلا أن كل محاولة مما جربته البشرية على مر التاريخ تأتي ناقصة! لأنها لم تهد إلى صلة واحدة ورابطة ثابتة تجمع الناس فلا يختلفون حولها، ولم يجدوها حتى عادوا إلى الأرض التي هي حاضنة هذا الوجود البشري بكل تناقضاته وثنائياته وانتماءاته، فلما اهتدت البشرية إلى صلة الناس بالأرض صارت الأرض هي الجامع الذي لا تتفاوت فيه الحقوق، وجاء الانتساب إلى الأرض باسم الوطن والمواطنة التي عرفناها منذ وقت قريب جداً، فصارت هي الانتماء الأعلى الذي يجمع الأديان على اختلافها واللغات على تباينها والأجناس البشرية بكل أطيافها وتعددها والألوان والأعراف فلا يلغي

www.mtenback.com

شيء منها شيئاً آخر، وإنما تبقي الثنائيات، صلات اجتماعية وتبقي المواطنة والنسبة إلى الوطن هي ضامن الحقوق المتساوية، والمرجع الذي يرجع إليه الجميع دون تفرقه، والواجبات مثلها على كل من يعيش على أرض يولد بها ويقر بنظامها السياسي ودستورها الوطني والتعايش على أساس هذه الصلة الوثيقة التي اخترعتها البشرية بعد مسار طويل مع التاريخ للبحث عما يحقق النسبة الواحدة إلى ثابت غير متغير تلك هي الأرض.

وقد عرفت المواطنة بشروطها وهي:

- الجماعة البشرية المتحدة بالتعاقد.
- الأرض التي تعيش عليها الجماعة.
- الهوية السياسية التي تعرف الجماعة بها نفسها تمييزا لها عن غيرها.

هذه الأركان الثلاثة تحدد التعريف الذي يسميه الأصوليون التعريف الجامع المانع للمواطنة وحقوقها، وكانت فكرة انتماء الإنسان إلى الأرض هي آخر ما توصل إليه الباحثون في علوم الاجتماع والسياسة.

وقد انتسب الإنسان إلى المواطنة «الأرض» لتحقيق المساواة بين الناس وقامت الدول المعاصرة بتنظيم الحقوق على هذا الأساس النظري وسنت الأنظمة والقوانين التي تجرم التفاوت بين المواطنين على أي مبدأ كان غير مبدأ الكفاءة والاستحقاق الذاتي، إذا أقروا بالمواطنة وانتموا إلى الوطن.

لقد اتفقت كل الدول المعاصرة على القول بهذه المساواة واتفقت كل أنظمتها وقوانينها على ذلك لذا اختارت يوماً تخلد فيه مبدأ المساواة والعدل وتسميه يوما وطنياً لها. وأصبح الجامع لها يوماً يستحق الاحتفاء والاحتفال[1].

(1) اليمامة: العدد 2125، السب 16 شوال 1431هـ.

www.mtenback.com

قفزات المليار

لم يعرف العرب في قديم الزمان أكثر من الألف عدداً فيقولون إذا زادوا على ذلك ألف وألفين ومئة ألف، أما إذا بالغوا في العد المتخيل لكثرته فيقولون ألف ألف. وكنا إلى عهد قريب وكان الناس في كل أنحاء العالم يعظمون المليون، وهو أقصى عدد يصفون به الكثرة والثروة، ولهذا كان وصفهم للأثرياء يتبع بوصف المليونير، فيقولون فلان مليونير، ويحسبون المليونيرات في العالم، ويعدونهم ويمنحونهم ألقاب المليونير تعظيماً لهم وتمييزاً عن غيرهم، وهو لقب يلقى قبولاً من أصحاب الثراء والمال مثلما هي الألقاب الأخرى التي تسبق الأسماء المبجلة في المجتمعات التي تحسب حساب المال، وفي العالم الثالث لا يعدو الناس هذا الرقم، بل لا يكاد يعرف كم يعني عند سماعه لأنه رقم مهول ومخيف ذكره. فما بالك إذا أصبح المليون جمع ملايين تلك قضية أخرى عليها تقوم المشاريع العملاقة وتنشأ بها المؤسسات الكبيرة مثل الجامعات والوزارات والخدمات الضخمة ذات المعنى الإستراتيجي وتقدر تكاليفها بالملايين أو بعشرات الملايين وقلما تزيد على ذلك إلى عهد قريب.

لكن ما حدث منذ عهد قريب زحزح عظمة المليون عن مكانته وأبعده عن ألسنة الناس وأحل محله قادم جديد وهو المليار وما أدراك ما المليار؟ فأصبح الحديث عن المليار على كل لسان وأصبحت التعاملات اليومية هي المليارات، وقد نفهم ذلك على معنى «وأما بنعمة ربك فحدث» لولا الفارق الهائل بين الحالين. المليار بضخامته وعظمته وما ينجزه على أرض الواقع.

لا شك أن ظاهرة المليارات وتعدادها وتعويد الأسماع عليها دليل من جانب أن لدينا الخير الكثير ولغة الأرقام المليارية دالة صالحة على الثراء والنماء في الاقتصاد، وفيما ينفق ذوو الميسرة والغنى وفيما يملكون، إلا أن التضخيم الهائل في إنفاق المليارات أو حتى بدعوى إنفاقها يحتم بالضرورة مقابلاً قيمياً بحجم المليارات التي تنفق وهو أمر مختلف فيه ومختلف عليه، زد على ذلك أن للأرقام إيحاء بالقدرة المادية وتهويناً بالقيمة والمردود المدرك على الواقع ولا سيما عندما تقوم المقارنة بين ضخامة الأرقام وتواضع قيمتها والمنجزات بها، إما أن يكون المنجز معبراً عن المقابل الكبير! الذي يناسب قيمته ويرد

www.mtenback.com

للمليار اعتباره، وإما أن يبحث عن أسباب الفقد للقيمة وأثر المبالغة على الواقع الاقتصادي والاجتماعي قبل ذلك وبعده؟[1]

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2102، السبت 25 ربيع الآخر 1431هـ.

www.mtenback.com

أكرم المناسبات

أكرم المناسبات أن تكون ذات أبعاد روحية وإنسانية في الوقت نفسه، والمناسبات التي تجمع هاتين الحالتين كثيرة في حياة الأمم؛ ولكن أشرفها وأظهرها للعيان عندنا هو مناسبة شهر رمضان التي تمر علينا كل عام، وهي تحمل هذه الأبعاد الروحية والإنسانية التي يستشعرها أكثر الناس، خاصة في هذا الشهر فيكون صيامه مناسبة ليس لقضاء الفرض الديني الواجب فحسب؛ وإنما لشحن النفس بجانب الخير والسعي إليه وطلب مظانه، وقد يتحول الإنسان في حالة صفاء روحي تمليه هذه الأيام وتدفعه إلى مراجعة حسابات عام كامل هذا على أقل تقدير، وقد ينشط الخطباء والوعاظ في المساجد إلى تذكير الناس وحثهم إلى ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة؛ وكنا نسمع في الماضي من هذه المواعظ والخطب لحثّ القادرين والأثرياء وأهل المال على الإحسان إلى من قتر عليهم في الرزق وشحت عليهم أسباب الكسب وقلّت في أيديهم الاستطاعة وعجز الكفاف؛ لكن الذي لم أسمعه في كل مناسبات رمضان التي مرت، وسمعته هذه المرة هو هذا النداء الإنساني الحي الذي أشار إلى فئة من الناس لم تحرم المال ولم تقع هي ومن تعول في براثن الفقر والمرض والحاجة، بل زاد ذلك وقوعها القسري في السجون، وهي فئة كان الالتفات إليها فيما مضى من مناسبات رمضانية خافتاً ضعيفاً لا يكاد يتجاوز الحد الأدنى من شروط الواجب الذي يجب للفقير في مال الغني، إلا أن ما لفت نظري هذا العام وفي استقبال شهر رمضان هذه الأيام هو الحديث المكرر عن حاجة السجناء وواجب مساعدتهم وهو عنوان خطب فيه أكثر من خطيب وتحدث عنه أكثر من واعظ، فحق هؤلاء السجناء الفقراء ومساعدتهم تعطي بعداً إنسانياً في كل الأوقات؛ ولكنها في رمضان ألزم وأكرم وهو حق للفقير في مال الغني، والأغنياء عندنا عدد قليل إلا أنهم يملكون من الأموال ما لو عرف بعضه قارون لزهد بماله وطلب عونهم ومساعدتهم، ومقابل هؤلاء العدد القليل من الأغنياء الذين تدور بثرواتهم أفلاك الزمن، يقابلهم ملايين من أهل الحاجات الذين لو عرف أهل الصفة حاجتهم لآثروهم بما يحصلون عليه من صدقات الناس.

هذا البون الشاسع بين الأثرياء القلة والثروات الهائلة في أيديهم وبين الفقراء الكثرة الذين تتسع

www.mtenback.com

مساحتهم باتساع مساحة الوطن أحال الواقع المعيشي إلى ضرب من الاختلاف والتفاوت في الأرزاق؛ ولكنه أقام حجة الفقير على الغني وأحال الواقع الاقتصادي إلى واقع فصل الغنى بماله وثرواته عن الفقير وحاجته وهو انفصام نكد تجاوزته كل الأمم بوسائل عملية حفظت للغني ماله وثروته وللفقير حقه وكرامته. إن هذا الحق الذي تسير عليه أمم الأرض اليوم ويسعد به أغنياؤها وفقراؤها قد بدأ الأمر به عندنا قبل أربعة عشر قرناً حين جاء قوله الصادق: (والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) [المعارج: 24 – 25].

لكن الأمم فهمت معنى النص وصلته بحاجات الناس على اختلاف أحوالهم، وطبّقت مفهوم التكافل، فسدّت حاجة الفقير وأبقت ثروة الغني، بينما بقيت النصوص الصادقة عندنا والتطبيق الصحيح عندهم، وبينهما هذا الاختلاف الذي نراه بين الفريقين[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1974، السبت 3 رمضان 1428هـ.

www.mtenback.com

أين الربع الخالي؟

رحالة مغامر جريء قدم إلى بلادنا مرتاداً فيافي الشرق العربي، منطلقاً من اهتمامه الشخصي بالمغامرات ورغبته في الاكتشاف مدعوماً من حكومته التي كانت تحاول أن تعرف عن المنطقة العربية كل شيء، بل تحاول أن تعرف ما هو وراء المنطقة، كان انطلاقه يلبي حاجة في نفسه ويستجيب لباعث المغامرات والاكتشافات ويتصف في المجازفة ويتفق مع رغبة قومه في معرفة الصغير والكبير عن العالم القديم وتسجيل كل ما تقع عليه عيناه أو يسجله قلمه.

ومن طبيعة المغامرين والرحالة تهويل ما يعتقدون أنه اكتشاف جديد أو معرفة ينقلونها إلى من يتطلع إليها من عامة الناس وخاصتهم، والمبالغة سمة ظاهرة في وصف الرحالة الغربيين الذين جابوا البلاد في مطلع القرن التاسع عشر وما بعده خاصة عندما يكتبون لقومهم الذين يتعطشون إلى سماع أخبار المغامرات والمخاطرات التي يقوم بها هؤلاء الرحالة الغربيون المغامرون حين يحدثون قومهم عن الشرق ويقسمونه بالنسبة لهم إلى الأدنى والأوسط والأقصى ويهولون ما يرونه وما يجدونه في طريقهم إلى تلك البلاد التي صارت صفة المبالغة في وصفهم لها سمة ظاهرة على ما كتبوه عن الشرق كله وذلك مطلب مهم يستثيرون به اهتمام قرائهم وتصوراتهم.

كان من نصيب أحد هؤلاء الرحالة المرور في جزء من الجزيرة العربية وكان من نصيب هذا الجزء أن سمّاه (الربع الخالي) منطلقاً من تصوره ومؤكداً خطورة رحلته التي قام بها واصفاً طول هذا الربع الذي قطع، ومهولاً كل التهويل المتاعب والمصاعب التي تعرض لها مستجيباً لرغبة في نفسه، ومن حقه أن يبالغ في وصفه وأن يسمي ما يريد تسميته وأن ينشر ما وجده ورآه. لكن من المؤسف أن هذه التسمية التي أطلقها جاءت إلينا تحملها شركات التنقيب عن النفط وتضعها في خرائطها على أرض بلادنا ويرددها مهندسوها وعمالها ويعينونها بغفلة منّا نحن أهل الأرض والوطن، وقد كنت أظن ذلك شيئاً يخص الشركات وموظفيها وخرائطها ورسومها وأننا نحن أسماء بلادنا، حتى سمعت منذ أشهر أن التسمية الغربية «الربع الخالي» أصبحت تستعملها مؤسسات رسمية حكومية وسمعت أكثر من حديث لمسؤولين من المواطنين

www.mtenback.com

يصفون ربع بلادنا بأنه الربع الخالي.

ترى متى كان خالياً؟

الذي نعرفه أن الجزيرة منذ أحقاب التاريخ كانت موطناً لأمم وحضارات وأن العرب ملأوا أديم هذه الجزيرة وسموا جبالها وسهولها وأوديتها وشعابها وصحراءها وقالوا الشعر والنثر فيها الذي يحدد الأماكن ويعرفها. وعندما جاء الإسلام وانتشر أهلها في أقطار الأرض المعمورة كانت الجزيرة العربية محط الأنظار، وجاء الرحالة المسلمون والعرب من مشرق الأرض ومغربها فوصفوها وصف عيان وحددوا أبعادها وعرّفوا ساكنيها ونسبوا كل جزء فيها إلى سكانه وأهله الذين عمروه وعاشوا فيه وسموا مواقع تلك الأماكن، ولم نعلم أنهم وجدوا في جزيرة العرب ما هو خال أو مهجور حتى جاء هذا الرحالة ليسمي تسميته التي أصبحنا نرددها ونتجاهل ما قبلها من المعارف والتسميات. إن إطلاق اسم «الربع الخالي» على جزء كبير من بلادنا تسمية يجانبها الصواب لعدة أسباب:

الأول: أنه لا يوجد ربع خال كما يدل الاسم الذي بدأ ينتشر على ألسنة أبناء الوطن وأهل الأرض وبعضهم من سكان هذا الجزء؟

الثاني: أن التسمية تحمل دلالات معرفية ووصفية ولا أظن، بل إنني أجزم أنه لا يوجد خلو في منطقة واسعة تحدد بربع الأرض التي نعيش عليها.

الأمر الأخير: أن هجر الأسماء القديمة لهذا الجزء الكبير من البلاد واتباع تسمية غربية تعطي دلالات خاطئة لمن لا يعرف الجزيرة وأهلها وسكانها وهو أمر يستحق إعادة النظر ويجب أن تسمى الأماكن بأسمائها التي عرفت بها منذ فجر التاريخ وأن تصحح الأخطاء على الطبيعة للأرض وعلى ألسنة المرددين للتسمية الخاطئة[1].

(1) اليمامة: العدد 1839، السبت 27 ذو القعدة 1425هـ الموافق 8 يناير 2005م.

www.mtenback.com

معرض الكتاب

في معرض الكتاب هذا العام جديد كان لا بد أن يلاحظه الزوار ويقفوا فيه كثيراً ويسألوا عنه ويكثروا السؤال والاستفسار، ذلك هو معرض هيئة الأمر بالمعروف الذي يتصدر الداخل إلى المعرض وفيه كل ما يقال إنه من أعمال السحر وأدواته وما يقوم به السحار، وأكثر من ذلك هناك رجل بهيئة المرشد المعرف بأدوات السحر وآليات العمل به والشرح ومزيد من الإيضاح للزوار الذين يزدحمون عليه وأكثرهم من الشباب الذين تقرأ في عيونهم كل الاهتمام بما يقوله الرجل وما يتحدث عنه، والهيئة التي أقامت هذا المعرض بكل أدواته ووسائله وتحدثت عنه؛ هي الجهة التي تتعقب من تصفهم بالسحرة وتطاردهم وتقدمهم للمحاكمة، ولكنها في معرضها هذا تعرض آليات السحر وتصف العمل به وتنشر معرفة ذلك بين الناس وإن كانت تريد غير ذلك، ولن ندخل في تفاصيل الحديث عن الفرق بين الدجل والسحر ولا بين التحذير منه ومنعه أو تثقيف الناس بأضراره وطرق ممارسيه، لكن الذي لابد منه في هذه الكلمة هو ما قد يفهمه الناس ولا سيما العامة عندما يرون معرض هيئة الأمر بالمعروف وكل ما فيه هو عن السحر وأعال السحرة؛ ذلك سيكون عندهم من الشاهد على أن للسحر ضرراً وخطراً وأن للسحرة قدرة على ذلك فقد يفهمه بعض الناس على خلاف ما أرادت الهيئة فيرى أن شفاءه من ساحر أو بسببه ممكن، وأن حصوله على ما حرم منه قد يتحقق، وأن للساحر قدرة على ذلك، وقد يلجأ المرضى وبعض المضطرين إلى البحث عن أعمال تنقذهم مما يعانون منه وما يخافون شره.

هذا من جانب العامة ومن لا يستطيعون التمييز بين الحق والباطل، أما الجانب الآخر في القضية فهو عدم التمييز بين الدجل الذي يمارسه بعض الدجالين والمحتالين على ضعاف النفوس أو على بعض المرضى وبين السحر وأعماله وما حذر منه، فكثير مما يحدث ويوصف بالسحر، كأعمال السحر هو في حقيقته من أعمال هؤلاء الدجالين الذين يتخذون منه حرفة ويجدون من يتعامل معهم ويصدق أقوالهم ويؤمن بما يقولون ويفعلون، والواجب ألا ينشر عنه مثل هذه الدعاية المجانية التي قد تغري الناس به أكثر مما تحذرهم منه، وألا يكون معرض الكتاب هو مكانه الذي يقدم فيه ما لا حقيقة له وما لا يصدق فيه؛

www.mtenback.com

وحسبنا قوله تعالى: (وما هم بضارين به من أحد) إلا بإذن الله، وألا تكون الهيئة التي تكافحه وتطارد الدجالين والمحتالين هي التي تعرضه وتتحدث بالتفاصيل الدقيقة عن عمله وصناعته وتصرف أهله وتخيف الناس بما لا يوجد إلا في الأوهام[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2048، السبت 17 ربيع الأول 1430هـ.

www.mtenback.com

خادم الحرمين قال الكلام الأخير

في هذه الكوكبة من فرسان الإدارة التنفيذية الجديدة الذين أعلنت أسماؤهم يوم السبت الماضي كانت الكلمة الأخيرة لانطلاق مشروعات المستقبل برجالها ومالها، بحاجة الحاضر واستشراف المستقبل قال الملك كلمته.

كوكبة من الوزراء ونواب الوزراء والقيادات التنفيذية العليا في الدولة لتدير طموحات المستقبل، يقدمها الملك عبدالله للعمل على إنجاز مشروعاته وخططه للتنمية المستقبلية لعشرين عاماً قادمة. فللتربية والتعليم يقدم فريقاً كاملاً وليس وزيراً واحداً، وأمام هذا الفريق تسعة مليارات في رصيده وبين يديه، لأن من الضرورة أن يسبق الفعل القول، والتربية والتعليم تستحق هذه المليارات وأكثر منها، وتستحق جهد هذا الفريق وخبرته، وحماسه لمستقبل التعليم والتربية حتى تكون يد العاملين مملوءة لمتطلبات الإصلاح قادرة على تذليل العقبات، ورصيد المليارات لن تترك لأحد عذراً إلا العمل والنجاح فيه، ولن يعذر المقصر. هذا هو الكلام الأخير الذي نعرفه ونستفيد منه.

وفي القضاء وشؤونه وما أدراك ما القضاء وشؤونه قال الملك كلمته الأخيرة في وضع خارطة واسعة لمشروع الإصلاح القضائي في كل فروعه وفي كل شعبه ومتطلباته في المرحلة الحاضرة، وتأسيساً لفقه قضائي يستجيب لمتغيرات العصر وضروراته، واختار رجالاً من أهله والراسخين فيه، ومثل زملائهم في التربية والتعليم كان المال وهو عصب الحياة ومحرك العمل قد سبق هؤلاء القضاة إلى رصيد الإصلاح. سبعة مليارات لا تترك عذراً لأحد بل لابد من العمل وبلوغ الغاية.

وقبل ذلك وهذا قال خادم الحرمين كلمته الأخيرة في برنامجه للابتعاث الذي ضم حتى الآن خمسين ألف طالب وطالبة استقبلتهم جامعات العالم شرقه وغربه؛ وهم يحملون أمل المستقبل في ثورة علمية لم تسبق في عددها وتنوعها واختصاصاتها، وأمل وأمل الوطن فيهم حين يعودون فيكون هؤلاء محرك العمل العلمي على مدى عشرين عاماً قادمة. هذه هي الكلمة الأخيرة التي سمعناها وهذه هي الكلمة التي نعرف مغزاها ومعناها وأهميتها عندما تقال. ويبقى الأمل للمزيد في مثل هذه المشاريع وهذه الأعمال التي تؤسس

www.mtenback.com

لمستقبل أفضل[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2045، السبت 26 صفر 1430هـ.

www.mtenback.com

الديمقراطية

في العالم العربي والإسلامي صور من محاكاة الديمقراطية ومعانيها وقيمها الاجتماعية. وإن اختلفت في تطبيقها من مكان إلى آخر، ومن دولة إلى أخرى، لكن ذلك الاختلاف والتباين لا يعدو أن يكون جانباً من صلاح الديمقراطية، ومرونة منهجها، وإمكانات الاستفادة منها، وإن اختلفت المقاييس، وتعددت الاتجاهات وتباينت الآراء لكل بلد وأمة. ولعل نموذجاً من هذا الاختلاف والتوافق، ونموذجاً من مرونة الديمقراطية وتكيفها مع الممكنات هو ما حدث قبل أسابيع في دولة الكويت في انتخابات مجلس الأمة الذي حاكى في آلياته النموذج الديمقراطي في صورته المعدلة بملبسها الإسلامي والعربي، ومثله ما حدث أمس الأول (الأحد) في لبنان حين شكل الظاهر الديمقراطي عباءة الانتخابات البرلمانية التي سترت ما تحتها من الانتماءات والطوايف والاتجاهات، وأنجزت الديمقراطية وظيفتها في انتخابات حرة نزيهة أقرّ بحريتها ونزاهتها الخاسرون فيها من قبل الرابحين منها.

هاتان التجربتان العربيتان يصلحان مثلاً لتشكّل الديمقراطية بالزي الذي يتفق مع قيم المجتمع وثوابته، ولا يتنافى مع ثقافته، وعاداته الاجتماعية وتقاليده التي يحرص عليها؛ لهذا تعد الديمقراطية هي آخر نظام بشري أدار علاقة الإنسان بمن معه على ما يضمن بقاء هذه العلاقة لصالح المجموعة البشرية كلها. ذلك حين تحدد صلاة المرء فيمن حوله من الناس، ومن يشاركه الوطن ويعيش معه على الأرض. متخذة العدل في الحقوق، والحرية في الاختيار، والقبول للآخر، واحترام الرأي وإن خالف منهجاً لسياسة الناس وضماناً لوجودهم الذي تتكافأ فيه الفرص المتساوية للجميع على أساس الحقوق المشتركة.

لقد سبقت الديمقراطية في مسيرة البشر فلسفات اجتماعية، وآراء فكرية، وأنظمة وقوانين، وحكومات، وأمم، عاشت في عمق التاريخ البشري، بدأها الفلاسفة والمفكرون، والمنظرون لسياسة المجتمعات، وجاء بعد ذلك الأنبياء والمصلحون، وكل هؤلاء سعوا لإسعاد البشر، وإقامة العدل وضمان الحريات، والبحث عمّا يصلح الناس وما يصلح لهم، وانتهى ذلك كله في العصر الحاضر ولا سيما في الغرب إلى ما يسمى النظام الديمقراطي، وأساسه الاختيار والانتخاب الذي يضمن حقوق الناس وحرياتهم، وانتهت إلى هذا

www.mtenback.com

النظام مسيرة المجتمعات الطويلة مع القوانين والضوابط التي مارسها الناس لإدارة حياتهم.

ذلك لأن الديمقراطية تستجيب لما ركّب في طبيعة البشر من حب العدل والحرية التي ترعى فيها مصالحهم وتضمن لهم التعبير عن آمالهم وطموحاتهم وخيارهم الذي يختارونه لإدارة شؤون حياتهم، ولو بحثنا في كل ما سبق من أنظمة، ومواصفات اجتماعية، لوجدنا أن القاسم المشترك بين كل تلك المحاولات البشرية القديمة والحديثة هي الحرية، والاختيار، والعدل، وضمان حقوق الفرد والجماعة وإسعاد الناس.

وما تسعى الديمقراطية الحديثة، ولا تنادي إلا بهذه القيم التي حاولها البشر على مدى التاريخ تحقيقها، وإن اختلفت آليات البحث عنها، أو الوصول إليها أو ممارسة تطبيقها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2061، السبت 20 جمادي الآخرة 1430هـ.

www.mtenback.com

عكاظ الحاضر وعكاظ التاريخ

عندما عُين الأمير خالد الفيصل أميراً لمنطقة مكة المكرمة لم يخطر ببالي شيء غير عكاظ وتاريخها ونشاطها، وأيقنت أن فرصة حياتها الجديدة آتية، وسيعود ماضيها بصورة حاضرها لتصبح صورة للحاضر كما كانت شمعة مضيئة في التاريخ، هذا الأسبوع تبدأ عكاظ الحاضر مع عكاظ الماضي سوق العرب الذي طارت بذكرها الركبان كما يقول المثل، كانت في الجاهلية، وكانت العرب فيها قاطبة، تقيم معرضها الأكبر في التاريخ، وفيها وفي معرضها تجتمع مناشط الحياة كلها فيها تقوم سوق الأدب وحكام النقد، يقف النابغة الذبياني وعشرات غيره شعراء ومحكمون، وفيها تكون التجارة بكل أنواعها وأغراضها وصنوف البضائع التي تجلب إليها وتشترى منها، وينشط في عكاظ وسوقها البيع والشراء، وتقوم الصلات البشرية والتنوع في العادات والقيم وتتصل علاقات الناس ويتفاعل أهل عكاظ بروح من التسامح والأمن الذي لا تعرفه جزيرة العرب إلا في عكاظ وما حولها في المكان، حيث مكة المكرمة وفي الزمان، حيث الأشهر الحرم التي جعلتها العرب لها مأمناً من الخوف وملجأ من القتال تستريح فيها من عناء العام كله، لتجد فيها برد الحياة الآمنة المطمئنة.

خُطط سوق عكاظ لتكون منطقة وصل بين جبال شاهقة السمو في الغرب وسهل منبسط في الشرق حتى المكان عبر عن التنوع، وسهل يتكئ على جبل، أما الرابط الأقوى فيها فقد كان الرابط الاجتماعي، حيث يفد العرب إليها من كل أرجاء الجزيرة العربية، ينسون فيها أنهم قبائل شتى وأماكن متباعدة، تموت فيها العداوات والثأرات وتحيا فيها أواصر المحبة وتقوم فيها المباريات في الشعر والأدب، وفي البلاغة والفصاحة ومن أشهر نشاطها التعليم، وتكريم أهل الفضل، ومساعدة المحتاجين وعون العاجزين، والأمن للخائفين، فيها تتم المعاهدات وتقوم المناظرات، ويطلق الأسرى، ترفع الرايات بالثناء والبراءة، وتمتحن القدرات العقلية والذهنية، فيها تجتمع عادات العرب وتقاليدها.

لو أراد باحث أن يدرس حياة العرب بكل تفاصيلها وأحداثها لما وجد أفضل وأصدق مما جاء في سوق عكاظ بكل أنشطته وفعالياته كما وصفت في مواسم عكاظ وأسواقها.

www.mtenback.com

انتهت عكاظ الماضي وبقيت تحملها الذاكرة العربية ويتغنى بها الأدباء والمؤرخون وجماع التراث وأهل التاريخ. حتى جاء هذا الوقت الحاضر الذي عادت فيه الجزيرة إلى مركز الاهتمام بعد انقطاع طويل فعادت عكاظ اليوم إلى مكانتها الأولى سوقاً للأدب وجامعة للعرب يحاكى فيها الحاضر ما كان لها في الماضي.

إذا بني القباب على عكـاظ وقام البيع واجتمع الألوف

صدق الشاعر سيجتمع الألوف اليوم كما كانت تجتمع بالأمس[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2065، السبت 17 رجب 1430هـ.

www.mtenback.com

دعونا نسمع

قولوا ودعونا نسمع، دعوة للكلام والإفصاح وليست للصمت والتكتم؛ وذلك ضرورة تستوجبها المرحلة التي نمر بها والانفتاح الذي نمارسه عملاً ونراه واقعاً يحدث في كل الجهات وفي كل الشؤون، وذلك يتطلب قدراً من الكلام الذي يعبر عن الفكر والآراء والمعتقدات الذهنية وما تحمل في طياتها من ما نتفق عليه أو نختلف حوله، والكلام مقياس عملي وجودي مهم للإنسان حتى يفصح عن ذاته أولاً وعن وجوده ثانياً ويمارس حقه الطبيعي مع حقوق الآخرين وآرائهم، وقد قيل في الحكم (تكلم أعرف من أنت) وإذا كان الكلام إفصاح عن الذات فإنه أكثر إفصاحاً عن الثقافات وأكثر تحديداً للتعبير عن المعتقدات.

ونحن مجتمع كنا إلى عهد قريب نرتكن ثقافات محلية مغلقة وآراء شخصية محدودة المساحة وحديّة الاتجاه، ويغلب على مصادر ثقافتنا محلية مغلقه وآراء شخصية محدودة المساحة وحديّة الاتجاه، ويغلب على مصادر ثقافتنا ملمح الانغلاق من جانب والإعجاب بما نعرف من جانب آخر، وهذا وذاك لا يسمح بكثير من تبادل الآراء والأفكار ووضعها في ضوء التعدد والتنوع الذي جلبته طبيعة الحياة الجديدة ووسائل الاتصال المفرط الذي أصبح العالم كله يعيش في دوامته الجارفة، وماضي السياق الثقافي التقليدي الذي تربى عليه أكثرنا لا يسمح بالسير المعقول مع هذا العاصف من الآراء والأفكار التي بدأ المجتمع يتعرض لها بقوة جارفة، وقد تربى بعضنا على ثقافة حدية قاطعة اعتقد سلامتها وآمن بأهميتها ولا يرى غيرها خيراً منها. وقد يعيش من هذا حالة سواء كان فرداً أو جماعة في محيط ثقافي معزول يؤمن إيماناً قاطعاً بسلامة ما لديه وصحته وخطأ ما لدى الآخرين وبطلانه، وكل هؤلاء وأمثالهم إذا لم يتكلموا ويعرف الناس ما هم فيه من عزلة سيبقون في هذا الحد الأدني من الاتصال مع الناس ومع الثقافة ومع الواقع الذي يعيشون فيه وإن كان راكداً جامداً، بل قد يصلون إلى تخطئة الناس إذا لم يكونوا مثلهم ويرون رأيهم وإن شط عن الجادة وبعد عن الصواب ووصل إلى الغاية القصوى في الانغزال.

وقد مرّ في هذا الأسبوع الماضي نموذج في صورة الوعي الحدي المنغلق بين عدد من أهل الفضل في المجتمع السعودي الذي كشف الكلام بينهم والحوار معهم بعض ما لدينا أو بعضاً مما زال يعتقده جملة

www.mtenback.com

من الناس وإن قلّ عددهم من صور من الماضي الثقافي الذي تجاوزته المرحلة وإن كان ما زال يجد أثراً في نفوس هؤلاء الحديين في الفكر والثقافة، وليس هناك علاج أنجح وأصلح من الكلام مهما كانت مسافة الاختلاف ومهما كانت مساحة الخطأ في الآراء التي تطرح للمناقشة. المناقشة والحوار حول مختلف الآراء والأفكار جديرة بتصحيح الخطأ وإصلاح المدرك الثقافي لدى بعض المتعلمين فضلاً عن غيرهم[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2069، السبت 17 شعبان 1430هـ.

www.mtenback.com

هذا السخاء في الابتعاث

يحضر في الرياض عدد كبير من الجامعات العالمية التي يجمعها معرض الرياض للتعليم العالي، كل جامعة من هذه الجامعات جاءت تقدم برامجها وتعرض إمكاناتها العلمية أمام الطلاب والطالبات الذين يرغبون الدراسة في إحداها، حيث فرصة العمر التي أتاحتها لأبناء الوطن وزارة التعليم العالي، وأمرها بذلك خادم الحرمين الشريفين – حفظه الله -، وقد أقبل على الابتعاث والدراسة عدد كثير من أبناء هذا الوطن، بعد أن جاءت رغبة الأمل في فتح مجال الابتعاث على أوسع التخصصات وأكثرها نفعاً وفائدة لمستقبل الشباب والوطن وأهله، حيث البرامج والدراسات في كل فنون العلم وأصناف المعرفة، وإذا كان برنامج خادم الحرمين للابتعاث قد أرسى القاعدة العربية المشهورة (اطلبوا العلم ولو في الصين)، فإن أبناء هذا الوطن وبناته قد لبّوا هذه الدعوة وتأسوا بهذه الحكمة، وغصت بهم أكثر دول العالم وجامعاته، ولا سيما في أوروبا وأمريكا وشرق آسيا الذي لم تبق فيها جامعة أو مؤسسة علمية إلا ونالت نصيبها من الطلاب والطالبات السعوديين وانضم إليها عدد منهم في مجالات مختلفة ومتنوعة بتنوع الرغائب والتخصصات.

شاهدت أمس في معرض التعليم العالي حرص مندوبي تلك الجامعات وهم يشرحون بحماسة ما تقدمه جامعاتهم من فرص وبرامج تعليمية راقية في كل التخصصات دون استثناء، ويظهرون رغبة في توضيح بعض الأسئلة والاستشكالات. وزادوا على ذلك واستعانوا ببعض العرب الذين يعملون في تلك الجامعات لكسر حاجز اللغة لمزيد من الإيضاح وإقناع الطلاب بالانضمام إلى هذه الجامعة أو تلك. هذا من جانب الجامعات وواجبها، فما الذي يجب على طلابنا أن يقابلوا به هذه الرغبة من الجامعات، وهذا السخاء في الابتعاث من تحمل أعباءه المادية والإدارية؟ وما الأمل الذي يحمله كل طالب أو طالبة وهو يخطو خطواته الأولى نحو المستقبل، وهو ينتقل من محيطه وأهله وبيئته إلى بلد غريب وموطن آخر.

لا شك أن كلا منهم يحمل معه آمالاً ويترقب مستقبلاً يسعى إلى تحقيقه في هذه الرحلة ومعه في الأمل والترقب قلوب أسرته وأمل وطنه حين يعود محققاً مطالبه ومؤهلاً نفسه لخدمة مجتمعه الذي كفاه مؤونة الحياة وفرغه للدراسة ليعود وهو يحمل كل معاني الوفاء والشعور بالمسؤولية ورد الجميل للوطن بمثله.

www.mtenback.com

ولا يكون ذلك إلا إذا استشعر كل مبتعث أنه ذاهب لهدف واحد هو الانقطاع للدراسة والموضوع الذي رغبه والتخصص الذي اختاره، وعاش في جامعته كما يعيش الطلاب من أبناء الجامعة نفسها، وترك ما سوى ذلك مما تكرره بعض الآراء والأقوال وما تقترحه بعض التوجهات التي قد لا تنفعه في حياته ولا ينتفع بها غيره من الناس.

إن الطالب الذي يود أن يحقق هدفه العلمي الذي ذهب من أجله هو ذاك الطالب الذي يشارك زملاءه ويسابقهم ويتنافس معهم في مجال تخصصه الذي ذهب من أجله وأن يكون ذلك هدفه ونشاطه الذي يعود عليه بالفائدة العلمية وما سوى ذلك من أنواع الأنشطة وأشكال الاهتمامات المعهودة فهو قد يضر الطالب نفسه ويشغله عما جاء من أجله، بل قد يعيق نجاحه، إن رسالة الطالب المبتعث والطالبة هو التحصيل العلمي وسفارته الحقيقية هي المعرفة والتزود منها وحسبه رسالة وسفارة إن فعل ذلك[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2092، السبت 15 صفر 1431هـ.

www.mtenback.com

القريات..

من حسن حظي أنني سعيت كثيراً في بلادنا شرقها وغربها وشمالها وجنوبها وأزعم والله أعلم أنني زرت كل مناطق المملكة بلا استثناء وقد تكون أكثر من زيارة لبعض المناطق والمدن بل الأرياف والبوادي وأكثر هذه الزيارات حدثت منذ أكثر من ثلاثين عاماً وبعضها قبل أعوم قليلة وفي كل مرة أزور منطقة من المناطق أو مدينة من المدن للمرة الثانية أحسب بالخناصر نوع الحياة ومدى التغير الذي يحدث بين الزيارة الأولى والزيارة التالية لها أو لتلك المنطقة أو المدينة وأرصد نوع التغير الذي شاهدته بين حالتين. من هذه الزيارات ومن هذه المدن بل المنطقة منطقة القريات فقد زرتها وهي منطقة إمارة وكنت عابراً إلى الشام وبقيت فيها ثم غادرتها وفي ذهني شيء كثير عن هذه المنطقة في ذلك الوقت ولم أعد إليها مرة ثانية إلا حينما دعاني نادي الجوف الأدبي لمحاضرة فيه وحدد مكان المحاضرة القريات وأنا أعرف المسافة بين مقر النادي في سكاكا وبين القريات، إذ كنت قبل عام في سكاكا أحضر بدعوة كريمة من منتدى عبدالرحمن السديري فعاليات في الجوف. بين الزيارتين للقريات وفارقي الزمن حدث تطور كبير وتغير واسع فقد زادت القريات ونقصت، زادت فأصبحت مدينة مترامية الأطراف واسعة المنافذ تحمل سمات المدينة العصرية في كل ما تعنيه هذه الكملة وأصابها من التطور ما أصاب كل المدن في المملكة العربية السعودية من نمو في السكان ونمو في الإمكانات وتوسع كبير في التعليم مؤسساته العليا منها والعامة.

أما ما أشرت إليه قبل أسطر فهو أنها كانت منطقة عندما زرتها لأول مرة وأصبحت محافظة اليوم ولكن هذا التحول لم يوقف عجلة التنمية فيها ولم أشعر وأنا أقارن بين ما كانت عليه وما هي فيه اليوم إلا بشعور الفرح والابتهاج حين أجد روحاً وثابة إلى مستقبل المدينة بل المنطقة من الشباب الذين يقومون فيها على تربية اجتماعية وعلمية وثقافية ويظهرون حماسة لا مثيل لها فيما أظن كلها لتحمل الأمل المستقبل لهذه المنطقة مستقبلها التعليمي والثقافي وتطلع أبنائها للمزيد من النهوض بمطالب الحياة واحتياج المستقبل ونظرة التطلع إلى أن تكون القريات ليست بوابة الشمال إلى الشام كلها بل مرتكزاً حضارياً يؤهله لذلك موقعه النافذ في الصدر ومخزونه الكبير من سبب الحياة ووجودها وهو الماء وكلنا يعلم أن المنطقة فيها من المخزون المائي ما سوف يعتمد عليه في المستقبل

www.mtenback.com

وهي مصدر ثروة أغلى من الذهب في هذا العصر. وأما أسباب النهوض الحقيقية منها فهو الإنسان واستثمار قدراته في بناء مستقبله ولا سيما التعليمي العالي والمتخصص، إذ علمت أن في المدينة أربع كليات جامعية فيها نخبة من أبناء المنطقة الذين يدركون أهمية أن تكون للمدينة جامعة تلبي رغبة الشباب للتعليم ولاسيما أنني علمت أن عدداً منهم لا يستهان بعددهم، وهم يدرسون في الجامعات الأردنية والدولة تتحمل نفقات أكثرهم ولو توفرت فيها التخصصات المطلوبة في جامعة تقوم فيها تنوعات المعرفة لزاد العدد وقل الاعتماد على الجامعات البعيدة وتوفر المال الذي يدفع لتعليمهم في الخارج واستفاد من لا يستطيع السفر والاغتراب من قرب الجامعة إليه.

وآخر ما لاحظت هو النمو الثقافي والوعي ممن حضر وشارك في المحاضرة فقد غصت الصالة بالحاضرين الذين لا يشهد مثلهم في المدن الكبيرة حضوراً ومشاركة في الأسئلة التي تعبر عن ثقافة الشباب وإدراكهم للتغيرات ومتابعتهم الآنية لمصادر الثقافية واهتمامهم بالنفع منها ولا أختم هذه الكلمة قبل الشكر للجنة الثقافة في القريات ولأهلها الذين تشعرك كلماتهم واستقبالهم بأريحية ووطنية يشكرون عليها وهي صفات عرفت عنهم ونمت فيهم كنمو مدينتهم الجميلة[1].

(1) اليمامة: العدد 70، ربيع الأول 1431هـ.

www.mtenback.com

البراءة لا تكفي

برأ مدير عام العلاقات العامة في وزارة الشؤون الاجتماعية وزارته مما اشترطته بعض الجمعيات الخيرية، وهي منع المساعدات عن أصناف من الناس وهم: من لا يعفي لحيته، ومن يملك (رسيفر) لاقط فضائي، ومن لم يحفظ أجزاء من القرآن، ومن لم يحافظ على صلاة الجماعة في المسجد. هذا ما نشرته جريدة الوطن في عددها 3588 في 1431/8/16هـ.

وسواء حدث ذلك أم لم يحدث من القائمين على بعض الجمعيات الخيرية، فإن العجب العجاب هو رد الناطق الرسمي لوزارة الشؤون الاجتماعية الذي يقول: «إن وزارته ليست لها سلطة على هذه الجمعيات وليست مسؤولية إلا عن الإشراف العام المالي والإداري ولا تتدخل في غير ذلك». والذي يعرفه عامة الناس وخاصتهم أن هذه الجمعيات لا تقوم إلا بترخيص من الوزارة وموافقه على نشاطها كله، وأن أكثر أموال هذه الجمعيات لا تقوم إلا بترخيص من الوزارة وموافقة على نشاطها كله، وأن أكثر أموال هذه الجمعيات وتبرعات المتبرعين لها تأتي عن طريق الوزارة أو بعلمها، وأن هناك مساعدات مادية تقدمها الوزارة لكل الجمعيات الخيرية، ومن هذا المنطلق فإن الوزارة مسؤولة مسؤولية كاملة أمام الله قبل كل أحد وأمام أصحاب الصدقات والزكاة الذين يقدمون أموالهم لها، وغالب هذه الأموال زكاة واجب دفعها إلى أهلها المستحقين لها بشروط القرآن لا شروط الهيئات الخيرية، ولا ماتفتقت عنه بعض أذهان القائمين عليها التي أشار الخبر إليها وأكد حدوث شيء مما ذكر تقوم به تلك الجمعيات وحدد مكانها.

إن هذه الشروط تخالف أنظمة الجمعيات الخيرية ووظيفتها الاجتماعية وهي تضييق لا يليق بمن لديه عطف ورحمة على أهل الحاجات والمعوزين لاستغلال عوزهم وحاجتهم إلى ضروب من التشدد والتزمت الذي يتعلق بأرزاقهم وبحقوقهم التي فرضها لهم الشارع ويفتأت هذا التصنيف على المحسنين والمتصدقين الذين يدفعون بأموالهم إليها لتقوم بالنيابة عنهم بدفعها إلى مستحقيها.

إن الوزارة قادرة ومسؤولة مسؤولية كاملة عما يحدث، ومن مسؤولية الوزارة سحب ترخيص الجمعيات المخالفة أو منع المساعدات المالية عنها إذا أخلت بشروط ترخيصها وارتكبت مثل هذه المخالفات

www.mtenback.com

التي تدل على انسداد بمسارب الرحمة في قلوب هؤلاء المصنفين. وأول واجباتها إبعاد هؤلاء عن عمل الخير وعن الجمعيات الخيرية؛ وذلك خير للجمعيات ولأهل الصدقات وللذين يدفعون أموالهم إلى ما يظنونها جهات مناسبة توصلها إلى مستحقيها، وليس استغلال أموال المحسنين استغلالاً أيدولوجياً[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2118، السبت 19 شعبان 1431هـ.

www.mtenback.com

الحاجة تصنع القيمة

على مدى ثلاثة أيام كان النادي الأدبي في القصيم يستعيد التاريخ تاريخ العرب وتاريخ الشعر والفروسية وتاريخ الحب الطاهر العفيف. كان النادي والمدعوون إليه من أهل اللغة والأدب والشعر في الأسبوع قبل الماضي يسيرون مع الماضي لهذه الجزيرة مع أول إطلالة الإنسان العربي إلى العالم بشعره وفكره وحربه وسلمه. كان عنترة بن شداد العبسي هو محور هذا التاريخ وهو جامع هذه المعاني المشار إليه، حيث كانت الجاهلية وكان الشعر وغيره مما حفظه لنا شعر عنترة الذي سار مع الزمن سيراً حثيثاً حتى وصل إلينا بصورته التي استقرت في أذهان الناس: عنترة الفارس العاشق، العبد، الحر، المختلف حوله والمتفق عليه مع أشياء أخرى ليس هذا مجالها.

إنما المجال الذي حررت هذه الكلمة من أجله هو ما أضافه عنترة إلى تلك الصفات والقيم؛ ذلك تجربته في الحياة ومعرفته طبائع الأشياء والناس وتفحصه لدقائق السلوك الإنساني الذي لم يتبدل منذ عهده وجاهليته إلى عهدنا وإسلامنا عندما يجمع صفات الناس التي تلازمهم؛ وهي تقدير القيمة لما يحتاجون إليه وزهدهم في الشيء عندما يستغنون عنه؛ خذوا هذه الحكمة عنه واسمعوه يقول:

ويدعونني في السلم يا ابن زبيبة وعند صدام الخيل يا ابن الأطاليب

تلك تجربة الشاعر مع أخلاق الناس ووصفه لما عرف وجرّب منهم لا يبعده عن دوره معهم حتى وإن عرف ما في نفوسهم.

إذن الحاجة هي صانعة القيمة للإنسان والأشياء، وقديماً قيل حاجة كل امرئ ما يحسن، وقد أحسن الإخوة الزملاء في نادي القصيم الأدبي حين كانت الكلمة الطيبة والتجربة الإنسانية الخالدة، بل الشخصية المعبرة عن كل أحاسيس الناس هي محور النقاش الذي دارت حوله بحوث المؤتمر في جو من الانسجام مع مضمون الكلمة الطيبة المنتخبة من صميم تراث العرب ومن تجاربهم في الحياة، وقد لا نبعد عن الحقيقة والواقع إذا زعمنا أن الناس اليوم أكثر تقديراً للقيمة النفعية وأكثر إلحاحاً على التصنع لها عند الحاجة إليها؛ سواء كانت هذه القيمة للإنسان أو للأشياء وأكثر تجاهلاً وزهداً فيما لا يقدم لهم نفعاً إن كان

www.mtenback.com

من الناس أو الأشياء، وسجية الاهتمام بالنفع والزهد عند الاستغناء عن الناس والأشياء، هي طبيعة الجحود وسجية التنكر إلا لما يجلب النفع ويحقق الذات؛ وهي أنانية عرفها الأولون وشكوا قسوتها وعرفها المستأخرون واكتووا بنارها وستدوم الحاجة في كلتا الحالين ويدوم الناس إلا أن يشاء الله[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2080، السبت 12 ذو القعدة 1430هـ.

www.mtenback.com

سندان الغلاء.. ومطرقة البطالة!

لم يعد الغلاء وارتفاع الأسعار قضية محلية أو داخلية لأي دولة، سواء كانت هذه الدولة أو تلك غنية أو فقيرة، بالمفهوم العام واعتبار موارد الدولة وثرواتها، بل إن العالم كله غنيّه وفقيره يقع تحت طائلة هذا الشبخ المرعب شبح الغلاء، وشبح شح الموارد، وتواضع مصادر التموين.

ويبدو أن هذا الغلاء لا ينتمي إلى قارة من القارات، ولا أمة من الأمم وإنما هو عام وشامل. كان الغلاء والفقر في الماضي القريب حظ دول وأمم من دول الأرض وأممه، بينما يكون الغنى والرخاء حظ دول أخرى، لكن اليوم أصبحت موجة الغلاء العالمي وانتشار الخوف من عواقبه حظاً لكل أمم الأرض وشعوبها، أين ما ذهب الإنسان لا يجد إلا رائحة الغلاء الفاحش والشح في موارد الغذاء وصناعته والقليل من الإنتاج الذي أصبح لا يشبع جوع العالم ولا يسد حاجة المحتاجين.

وإذا كان هذا هو حال العالم كله فإن بعضه صار أشدَّ تضرراً من البعض الآخر، ولا سيما العالم الذي يعتمد اعتماداً كلياً على ما ينتجه الآخرون من حاجاته، وأرضه لا تجود بما يكفي لإطعامه، ونحن خاصة من النوع الأخير الذي يعتمد على ما يرد إليه من خارج أرضه حتى وإن كان قد حبانا الله من الثروات ما نستطيع أن نخفف به قسوة الطبيعة والحاجة، وندرأ خطر المجاعة التي تضرب أطنابها في كثير من دول العالم الثالث الذي ننتمي إليه، بينما الغلاء الفاحش هو حظ دول الغرب الثرية التي تنتج ما يحتاجه الناس من مقومات الحياة اليومية.

لكن هذا وذاك جعل كل دولة تتخذ ما يمكن اتخاذه، وما تستطيع عمله لتخفيف وقع هذه الحاجة على الناس، ووضع عدد من الحلول الطارئة والسريعة، والأخرى بعيدة المدى، وأهم مواجهة لهذه الموجة في الوقت الحاضر هو الالتفات إلى الممكن المحلي الذي يمكن عمله قبل البحث فيما وراء ذلك من حلول، حيث الناس عندنا أو كثير منهم يقعون بين سندان الغلاء العالمي ومطرقة البطالة المحلية. وهذه الفئة من الناس كثروا أو قلّوا هم الذين سيتضررون في الحالين. والحل الممكن لا يكون إلا في مواجهة حقيقية لما تعيشه الطبقة الفقيرة محدودة الموارد،، ولا سيما إذا كان بعض أفرادها أو كلهم ممن وقعوا في دائرة

www.mtenback.com

البطالة، ولم يجدوا عملاً يخفف معاناتهم مع اشتداد الغلاء وارتفاع الأسعار، إن هذه النازلة تحتاج إلى حلول عملية وسريعة تستجيب لها وتساعد في حلها حتى لا تكون النتائج مؤلمة وموجعة[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2008، السبت 19 جمادى الأولى 1429هـ.

www.mtenback.com

المستقبل

قبل سنوات بل قبل أكثر من ربع قرن جاء إلى جامعة الرياض وقتذاك – سعود اليوم – أحد كبار المسؤولين عن التخطيط والدراسات المستقبلية وألقى محاضرة في رحاب الجامعة تحدث فيها كثيراً عن مهماته ومهمات وزارته التخطيطية وكان مما أذكر جيداً قوله إنه خطط ووزارته لبناء مائة وخمسين وحدة سكنية على مدى خمس سنوات في تصوره المستقبلي، ولكن الحصيلة الحقيقية في بحر تلك المدة كانت بناء أكثر من خمسمائة وحدة سكنية حيث دعت الحاجة لذلك، وشرع المحاضر بمحاضرته وهو لا يشك أنه قدم للمستمعين من منسوبي الجامعة ومن حضر معلومات مهمة وعملاً يشكر عليه فالفرق عنده كبير بين تخطيط لبناء مائة وخمسين وحدة في مدة زمنية محددة والحاجة إلى بناء نصف مليون وحدة أو أكثر في نفس الفترة التي حددها، وما إن انتهى من حديثه حتى بادره الحاضرون وأكثرهم عادوا للتو من دراساتهم العليا في الغرب وهم ما زالوا يحملون في الرؤوس بعض ما درسوا من فوارق في الأسماء والأشياء وتحديداً للمعاني والدلالات بغض النظر عن الحصيلة النهائية. وكان أول سؤال لمعاليه بعد ديباجة طويلة من الثناء على ما ذكر والتقدير على جهده وجهد وزارته الطيب الذي تضاعف أكثر من ثلاث مرات هو أن ما قدم لم يكن تخطيطاً ولا يجب أن يسمى كذلك، ففي الجامعة ولدى أساتذتها هناك كلمات محددة يغطي كل منها دلالاتها الخاصة بها ولا يسمح بالتعالق بين المعاني مهما كانت النيات والإنجازات حسنة وطيبة. ما تم كان إنجازاً رائعاً يا معالي الوزير لكنه ليس تخطيطاً في أي دلالة علمية وكان بإمكانكم أن تتحدثوا عن الإنجازات ونقرّ لكم بما أنجزتم ولكن ليس من حقكم أن تسموا الأشياء بغير اسمها، حاول معاليه أن يخلط بين الأسماء كما يريد ولكنه أمام الإصرار على أن الكلمة يجب أن تقال في مكانها وأن المصطلحات يجب أن تحترم في الجامعة، ولا يدخل بعضها في بعض قال هذا ما فعلنا. نحن نسميه تخطيطاً وأنتم سموه إنجازاً أو ما شئتم من الأسماء. ذكرت هذه المحاضرة عندما ذكرت وبحثت عن المؤسسات التي تهتم بالدراسات المستقبلية والتي لا يخلو من وجودها مجتمع يريد أن يبني خطواته للمستقبل على رؤية واضحة سليمة فلم أذكر مؤسسة واحدة أهلية، أو رسمية تهتم بمثل هذه التطلعات

www.mtenback.com

والدراسات التي يعتمد على تنبؤاتها في المستقبل وتأخذ في الاعتبار الحاجات التي تأتي بها خطوات المجتمع وحراكه الدائب في الحياة وحتى لا يقع في مأزق ما في شيء يود أن يعالجه بدراسة تحدد الحاجات إليه قبل الإحساس بها أو قبل تراكمها واستفحالها. نحن نواجه اليوم مشكلات كثيرة حدثت دون أن يتنبأ أحد بحدوثها ودون أن نجد لها حلاً يساعد على تخفيفها. خذ مثلاً ما يمسى بالبطالة بين الشباب التي نعاني منها وكم دراسة مستقبلية أنذرتنا بحلول هذه المشكلة، وخذ القبول للخريجين من الثانوية العامة، وأعدادهم الكبيرة التي كانت مفاجئة لنا رغم أن الحالتين المذكورتين أعلاه كان بالإمكان التنبؤ بهما قبل حدوثهما بأعوام كثيرة وكان بالإمكان وضع الحلول المقبولة لهما قبل أن يستفحلا وينغلق على الكثير الباب الذي يخرجون منه هذه الأزمة وهي أزمة لم تكن غائبة ولكنها كانت في طور المدافعة والتجاهل حتى أطبقت بفكيها علينا.. لو كانت لدينا مؤسسات مدنية لاستشراف المستقبل والدراسات التي تتوقع التغيير وتهتم بالحلول للمشكلات القادمة وليست القائمة لما وصلنا إلى هذه المواقف المرتبكة في معالجة الأشياء. أما أننا حتى اليوم لا نجد دراسات استشرافية ولا نعتمد على رؤية مستقبلية بعيدة المدى فأمر يحتاج إلى إعادة نظر بل يحتاج إلى السماح للقطاع الخاص والتشجيع للمعاهد العلمية التي تهتم بهذه الدراسات وأن يخرج الأمر من دائرة التخطيط المبرمج في المؤسسات الحكومية إلى المراكز المتخصصة في الدراسات المستقبلية والمستقلة في الرؤية حتى تعطى القوس باريها ونعرف ما نحتاجه قبل حدوثه بعشرين عاماً ليس في قضية البطالة والقبول بل في كل قضايانا المعلقة التي ننتظر الوقت لحلها. وقد لا يسعفنا الوقت في حلول مناسبة في كل الأحوال[1].

(1) اليمامة: العدد 1863، السبت 25 جمادى الأولى 1426هـ الموافق 2 يولية 2005م.

www.mtenback.com

سقطت الثروة والكثرة، ونجحت الفكرة

يرفع بعض الناس عصا الكثرة والثروة عندما يتحدثون عن اتجاه الرأي العام ويزعمون أن الناس مع هاتين الحالتين مع الثروة التي تستميل الناخبين لأن أهل الثروة قادرون على الإنفاق وإغراء الناس أو بعضهم بالمال وأهله، وبعض آخر يرفع عصا الكثرة ويزعم أن الناس أو بعض الناس لا زال يعيش مرحلة العصبية فهو بلا رأي ولا رؤية يتبع ما تفرضه عليه عصبيته أو انتماؤه.

لكن انتخابات الرياض قالت شيئاً آخر وأعطت مؤشراً دالاً على أن الثروة والكثرة لا تملك قرار المجتمع ولا توجهه حيث تريد. امتلأت شوارع الرياض ومراكزها الانتخابية بأهل الثروة ومدت عصاها إلى كل ساحات الرياض شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وارتفعت صور الأثرياء في كل زاوية وقرأ الناس أسماءهم وبرامجهم في كل صحيفة. كان للثروة حضورها الذي لا يخطئه أحد، ولها ضجيجها الذي وصل إلى كل بيت وبكل وسائل الاتصال، حتى الخصوصية تسامحت مع سطوة الثروة ووصلت إليها عبر الهاتف النقال كل شيء عبرت عنه الثروة في كسب رأي أو تغييره.

أما الكثرة فلم تكن الرياض إلا مكان الكثرة التي جاءت عاملة واستقرت فيه وهي كثرة لا يخطئها الناظر في التكوينات الاجتماعية وقد كانت هذه التكوينات إحدى وسائل الترهيب التي يقال دائماً: إن للكثرة سطوتها ولها جنودها الذين لا يعرفون رأياً غير رأي العصبية. لكن هذين العاملين سقطا أمام الوعي الذي لم يكن أهل القول الأول يعرفون أبعاده.

لقد نمت في المجتمع رؤية جديدة تجاوزت الحواجز التقليدية وأعلنت للذين لا يزالون ينظرون إلى الخلف البون الشاسع الذي قطعه المجتمع في رؤيته وتقديره للأشياء، وأثبت وعيه الثقافي وفهمه المؤسس على رؤية جديدة فاعلة في حاضره مدركة لحاجات ساعته ومستقبله، إن الدلالة التي تقرأ في ما حدث في انتخابات الرياض تعطي مؤشراً غير مؤشر الكثرة أو العصبية وغير مؤشر القدرة أو الثروة.

تعطي مؤشر الخطوة الأولى في طريق الرأي العام والنفع الذي يؤسس على مصالح مشتركة وهموم عامة وينتخب من يخدم هذه الأهداف ويسعى لتحقيق بعضها إن لم يستطع تحقيقها كلها.

www.mtenback.com

والذين فازوا في المجلس البلدي فازوا بأول تجربة توضع للرأي وتخضع لأمل المشاركة في القرار والاختيار، وفازوا لأنهم يحملون مضامين فكرية ورؤية تنظيمية وهموماً يشترك فيها جل الناس إن لم يكن كل الناس.

ولأن الرياض صارت دائرتة انتخابية واحدة وليست سبع دوائر انتخابية امتدت يد التنظيم والتكتل إلى كل الناخبين وحشدهم لتوجه واحد ولو كانت الرياض سبع دوائر كما هو مفترض لكانت النتيجة غير ما حصل أو أقل مما حصل لتوجه واحد.

ما نؤكده هو أهمية هذه الخطوة الأولى في الطريق الطويل إلى خطوات أخرى مكملة وشاملة لما أنجز ومضيفة مجالات أخرى للانتخاب والاختيار.

أما السؤال الذي يطرح بلا موارية هو أننا مجتمع متعدد الاتجاهات ومتنوع المشارب وأن الفرص التي تعطى لتيار من تيارات المجتمع يجب أن تحصل عليها كل التيارات والاتجاهات حتى تعبر عن برامجها وأن نقبل التنوع حتى يتحقق التوازن الذي يقيم مسيرة المجتمع بدل الرؤية أحادية الجانب التي يحاول بعض الناس إضفاءها على كل الفعاليات الاجتماعية في الوطن.

وهذا لا يكون إلا حين تقدم الفعاليات الاجتماعية إلى الناس بوسائل متساوية وحيادية تبتعد عن استغلال العواطف بل حتى الثوابت والمسلمات لا يجب أن تكون موضع مزايدة عند الاختيار إن لم يكن ذلك فإننا سنمارس عصبية من نوع آخر حتى في صناديق الاقتراع[1].

(1) اليمامة: العدد 1844، السبت 10 محرم 1426هـ الموافق 19 فبراير 2005م.

www.mtenback.com

لو فاز أوباما

في ستينيات القرن العشرين وقف شاب أسود من الأمريكيين الأفارقة كما يسمونهم في زاوية مظلمة من زوايا مطعم خصص للبيض الأمريكان وطلب من زميل له أمريكي أبيض أن يحضر له وجبة غذاء يأكلها واقفاً في عرض الشارع، لأن التمييز العنصري لا يسمح للسود الأمريكان مشاركة مواطنيهم الأمريكيين البيض أو مجالستهم في المطاعم والأماكن العامة، أصبح هذا الشاب في أقل من أربعين عاماً رئيس أركان الجيش الأمريكي ثم وزير خارجية أمريكا قبل أن يترك مكانه لمواطنته السوداء مثله كونداليزا رايس إنه المستر باول قائد الجيش الأمريكي في حرب تحرير الكويت، كما جاء ذلك في مذكراته.

وفي فترة وجيزة من عمر الزمن انتفض السود لحقهم وأشعلت ثورتهم بحقوق المواطنة فتاة سوداء خياطة أبت أن تترك مكانها في مقدمة الحافلة لرجل أبيض وتذهب إلى آخر المقاعد المخصصة لها ولأبناء جلدتها من السود.

واليوم يتقدم لسدة الرئاسة رجل أسود كان قبل عدد من السنين لا يسمح له القانون في أكثر الولايات الأمريكية في الجلوس مع البيض فضلاً عن رئاستهم ورئاسة الدولة، حدث هذا كله عندما عرف الشعب الأمريكي شيئاً اسمه المواطنة وشيئاً اسمه الحقوق وشيئاً اسمه الإنسان من أي لون وجنس ودين، احترمت أمريكا المواطنة ومنحتها حقوق العدل والمساواة، رفعت أمريكا حقوق المواطنة فوق كل الاعتبارات التي كانت غارقه بها، حركت أقوى ما لديها وأجمع ما فيها وهي العدالة بين أبنائها وعدم التفريق بينهم أو التمييز، نسيت بسرعة مذهلة تقاليدها البائدة العنصرية وتراتبيتها الطبقية وعمدت إلى مقومات الحياة ومحركات العمل النافع واحترمت الكفاءة والقدرة والاستعداد لتقديم الأفضل، صوت للزعيم الأسود أكثر البيض حتى الآن وصوت للأبيض بعض السود لأن الوطن محا كل تلك الموروثات البالية وأحل محلها النفع العام لكل فرد في الدولة ولكل ولاية فيها بغض النظر عن جنسه ولونه، كان هذا التغيير الهائل هو سرُّ عظمة الدول الحية التي تعرف كيف تستغل القدرات لكل أبنائها من أي جنس، أسرعت أمريكا إلى نسف ماضٍ بقيت فيه قروناً لأن العدل والمساواة أصبحت قيمة اجتماعية يحترمها كل فرد في الدولة فأحلوا

www.mtenback.com

ذلك مكان العصبيات والإقليميات والأعراف والطبقات. هنا تكون الدولة آمنة ومطمئنة وهنا يكون الوطن الذي ينتمي إليه الجميع وهو انتماؤهم وما سوى ذلك فأحاديث وأسمار[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1994، السبت 9 صفر 1429هـ، 2008/8/16م.

www.mtenback.com

الأصمعي يكذب على الأعراب

سأل رجل ابن أخت الأصمعي عنه فقال: هو ذاك ضاحياً في الشمس يكذب على الأعراب. والأصمعي لمن لا يعرفه لغوي عاش في القرن الثاني الهجري وهو محب للعربية ومشغوف بقانون الأدب وفصاحة اللغة، والأعراب في عصر الأصمعي هم (البدو) في عصرنا الحاضر، وهم أهل الفصاحة والبيان العربي الذي يبحث عنه العلماء والنحويون واللغويون في البصرة والكوفة وحواضر الإسلام، وأكثرهم اهتماماً بهذا الجانب الحيوي في ذلك الزمن الغابر كان الأصمعي حين يأخذ عصاه وينزل إلى سوق البصرة يتحدث إلى الأعراب ويسجل شوارد اللغة وشواهد النحو والشعر ثم يعود أدراجه في كل مساء وقد ملأ كنائنه من هذه الأحاديث التي يسميها لغة حتى يبز بها غيره الذين لا يقفون موقفه ولا يستطيعون عمله، أخذ الأصمعي هذه هواية في أول مرة ثم أصبحت مهنة وعادة لا يستطيع التخلى عنها ولا التخلص منها، حتى ملأ صدره من أحاديث الأعراب وقصصهم التي أصبحت سوقها في العراق كلها كسوق الأسهم عندنا هذه الأيام؛ كل يتحدث عنها وكل له جمل مع الحجاج كما يقول المثل المعاصر، أصبح الأصمعي مرجعاً لأحاديث الأعراب وفقيهاً فيما يتحدث به عنهم وهو مثل الناس يغضب ويرضى ويزيد وينقص، فإذا رضي عنهم وعن جملتهم قال: قالت العرب، وتحدثنا العرب وإذا غضب قال حدثنا أعرابي وقالت الأعراب. ومضى في أحاديثه التي أصبحت في التاريخ العربي كله أحاديث الأعراب، وقصص العرب، نحن اليوم مثل الأصمعي لدينا عرب نتحدث عنهم ولدينا أعراب يحدثوننا، وإذا لم يفعلوا كذبنا عليهم كما كان يقول ابن أخت الأصمعي إن خاله يكذب على الأعراب.

الفارق عندنا أن عرب اليوم وأعرابه حالة ذهنية وليست لغوية أو علمية نسقط عليها ما نريد أن نخفف بها عن كواهلنا المثقلة بكثير من الأشياء التي لا نريد حملها ولا نريد الاعتراف بها فنجد الأعراب أوسع صدراً وأقوى كاهلاً لحملها وتعليق تبعاتها على أعناقهم، نرضى عنهم كما رضي الأصمعي فنسميهم بأسمائهم ونخلط أنفسنا معهم، ونغضب منهم أو نشعر بوحشة أبدية نحوهم فنحوزهم إلى الأعراب ونتخلص منهم بالإزاحة والإبعاد. أعراب اليوم لا يجب أن نتعامل معهم كما صنع الأصمعي فهم يعرفون أحاديثنا

www.mtenback.com

كما نعرفها ولديهم رصيد ضخم من المقابلات والأضداد التي يحسنون الحديث عنها، وهم مثلنا عرب حتى لو وضعناهم جميعاً في سلة الأعراب، قضية الأعراب اليوم أكثر تعقيداً من أن يتحدث عنهم الأصمعي ومن له آذان، قضية الأعراب ليست قضية لغة، بل هي قضية حياة وقضية وجود هو وجودنا كله وهو واقعنا الذي لا يجب أن نفرّط فيه ولا نغالي بالانغلاق والإعراض، أعرابنا اليوم غير أعراب الأصمعي الذاهبين إلى الصحراء العائدين إلى المرابع والديار، أعراب اليوم قد يصححون أكاذيب الأصمعي ومن له آذان، وقد يقول غير ما ينقل المتحدثون عنهم وما ينسبون إليهم[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1989، السبت 3 محرم 1429هـ.

www.mtenback.com

المقدمات والنتائج

تحركت الحاسة عند بعض الكتاب والمثقفين عن حراك اجتماعي لم يكن حادثاً أو جديداً وهو سباق الهجن والاحتفال بها والاهتمام الذي ظهر على السطح في السنتين الماضيتين، وأدلى كل بدلوه من كتاب الصحافة وأنذر وحذر حول هذه الظاهرة وما يمكن أن تؤول إليه وينتج عنها من مواقف، وقد كان الحرص على الوحدة الوطنية هو الشعار الذي رفعه المعترضون على هذه الاحتفالية في الإبل وأهلها والتباهي بما يملكون منها. وليس لدى اعتراض على كل ما قيل أو ما قد يقال في هذا المجال إلا أن ما لدى هو مناقشة للخطأ في تقدير الحراك الاجتماعي والنظرة إليه مجزءاً وليست النظرة إليه بالسياقات الاجتماعية والطبيعية والعلمية.

إن التحولات الاجتماعية لا تحدث طفرة ولا تكون بنت الساعة وإنما تأتي متدرجة تلقائية لمقدمات تؤول بالضرورة إلى نتائج يدركها الناس وقد يتنبهون إليها بوقت متأخر بعد أن تلفت النظر بقوتها وسيرورتها وظهورها العلني المباشر كما هو المثال من سباق الإبل والاحتفال به. لكن مقدمات ذلك بدأت منذ ثلاثين عاماً حين قامت بعض فئات المجتمع القدوة بإعداد شجرة العائلة التي تجمع أطرافها وتؤصل وجوده وتحدد صلاتها وأماكنها في الوطن كله؛ وخارجه على مبدأ القرابة النسبية التي انقطعت منذ آلاف السنين، ثم تلا ذلك بيت العائلة الذي يبنى في موقعها الأصلي تجتمع فيه وتقيم أفراحها وأتراحها فيه وأعيادها ومناسباتها منفصلة حتى عن جيرانها في القرية التي قد لا يتجاوز سكانها المئات، وجئنا بصندوق العائلة الذي تجمع فيه أموال طائلة بعضها من حقوق عامة الفقراء ونجعل هذا الرصيد الضخم في خدمة أبناء العائلة دون غيرهم من جيرانهم وإخوانهم والمجتمع الصغير المحيط بهم الذي كان في الماضي أقرب إليهم ممن جمعوا بشجرتهم، بل حتى بعض الفتاوى خصصت ما كان عاماً لكل الفقراء إلى ما هو خاص لفقراء العائلة والأسرة. هذا الفرز الاجتماعي في القرية الواحدة في المدينة الواحدة وعلى مستوى الوطن لم يحرك فينا ساكناً ولم يثر عندنا سؤالاً ولم يكن خطراً على البناء الاجتماعي ولا على الوحدة الوطنية في نظرنا وفي تقديرنا؛ لأنه أتى رغبة منا ولحاجة في نفوسنا، وعندما اقتدى بنا غيرنا وقلدونا بما فعلنا

www.mtenback.com

كان الاعتراض على هذا الخطر الداهم لوحدتنا ووطنيتنا. كل هذا وذاك أتى من غفلتنا عن أثر المقدمات التي تؤول بالضرورة إلى نتائج قد لا تكون في حسباننا ولا نتوقع حدوثها لكن طبائع الأشياء قد تؤول بنا إلى غير ما نريد، وقد يلتفت الناس إلى ما كنا نتمتع به منذ سنين من فرص الحياة التي نديرها بيننا بمعزل عن الوطن في جغرافيته الواسعة وامتداداته الشاسعة وسكانه الذين يفترشون أرضه ويلتحفون سماءه.

الوحدة الوطنية لا يخلخلها سباق الإبل وتجمع أصحابها في الصحارى الممتدة إذا استوت الحقوق وتحقق العدل بين الناس وأتيحت الفرص المتساوية لكل أبناء الوطن. هذا هو ضمان الوحدة واستمرارها وما سوى ذلك فهي أحاديث وأسمار وكل يغني على ليلاه[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1979، السبت 15 شوال 1428هـ.

www.mtenback.com

شعراء العلم

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح

ما أظن هذا الشاعر العربي القديم الذي عاش في فجر التاريخ العربي كان جاداً فيما يريد، ولا خطر بباله أن يأتي يوم تستبدل فيه أجزاء الإنسان كما تستبدل قطع الغيار، لكنه شكا بؤسه وآلامه المبرحة من أثر الحب، وكان يظن أن الكبد من أشد الأعضاء تأثراً به واستجابة له، وقد عرّض كبده لمصائبه حتى تقرحت فأفسدت عليه لذة الحياة وتمسكه بنعيمها، وتمنى لو كان استبدال الكبد المريضة بغيرها السليمة مما يحدث في الطبيعة ويجوز في العادة حتى يستعيض ذلك العضو الرخو بطئ الحركة قليل الإحساس والتأثر بما هو أقوى منه على التحمل وأقدر على العمل، والكبد البضاعة التي يريدها بدل كبده المريضة كانت أمنية من ضرورب المستحيل، ولذا طلب لو استطاع، ولم يدر بخلده أن بعض الأماني قد تكون حقيقة وبعض المستحيل قد يصبح ممكناً، والليالي حُبالى يلدن كل عجيب.

تُرى لو عاش هذا الشاعر اليوم وأدرك هذا الزمن الذي صار فيه الإنسان يُجزأ قطعاً كما تجزأ الجزور وتستبدل أعضاؤه، ومنها عشرات الأكباد المقروحة – كما قال – يوضع مكانها أكباد ليست بذات قروح. كم يكون سعيداً بتحقق أمله وأمنيته وصدق حدسه. لو عرف كيف أصبح طموح الإنسان لا يقف عند حد وانطلاق العلم يسبق خيال الشعراء وتصور القادرين على استقراء المستقبل. إن هذا العصر أصبح في أشد حالات السرعة والانطلاق فما يكاد الإنسان يخلص من حرج سؤال في نفسه عن شرعية عمل يراه واختراع يفاجأ به حتى ينقله إلى ما هو أغرب وأعجب.

ورغم ما واجهت تلك البضاعة في بدايتها من رفض واعتراض شديدين إلا أن العلم شق طريقه وسار في تقدمه وغلب اعتراض المعترضين ورفض الرافضين وتحولت القضية الأخلاقية إلى قضية إنسانية جعلت بعض الناس يحمل في جيبه أينما ذهب شهادة تبرعه بعضو من أعضائه أو بها جميعها يحتسب ذلك أجراً وعملاً صالحاً يرجوه.

وقد جاءت الأخبار بما هو أدهى وأمرُّ مما سبق وبدأت بشائر القدرة على الاستنساخ الكامل للإنسان

www.mtenback.com

بعد أن نجح العلم باستنساخ الحيوان وصار من الممكن أن يوجد الإنسان البديل تحت الطلب لكن لمن؟ وعلى حساب من؟

هذا ما لم يحدثنا عنه المستقبل وإن كان الترويض ممكناً. لقد ضجت وسائل الإعلام اليوم عند الحدث كعادتها ونشط المنظرون الأخلاقيون وتساءلوا عن شرعية ما يحدث ووقف كثيرون ضده وهو أمر يحدث عند صدمة الجديد وغرابته ثم لا يلبث العقل إلا قليلاً حتى يعرف ما جهل ويألف ما استنكر وتسير حركة الحياة وعجلة التقدم، والعلم لا يستجيب لضعف الإنسان لكنه يسير في صعوده ويقدم الدليل تلو الآخر على قدرة الله وتسخيره لخلقه في كل شأنٍ من شؤون الحياة وفي كل غامض من غوامض السرِّ العظيم والخفي الأعظم. وما الهندسة الوراثية التي نشهد بدايات نتائجها هذه الأيام وتوقعنا في دائرة الإرباك الذهني مستجيبين لها مرة ورافضين لها مرات كثيرة إلا جزء بسيط من علم الله الذي علم الإنسان ما لم يعلم[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1460، السبت 16 صفر 1418هـ.

www.mtenback.com

الشركات العائلية قادمة

اكتتب وساهم ومرادفاتهما من الجمل والعبارات المماثلة أصبحت مفردات دارجة على كل لسان وأصبحت ثقافة الاكتتاب والتداول والمؤشر والحساب مصطلحات شعبية كل يدلي بدلوه في هذا الخضم المجهول لدى كثير من المتعاملين بهذه المصطلحات الحادثة في حياة الناس؛ ولهذا فإن من يكتب عن الأسهم والسندات ومرادفاتهما لا يحتاج إلى التخصص أو قضاء السنوات في منهج علمي محدد ولكنه من يقرأ النشرات ومتابعة الصالات ليخرج بثقافة شعبية تجاوزت أصحاب الاختصاص والمنظرين العارفين في بواطن الأمور وظواهرها، من هذا المنطلق سأجيز لنفسي في هذه الأسطر الأخيرة من مجلة اليمامة الغراء أن أجرب الركض مع الراكضين في الحديث عن هذا الشأن الثقافي العام وليس ذلك الحقل الاقتصادي الذي كان يقبع في حيز ضيق من اهتمام الجماهير ثم أصبح حديثاً عاصفاً في كل مجلس وبين كل حديث، بل وحتى بين أفراد العائلة الواحدة في غرفة الجلوس وعلى مائدة الطعام أصبح الجدل عن الأسهم والسوق والارتفاع والانخفاض هو السائد.

وآخر الأحاديث ما تفضل به العم صنهات العتيبي عندما خرج لنا بمقالة عن تخصيص عشرة مواطنين لكل سهم لعائلة الدريس، ومع الدريس سمعنا عن طرح شركتين أو ثلاث عائلية للاكتتاب العام اقتداء بالعائلة المحظوظة الدريس وهو ما يبشر هذه العوائل الكريمة بتخصيص أكبر عدد من المواطنين لكل سهم من أسهمهم إذا سار سوق المال في سياسته على ما يريدون من تخصيصات وهي فرصة سانحة لكل مؤسسة عائلية تريد أن تصبح شركة تقتسم المواطنين وتدخل إلى كل جيب وبيت وتنزع من هذه الجيوب الخاوية والبيوت المملوءة بالأنفس المتدافعة للاكتتاب ما تستطيع، وستصبح هذه العائلات امبريالية في الوجود. هذا التفصيل، وإليكم الموجز: شركة الدريس شركة عائلية أسهمها أربعة مالايين سهم قيمة السهم تقديراً 180 ريالاً.

طرحت للمواطنين مليون ومائتي ألف لتدخل بهذه النسبة القليلة من رأس المال إلى منجم الثروة بهذه النسبة القليلة من رأس المال إلى منجم الثروة على أكتاف هؤلاء الذين نال أكثرهم حظاً، سهماً واحداً

www.mtenback.com

والسعر المتوقع للسهم في السوق، لليوم الأول من التداول في خدود خمسمائة ريال.

وإذا نظرنا إلى من الرابح نجد أن قيمة أصول الشركة قبل عرضها في السوق هو 720 مليون حسب تقويم سوق المال.

أما في اليوم الأول من دخولها في سوق المال فستكون قيمتها السوقية مليارين. أي أكثر من ضعف رأس المال قبل دخول السوق وخمسمائة ريال لأكثر المواطنين نصيباً في الاكتتاب، والسؤال هو أن طرح هذه النسبة القليلة من الأسهم للناس وبقاء أكثر من الثلثين للعائلة جاء ليزيد الأغنياء غنى ويزيد الفقراء فقراً، وكان الأجدر بسوق المال ألا يكون نصيب المكتتبين أقل من النصف إذا كانت الشركة العائلية في النهاية هي الرابح الأول. وإلا سيكون وجود الشركات العائلية القادمة إلينا هو من باب تجفيف منابع الدخل للأفراد وتضخيم أموال الأثرياء الذين لن يفوتوا فرص الثراء والغناء القادمين. بينما المفروض أن يراعى في الاكتتاب مصلحة الأفراد ومساعدتهم على تنمية مدخراتهم، وليس زيادة التخمة لجيوب الأثرياء[1].

(1) اليمامة: العدد 1893، السبت 12 محرم 1427هـ الموافق 11 فبراير 2006م.

www.mtenback.com

بائع الثلج وآخر كلام

الأسهم هذه الأيام تذكرني بلغة الحراج القديمة التي كنا نسمعها تتكرر على ألسنة البائعة الجائلين في الأسواق وفي مدننا وقرانا القديمة عندما يحمل الدلال بضاعته التي تثقل كاهله ويصيح بصوت أقرب ما يكون إلى الاستجداء حراج وحدة حراج اثنين بصوت يحشرج في فمه وهو لا يكف عن الصياح والعدو يميناً وشمالاً يبحث عن من يطلب أو يزيد في السوم.

وإذا عرض له طالب لشراء ما يحمله رد مؤكداً آخر كلام ثم لا يلبث أن يلقي ما بيده إلى من يقدم له الثمن الزهيد الذي أجهد نفسه بالبحث عنه طوال اليوم وقد لا يأتيه ذلك المشتري الذي يدفع الثمن الرخيص. تلك هي حال الأسهم هذه الأيام التي بدأ أن الحراج عليها بكل الأصوات وكل الآلات هي ديدن المتعاملين فيها والمتفرجين عليها، كل ينظر وينادي بأعلى صوته آخر كلام، ولكن حتى هذا الكلام الأخير لا يسمعه أحد ولا يتقدم له طالب، وأصبحت لا تستطيع الإفلات من هموم الأسئلة حتى وإن كنت لا تعرف الأسهم ولا تدرك أبجديات الحديث عنها أو فيها، إنك مضطر إلى أن تقرأ ما في الوجوه التي تقابلك في العمل والسوق والشارع وكل يفرض عليك رأيه ويجرك إلى الحديث عن الأسهم، وما صارت إليه وهو يحشرج بعبرة خانقة تدعوك إلى التعاطف معه ومشاركته همومه التي يحملها بين جنبيه. لابد أن تسمع بكل إحساس إلى ما يمليه عليك في الشكوى وما يطلب من العون في تفسير ما حدث، قد لا تكون ممن دخل دائرة الوهم والثراء السهل في سوق الأسهم في العامين الماضيين، وقد لا تكون لديك خبرة ولا اهتمام في الذي يحدث كل ذلك لا يعفيك من أن تكون مع الناس في همومهم مع الضعفاء والفقراء الذين جرَّهم الوهم إلى دائرة الشراك القابضة التي ذهبت بهم كل مذهب في دوامة الأراضي والمساهمة العقارية الوهمية وغير الوهمية ثم عندما انكشفت لهم لعبة العقار وأهله والمساهمات وأباطرتها جاء لهم السوق ومن فيه والأسهم وهو أميرها كما يسمونهم فكانت الضحية سهلة الوقوع هم سواد الناس وأصحاب الدخل المحدود الذين لا يجدون مالاً يدخلهم دائرة اللعب بالعقار أو الأسهم، ولا يستطيعون الامتناع بمعرفة وعلم بما يدور خلف الأبواب المغلقة والمجالس الليلية التي تخطط للانقضاض على حصيلة هؤلاء الفقراء بأساليب المساهمات العقارية

www.mtenback.com

أو الصناديق الاستثمارية والأسهم التجارية. هؤلاء الفقراء يذكرني حالهم اليوم بحديث الجاحظ عن بائع الثلج في زمانه، وقد نقل على لسانه وهو ينادي على بضاعته ويرقق قلوب السامعين له «من يرحم من بضاعته من ماء السحاب إن أخذ طاب وإن أبطأ ذاب». هؤلاء الذين تذوب أموالهم القليلة بين أيديهم هم أصحاب الجاحظ وبضاعتهم التي تذوب الآن مسؤولية الجميع ولابد من موقف حازم رشيد ينقذ البقية الباقية ممن أوقعهم سوء التصرف في خسارة جائحة عندما وضعت القوس في غير يدي باريها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1898، السبت 18 صفر 1427هـ.

www.mtenback.com

الحقيقة

لدي قناعة راسخة منذ زمن بعيد تصل إلى حد اليقين أنه كلما اتصل المرء بالناس من جنسه ولغته وثقافته ودينه، أو من غير جنسه ومن غير لغته وثقافته ودينه، كان اتصاله وعلاقاته خيرها أكثر من شرها ونفعها يغلب ضرّها واستمرارها خير من الانقطاع عنها، وبسبب هذه القناعة كنت حريصاً على إقناع من أستطيع بهذا الرأي، وبدأت بطلاب الدراسات العليا الذين أشرف عليهم فنصحتهم بقطع الدراسة معي وتحت إشرافي والابتعاث إلى الجامعات الغربية وحاولت صرفهم عن الدراسة في الداخل بكل الوسائل حتى إن بعضهم مزح معي قائلاً: «هل هذا عجز عنا أو تخلص منّا». أطاعني بعضهم قبل أن يكمل مشوراه معي لدرجة الماجستير، وتأخر بعضهم حتى حصل على الماجستير ثم سافر للدكتوراه، ولم يكن ذلك مع طلابي فقط، بل فعلته حتى مع زملائي الذين حصلوا على الدكتوراه من الداخل، فإذا تقدم أحد منهم لسنة التفرغ في الداخل تقدمت إليه برجاء أن يجعل هذه السنة في الخارج ليرى وجهاً آخر للعمل والحياة والمنهج أيضاً، وأذكر جيداً أن أحد هؤلاء الزملاء الذين توسمت فيه المستقبل الأكاديمي الواعد، تقدم بطلب التفرغ وحدد الداخل لتفرغه وقبل عرض طلبه أمسكته وألححت عليه بقضاء هذه السنة في بريطانيا أو أمريكا، واستطعت إقناعه فذهب وقضى عاماً كاملاً هناك.

وقد رأيت في دراساته وبحوثه ومنهجه أثر هذا العام الذي قضاه دارساً في الغرب بعد عودته. لقد مررنا بمرحلة توقف عن الابتعاث فيما مضى من السنوات إلا أن هذا العام والعام الذي سبقه بشرا بخير؛ وهذه جحافل طلابنا تعود إلى الجامعات الغربية بأعداد كبيرة تشبه تلك الأعداد التي كانت في الغرب أوائل السبعينيات في القرن المنصرم، والذي عليها قام بناء صرح الجامعات السعودية التي استفادت من مرحلة الابتعاث المكثف في تلك المرحلة، إن حضارة الغرب وثقافته ومناهجه في التعليم والحياة والعمل لم يعد بالإمكان الاستغناء عنها ولم تعد ملكاً له ولا حكراً عليه، بل أصبحت مطلب كل الأمم التي تريد الانتصار على التخلف واجترار الماضي الغابر، وسَبقُ الغرب وتقدمه حقيقة لا نستطيع تجاهلها والتعامل مع هذه الحقيقة يجب أن يكون لصالحنا، ولا يكون ذلك حتى تزول مواقف الرفض والتردد التي واجهنا بها هذه

www.mtenback.com

الحضارة ومعطياتها منذ انبعاثها، وما زال بعضنا يمارس هذا الرفض والتردد، مع أن التقدم في شؤون الحياة كلها عندنا وفي الغرب سائر على وتيرة تسبق استجابتنا للنافع من هذا التقدم، وحاجتنا دافعة إلى التلقي عنه والأخذ منه غير المفيد لنا يظهر كل ذلك جلياً في مدّ يدنا إلى منتجاته ومخترعاته مستهلكين لها مشغولين بها، وامتناعنا عن المشاركة في حركة الحياة العلمية والعملية النافعة، إن احترازنا عن أخذ النافع هو سبب هذا الحاضر الذي نواجهه بأيد ممدودة إلى كل ما في الغرب وعقول مغلقة عن كل ما ينفع فيه[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1950، السبت 12 ربيع الأول 14288ـ.

www.mtenback.com

الأفكار

كل الناس يعتقدون صواب أرائهم وأعمالهم وما يقومون به وما يمارسونه من عادات وتقاليد وكل الناس لهم أراء وأعمال وعادات وتقاليد مبجلة عندهم، حتى عندما تكون هذه الآراء والعادات والتقاليد شخصية بحتة أو محلية مغرقة في محليتها، كل الناس، أيضاً يدافعون عن آرائهم وعاداتهم وتقاليد حياتهم وهم محقون في الدفاع والاعتقاد.

لكن الخلاف يأتي من طبيعة المحيط الذي يعيش فيه الإنسان ويمارس في وسطه عاداته وتقاليده ومسلمات الحياة لديه والخلاف في طبيعة المحيط الاجتماعي الذي تنمو فيه الآراء والأفكار والعادات والتقاليد، فهناك مجتمع مناكف ومتسائل وفاحص للآراء والأفكار مقر للصواب منها وناف لما لا يتحقق فيه الصواب وهناك تكون حياة الآراء والأفكار أو زوالها إذ لا يسلم أحد بشيء لا يقوم الدليل على صحته وصلاحه بل تقوم الممانعة له حتى يثبت أنه نافع مفيد بعد مقارعته بآراء وأفكار تخالفه وتعارضه وتناكفه حتى تثبت قدرته على التجلي والمواجهة فينتصر الصحيح من الآراء وينكشف الزائف والضعيف وغير المناسب للحياة وغير المقبول للمجتمع وهذا الحال لا يتم إلا حين يستحضر الإنسان دوره في مناقشة الآراء والأفكار والأطروحات التي تسود في المجتمع سواء كانت أسباب هذه السيادة تقاليد موروثة أو محدثاتٍ طارئة جديدة.

إن الأفكار والآراء التي تعتمد على الحدية شديدة الوضوح والصرامة لدى أهلها لا تستطيع أن تنهض أو تعيش إلا في جو الرهبة والحماية لها عن عراك الآراء واختلاف الأفكار، وهي سهلة التجاوز عندما تصدم بغيرها ويتبين ضعفها أمام قوة الجدل التي تواجهها لسبب سهل الإدراك ذلك أن قوة الأمر بوجود ضده كما يقال بضدها تتميز الأشياء. أما الأفكار المحمية بالقوة التي لا يسمح بغيرها ولا يسمع سواها فهي أزهار محمية مكيفة في أجوائها الخاصة ولدى أهلها الذين يسلمون بها ولا يعرفون سواها أو قل لا يسمحون لأنفسهم ولا لغيرهم بمواجهتها من طرف آخر هذه الآراء تصبح أعشاب غار لا تلبث إذا انكشف سور الحماية عنها أو تعرضت للريح والمطر أن تذوي وتصوح وتعجز عن المقاومة ومقارعة الحجة

www.mtenback.com

وبمثلها ولهذا تكون الأفكار المحمية قوية صارمة بنفسها ضعيفة عاجزة عندما تواجه بمثلها مما هو خارج عن محيطها.

إن حياة الفكر أن يواجه بقوته الذاتية أفكار الآخرين، ويترك الميدان للمزاحمة والمناقشة حتى يصح منها ما يصلح للحياة وحجته قوية فيه وليست مجلوبة إليه، ولم يعد في الإمكان اليوم الانعزال التام والانغلاق عن حياة تموج برؤى كثيرة لابد من التعامل معها بمثلها وبقوة تأثيرها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1876، السبت 27 شعبان 1426هـ الموافق 1 اكتوبر 2005م.

www.mtenback.com

أسف لا ينفع

لم أحزن على وفاة المرحوم عبدالله نور بقدر ما حزنت على ما دفق في رثائه من كلمات التأبين والدموع اللفظية التي أمطرتنا بها أقلام أصدقاء الرجل وعارفي فضله ومن تربطه بهم رابطة الأدب والصداقة أو الجوار والصلة، كل أدلى بدلوه وكل على عادتنا في تكريم الأموات رفع عقائر الحزن ومفردات التفجع على ذهاب هذا الأديب الكبير الذي مضى بهدوء وسكينة.

وكأنه لم يكن بينهم عمره كله، ودهره جله، كل يعرفه وله به صلة ما وموقف مشابه، وحكاية طريفة. وكل يعرف مأساته التي لا زمته في حياته كلها، وهي ليست غائبة عن أحد ممن دفق عليه دموع الحزن بعد فوات الأوان وتفرق الأصحاب والإخوان. تناولت كلمات الرثاء أطرافاً من حياته وبعضاً من معاناته، ولمحت بشيء وصرحت بآخر، بل لعل بعضها كان أقرب إلى المدح بما يشبه الذم على رأي البلاغيين، لكن السؤال الذي ألقته هذه المراثي له والدموع المسفوحة على فراقه: هو أين كان هؤلاء الأصدقاء عنه، في حياته، أين كانوا عن مأساته وهي ليست مستعصية على الحل ولا صعبة على العلاج.

كلما قرأت عنه في مراثي أصدقائه أنه رجل غير قادر على إمساك المال وغير حريص على جمعه حتى صار فقيراً في مجتمع يغني ويشبع بفضله الغرباء ويملأ جيوب الأغبياء ويسعد به كل الأشقياء. لكن هؤلاء البكائين عليه اليوم غابوا عنه وقت الحاجة أو هكذا فهمت مما قالوا فلم يندب أحد من نفسه لمساعدة هذا الصديق ومعالجة مشكلات حياته ومرضه. لماذا لم يهب هؤلاء الأصدقاء إليه حيّاً ويأخذوا بيده قبل فوات الأوان؟ لماذا لم يُطلِعُوا على حاجته ومرضه وعلاجه القادرين والمسؤولين وهم كثير ولله الحمد، ولن يتأخر بعضهم عن مساعدته لو علموا بذلك، لماذا لم يفعلوا كما فعل أسلافهم في مثله عندما تعرض شاعر يشبه حاله حال عبدالله نور لا يُليق شيئاً ولا يحسن جمع المال واتسعت يده في إنفاق ما يصل إليها في يومه قبل غده فلا يدخر شيئاً، فلمّا عرف منه ذلك قوم ليست المراثي ديدنهم جعلوا خراجه يومياً يصرف له فلا ينتظر العطاء في الشهر بعد الشهر وإنما نجم عطاؤه – راتبه – على الأيام بدل الشهر أو السنة، جعلوا ذلك قياماً بحقه وحفظاً له ورعاية لملكة الإبداع لديه وتنمية لمواهب الإنتاج عنده، فنفع ما

www.mtenback.com

صنعوا حتى مات ذلك الشاعر كريماً عزيزاً، هذه الحال يحدث مثلها في الناس ويحدث مثلها في الأمم ولكن يُعْرَفُ للأحياء فضلهم قبل موتهم، وليس هؤلاء الذين يذرفون الدموع بعد ألا تكون الدموع مسعفة ولا يكون التوجع نافعاً.

مات عبدالله نور – رحمه الله – فعرفنا كم عدد أصدقائه وكم عدد معارفه من الناس وكم أصحاب الصلة به الذين يعرفون خفايا الأمور وظواهرها، حزنوا عليه ونثروا كنائن ذكرياتهم معه وعنه وأحزنوا من لم يعرفه كمعرفتهم وإنما سمع منهم ما يستحقون اللوم عليه إن كان بعض ما قالوا صدقاً، وليس كل ما قالوا، وحاله وحال أصدقائه ينطبق عليه قول الشاعر:

لا ألفينَّك بعد الموت تندبني وفي حياتي مـا زودتني زادا

قولوا ما تشاؤون من قصائد الرثاء ومقالات التأبين واجترار الذكريات وسوّدوا بها الصحف فلن تنفعه ولن تعفيكم من التقصير رحم الله عبدالله نور وعفا عن أصدقائه وأصحاب المراثي فيه[1].

(1) اليمامة: العدد 1908، السبت 29 ربيع الآخر 1427هـ.

www.mtenback.com

وثبة اللغة

لا أظن أن الشاعر العربي القديم كان متحيزاً للشعراء دون غيرهم عندما خصهم بالإنسانية على لسان المرأة «أنتم الناس أيها الشعراء». لكن للغة وثبات وجدانية لا يستطيع المتلقي أمام وثباتها إلا أن يستخفه الطرب لحلاوتها. ويطير به الفرح بعيداً عن الدلالة المحدودة لإصطلاح الكلمات ومعانيها المباشرة، فتبتعد به وثبة اللغة عن دائرة العبارة الضيقة إلى أجوائها الجمالية، وشرط ذلك أن يكون للسامع حظ معقول من الذوق الرفيع في الأدب ودربة لسماع الجميل من القول حتى ينساق مع ذوقه ويحلق في أجواء عاطفته التي يثيرها الجمال اللغوي وتحركها العبارة المنتقاة القاهرة أحياناً، وإحداث الأثر الانفعالي في النفس يحتاج إلى تجربة رصينة معقولة في السلوك الإنساني ومعرفة دقيقة لمكامن الإثارة، فالشاعر في العبارة السابقة أطلق العنان لتبلغ اللغة مداها وأثار الانفعال عندما حصر جنس الإنسانية كله في عدد محدود هم الشعراء، فحرم البشر الانتماء إلى ما يريده لنفسه وحصرها بفئته وهم العدد القليل. وسرُّ هذه الوثبة أنه أحال القول إلى غيره وأنطق بالحديث سواه وجعل شهادة المرأة صكاً يدافع به عن فضيلته التي زعم أنها له ولطائفته، فكانت وثبة متجاوزة المألوف كل التجاوز في خيالها، تركها تأخذ البعد الزمني الممكن وتسير مع التاريخ، فأصبح يرددها أكثر ما يرددها الذين سلختهم كلمته تلك من الإنسانية وأبقتهم في بشريتهم المكدوحة، وقد رشحها لهذا البعد لحظة وعي مشغولة بجمال اللغة.

والشعراء هم رواد هذا التوثب اللغوي حيث نجد لهم في كل مناسبة بيتاً شارداً يضرب به المثل على ما يراد من أحوال الناس وسلوك البشر، وقد كان حظ المتنبي الشاعر عظيماً – من هذا حظاً لا يدفع، فما ترك سلوكاً أو خلقاً إلا قال فيه مثلاً يذكر كلما عنت مناسبة تستثير الإحساس بوصف أعمال الناس وأخلاقهم.

وبعد المتنبي جاء الشعراء بحظوظ متفاوتة، وآخر من قرأت له الدكتور راشد المبارك في ديوانه «رسالة إلى ولاَّدة» حيث جاءت اللغة في عنفوانها وثورتها، وفي لطفها ورقتها، وفي مساحة فضائها الممكن وفي غناها وبعدها العقلي والوجداني، كان الديوان كله في خياله وعاطفته وثبة لغوية تعبر بالقارىء

www.mtenback.com

إلى الإحساس بجمال اللغة دون استئذان وتدخل مداخل النفس إلى رئة الحياة.

أما عند البشر غير الشعراء فإن اللغة تأخذ حظاً لا بأس به وتعطي سهماً لا يدافع أيضاً وليست هذه الكلمة القصيرة قادرة على تتبع ما خلفه الناس من أمثلة على ما نقول لكنها استجابة وانفعال أثاره جدل بين صديقين كنت أستمع لهما ببرود ظاهر حتى اجتاز أحدهما في عتابه عادي اللغة ومألوفها وأثار الوثبة الوجدانية لدى المتلقي فارتقى بلغته من التوصيل إلى التأثير فقال: «لست عباءة لك إن بردت تغطيتها وإن دفيت توطيتها» فاختصر كل صور العتاب ومفردات اللغة في جملة واحدة لو شرحت لجاءت بكتاب كامل، والأكثر إعجاباً أنها من لسان عامي لا يفك الحرف ولكنه يملك موهبة اللغة حين اختصر الحديث كله في كلمتين بل كلمة واحدة وهذا فعل اللغة وعبقريتها عندما يحسن استعمالها فتطابق الحال وتقطع المفصل وتبعث في النفس جمال العبارة وبهاءها[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1438، السبت 25 شعبان 1417هـ.

www.mtenback.com

حصاد

كل ما انصرح من الزمن وقف الإنسان ينظر إليه بعد أن يتأمل أعقابه على حد قول الشاعر:

تبين أعقاب الأمور إذا مضت وتقبل أشباهاً عليك نحورها

والنظر في الأعقاب والعواقب طبيعة الإنسان الذي يقوم الحياة محدداً فيها المكاسب أو الخسائر التي مرت مع مرور العام حتى لو تعددت هذه المكاسب وتغيرت وتنوعت بتنوع اهتمام الإنسان، فهناك من يتعقب العام محصياً خسائره المادية وأرباحه، وهناك من يحصي مكاسبه الفكرية والأدبية وغيرهم يحصي ويحاسب أموراً أخرى قد تهمه بخاصة نفسه وقد تهمه بحكم صلته بالجماعة الخاصة القريبة منه أو عموم الناس الذين يعيشون معه أحداث العام المنصرم.

كل يقف ينظر إلى العام الذاهب نظرة تعبّر عن صلته بالعام نفسه أكثر من صلته بالإنسان والأشياء والأحداث، وقد قرأت ما كتب عن عامنا المنصرم من هذه الآراء والأفكار بعضها في محيط الوطن وبعضها أبعد منه بكثير وشعرت أن عامنا الماضي الذي ودعناه منذ خمسة أيام هو عام مختلف عن كل الأعوام التي سبقته، فقد توزعت أحداثه ومصائبه على كل قارات العالم الذي يعيش على هذا الكوكب بنسبة من التقسيم، ولم تقتصر على جزء منه دون غيره من الأجزاء، أهمها وأجلها خطراً الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة والحروب من مشرق الأرض إلى مغربها البعيد والمتوسط، حتى الزلازل والانزلاقات الأرضية وغيرها من الحروب المدمرة والمجاعات المهلكة والفيضانات هي أحداث جسيمة مرت مع مرور هذا العام، لكن يبقى أن الشرق الأوسط كما يسمونه هو الأهم الذي شعر أهله وأحصى كتّابه ومثقفوه نصيبهم من عامهم فلم يحمدوا له شيئاً، بل وصفوا نصيبهم منه بأنه حظ الأسد ولكنه الحظ الذي لا يريدونه على كل حال. على رغم بعض بوارق الأمل فيه إلا أن مصائبه موجعة وآثارها مستمرة باقية قد تستغرق أعواماً وأجيالاً بعده وتملؤها بما لا يستطيعون الخروج منه بأعوام كثيرة.

إن النظر إلى المستقبل والعمل على أن يكون أحسن من الماضي هو ما يجب أن ننظر إليه ونحسن العمل فيه منذ البدء، وألا تكون نظرتنا إلى نصف الكأس الفارغ فقط.

www.mtenback.com

ذلك يحتاج إلى قدرة على الإبداع والتجاوز لمواقف الرفض وعوامل الانكسار التي تمتد على أديم الأرض وتعترض سبيل العمل بكثير من المعوقات والمشكلات فيكون الاستعداد أقوى من الاستسلام والعمل أهم من الشكوى والمواجهة للأحداث والتغلب عليها ديدن الجماعة التي تسعى إلى تحويل مجرى الأيام لصالح المستقبل، ليمضي هذا العام بما جلب من الأحداث وعسى أن يستقبل العالم كله عاماً خيراً منه نفعاً وأقل منه شراً، ولكل امرى ما اكتسب والله غالب على أمره[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1889، السبت 7 ذو الحجة 1426هـ الموافق 7 يناير 2006م.

www.mtenback.com

مأزق اللغة

أكثر الناس يحاولون التقليد وأكثر الناس ينجح فيه إلا في اللغة فإن النادر منهم هو الذي يحسن تقليدها وتسهل عليه دلالتها. وأشد ما يواجه مقلد اللغة هو أن يقلد اللهجة أو الدارجة التي لا تضبطها قواعد يمكن تعلمها أو يستطاع، ومأزق اللغة شديد عندما تكون في عمل تمثيلي يفترض فيه انسجام المشاهد والمتكلم مع الفكرة والأحداث. وفي الأعمال الدرامية لا يفترض أن تدخل اللغة عامل سلب في بهجة المشاهد ومتابعته للحدث التمثيلي لأن هذا الجانب أي اللغة يفترض حله قبلاً.

وقد وقع البرنامج الناجح «طاش ما طاش» في بعض حلقاته في مأزق اللغة عندما حاول أحد ثنائي البرنامج تكلف لهجة لا يحسن استعمالها فأفسد في تقليده اللهجة وظيفة الأداء الجيد والفكرة الجيدة أيضاً التي يعالجها وهي فكرة استحقت الإعجاب والمتابعة، إلا أن المحاولة غير الناجحة في تقليد ما لا يسهل تقليده قلب الأمر إلى ضده فتحول المشهد وكأنه سخرية واستهزاء، وهو أمر لا يريده الممثل ولكنه وقع في مأزق اللغة وهو مأزق صعب انعكس على ذوق فريق من المشاهدين الذين كانوا يتابعون تلك الحلقة.

هذه الحادثة أثارت في نفسي سؤالاً كنت أريد طرحه منذ زمن وهو لماذا نبرز الدارجة أو المحلية في برامجنا الإذاعية والتلفزيونية ونغيّب الفصحى عن هذه الأعمال الموجهة للناس كافة وهم لا يجمعون على لهجة واحدة؟ لقد كانت تلك الحلقة التي أربكت الممثل القدير دليلاً على أن الفصحى أقرب إلى القبول في الأعمال الإذاعية والتلفزيونية التي توجه إلى كل الناس على اختلاف لهجاتهم، وهي لهجات متباعدة وعاميات مختلفة لا يمكن الإلمام بها أو جمعها واستعمالها يفوت الاستفادة من البرامج ذات اللهجة المحلية ويفسد الاستمتاع الجيد بها. إن لغة البرامج العامة يجب أن تكون اللغة التي يفهمها الناس كافة ويحسنونها وليس ذلك إلا للفصحى. أما الدارجة فلا يمكن أن تستجيب للناس كافة ولا يمكن أن ترضيهم[1].

(1) اليمامة: العدد 1491، السبت 26 رمضان 1418هـ 24 يناير 1998م.

www.mtenback.com

امتداد القدرة المخلصة

لابد أن نقف عند حج هذا العام قليلا ليس لأنه حج نجح السير فيه وأزال الحرج الذي عاناه الحجاج والمسؤولون عن الحج لعدد من السنوات الماضية، ولا لأنه جلب الاطمئنان إلى الملايين الذين وفدوا إلى مكة المكرمة من الخارج والداخل وفي نفوسهم خوف من صعوبة الطريق وطول الانتظار وعويص الاشكالات المرورية التي تسبب كثيراً من الارباك والمتاعب في صيف قائظ مزدحم. لكن الوقفة عنده تكون للتأمل في أسباب نجاحه ونجاح المباشرين لخطته من تغيير الحال إلى الأفضل بل إلى شيء لم يتوقعه أحد من الناس حتى أكثرهم تفاؤلا.

لقد كانت قضية المرور في الحج تشغل بال الناس في كل عام وتستولي على تفكيرهم حتى الذين لم يحجوا منهم وليس لهم حجاج ويتابعها الجميع وأنا منهم، لكنني كنت متفائلا هذا العام بحج مختلف ونجاح متوقع فحرصت أن أتابع الأخبار عنه، فبدأت البشائر السارة منذ أول يوم من أيام ذي الحجة، بل بدأت بخطة الحج نفسها، وبالمسؤولين عنها والمنفذين لها، وبالتحديث الجوهري الذي جاءت به وكيفية استعمال الطرق وضوابط ذلك. فتفاءل الناس كافة بحج لا تكون فيه كزازة ولا ضيق ولا تلك الاشكالات الروتينية التي كانت تعرقله في الماضي فتحقق التفاؤل وأصبح نجاحه حديث كل الذين شهدوه وكانوا هناك والذين تابعوه من بعيد واهتموا بسلامة الناس والتبشير لهم.

سألت أكثر من عشرين حاجا من الداخل كل منهم كان في قافلة فأجمعوا على أنهم لم يروا أيسر ولا أسهل وأسرع من الحركة المرورية في حج هذا العام في كل ما سبقه من أعوام. قال بعضهم أنهم انتقلوا من منى إلى عرفات في عشر دقائق وخمس عشرة دقيقة، ومن عرفات إلى مزدلفة في عشر دقائق ودون ذلك، ومن منى إلى مكة المكرمة في اليوم الثالث بمثل ذلك وكان الأمر لا يصدق بالنسبة لهم.

تشعر وأنت تسمع منهم وتتحدث إليهم بشيء غير قليل من الراحة والرضا في نفوسهم كل يقول: أنه حدث أمر ما في حركة الحج هذا العام. بعضهم مزح يقول: أظن أن المشاعر قد امتدت واتسعت والبعض الآخر يقول: لعل الحجاج كانوا أقل من ذي قبل وثالث قال: ذلك بفضل حسن التنظيم واجتهاد المخلصين

www.mtenback.com

الذين أعطوا القوس باريها.

أما نحن فنقول ليس نجاح حج هذا العام معجزة ولا مستحيلا، يتحقق بضربة حظ أو مصادفة لكنه أمر طبيعي ونتيجة متوقعة لكل أمر يراد نجاحه، وهو أن يدعى له ويقوم بمباشرته القادرون عليه العارفون به وتبتعد الأنانية وحب الذات وتكون المصلحة هي هدف الجميع. وقد تحققت كل شروط النجاح. فوكل الأمر إلى أهله الذين استعملوا تجربتهم الطويلة في تنظيمات المرور وخبرتهم في المؤثرات على الحركة، وحلت مصلحة الحجيج وسمعة الوطن في نفوسهم محل الفردية والذات التي كانت تفسد الاجتهاد فنجحوا. ولم تمتد منى شبرا واحدا كما مزح صاحبنا ولم تقترب عرفات شبرا مثله ولم ينقص الحجاج بل زادوا وبلغوا ما لم يبلغوه من قبل. إنما امتدت القدرة الملخصة إلى العوائق فأزالتها، وقرب الشعور بالمسئولية في ضمائر الذين صمموا الخطة، وزاد حبهم للناس، الحجاج، والعاملين في الحج، فنجحوا، ونقصت الذاتية المفرطة واستطاع كل العاملين في موسم الحج المشاركة في العمل فتفانوا وأخلصوا، لأن المباشرين لخطة الحج تخلصوا من كل شيء ذاتي وشخصي إلا خدمة الحجيج وسمعة الوطن المضيف وراحة الناس. حتى الحجاج الذين كانوا في بعض الأحيان سبباً في الأرباك تحركوا بانضباط عندما وجدوا التنظيم الذي يخدم حركتهم ويسهل عليهم المسالك إلى الشعائر فزال القلق والخوف من نفوسهم فتعاونوا مع نظام المرور واحترموا تعليماته.

نجح حج هذا العام لأن التخطيط له والإشراف عليه أتيا بعد علم وتجربة وخبرة، وتصميم على أن ينجح.

ويجب أن نقابل جهد العاملين في موسمهم هذا العام بتحية وتهنئة لسعادة الفريق مدير الأمن العام أحمد بلال ومثلها لسعادة قائد قوات أمن الحج اللواء محمد بن رجاء الحربي ومعاونيه ومثلهما لكل من شارك وعمل في موسم هذا العام وحقق نجاح الجزء المسؤول عنه مهما كان صغيراً فاكتمل العمل وارتاح الناس واطمآنوا. وتبقى تجربة هذا الموسم خطوة أولى لسنوات قادمات تزيد فيها سهولة الحج وراحة الحجاج بفضل الله واجتهاد المخلصين القادرين على العمل بصمت وهدوء بعيداً عن الضجيج والضوضاء[1].

(1) اليمامة: العدد 1259، الأربعاء 26 ذو الحجة 1413هـ.

www.mtenback.com

الحوار

ملئت هذه الأيام أعمدة الصحف بما تم في بلادنا من حوار غير مسبوق في المدة القريبة ولا حتى في العهد البعيد من تاريخنا المعاصر، اشتغل الكتاب والمحللون بهذه الظاهرة التي جرت على مساحة الوطن، كل يدلي بدلوه، ويعرض رأيه، ويشرح وجهة نظره، ويبين فضائل الحوار، وأهميته وما تم فيه وما سيتم بعد ذلك، واغتبط الناس وأملوا خيراً، فلغة الحوار ومضامينه هي الإصلاح والسير فيه، ومن من الناس لا يريد الإصلاح ويدعو إليه ويحاور فيه، ومن منّا لا يبتهج أن يرى ويسمع لأول مرة آراءً وأقوالاً كان الحديث عنها أو حتى التعريض بمعناها من بعيد يعد أمراً لا يمكن قبوله، كنا نتحدث عن شيء واحد فقط ونقرأ شيئاً واحداً أيضاً ونسمع وجهة نظر واحدة لا تزيد ولا تنقص، وكنّا مجبرين على الموافقة الصامتة أو الاعتراض الصامت، وإذا بنا نسمع أشياء كثيرة ومتنوعة ومختلفة وكلها جميلة ورائعة يثيرها الحوار ويناقشها المتحاورون فتنداح دائرة الحوار بعيداً عنهم إلى محاورين ومناظرين، موافقين ومعارضين، نصوب هذا الرأي ونقبله ونميل إليه ونعارض ذاك الرأي ونرفضه ولا نقف عنده، نخطئ موقفاً من المواقف ونصوب آخر، نرى أن هذا الرأي أقرب إلى الواقع، وذاك الرأي أصوب وهذا ممكن وذاك مستحيل، وهذا مما نستوعبه وذاك مما لا ندرك فحواه بسهولة، لكنا كلنا متفقون أو شبه متفقين على أن الحوار هو السبيل الذي يجنبنا الخطأ ويبعدنا عن المزالق ويأخذ بنا إلى النتيجة التي نريدها وهي الإصلاح.

إن الإصلاح الذي نريده يحتاج إلى قرار بعد أن أنضجه الحوار، أما إذا غاب القرار فإن الحوار يفقد معناه، بل قد يتحول إلى غير ما يراد منه، لقد دار الحوار منذ عامين في مجالس عامة ومفتوحة دعا لها ولاة الأمر وحضرها فعاليات كثيرة من أهل الرأي في المجتمع، وطرحوا شتى الآراء التي تنادي بالإصلاح. كان أهمها ما بدأه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني في قصره منذ عامين قبل أن يؤسس مركز الحوار الوطني، وقبل أن توجه الدعوة المنظمة إلى من يرغب حواره أو من يصلح للحوار. وكانت الآراء التي طرحت تنتظر القرار الذي يضعها موضع

www.mtenback.com

التنفيذ وهو آت قريباً لأن الرغبة في الإصلاح هي المطلب الذي يسعى إليه الجميع[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1792، السبت 9 ذو الحجة 1424هـ الموافق 31 يناير 2004م.

www.mtenback.com

أخطاء التقدير

قدر حزب الله أن أسر جنديين إسرائيليين كما جرت به العادة زحف لإسرائيل على أطراف الحدود وقصف لبعض المواقع المحاذية لها الخاصة. بمراكز المقاومة الإسلامية، وقدرت إسرائيل أن اكتساح لبنان والتدمير الهائل العنيف الذي بدأت به منذ اليوم الأول سيقضي على المقاومة ويستأصلها في يوم أو يومين ويريح إسرائيل وأمريكا ومن يرى رأيهما من الناس من هذه الشوكة العالقة في نحورها. وقدرت أمريكا العظمى أن هذه الفرصة السانحة التي لا تعوض للقضاء على كل أثر للإرادة العربية أو المقاومة، وقبل ذلك قدرت الدول العظمى التي تملك كل وسائل التحري الاستخباراتي ولديها آلاف العملاء أن أهل العراق سيستقبلون جيشها الجرار بباقات الورود والتصفيق والتهليل وأخطأت التقدير وواجهت ما لم يكن في حسبانها رغم كل القدرات الاستخباراتية والتحريات، ومثلها قدر صدام في غزوه لإيران أنه يقدم على شعب منقسم على نفسه وثورة في أيامها الأولى ونفوس تقلقها محاكم خلخالي الشهيرة، وأن جيشه سيرد الكرامة والأرض ويلقن العدو درساً في الحروب والمفاجآت لا تخطر على باله وأخطأ صدام التقدير، ومثله وأخطر منه تقديره لغزو الكويت فقد أساء التقدير وجاءت النتائج في كل هذه التقديرات السابقة بعكس ما قدر لها السياسيون والعسكريون والاستخباراتيون، كل ذلك جرى منذ عهد قريب وكل تلك التقديرات قامت بها دول تملك من الوسائل والقدرات ما يُظن معه أن تقديراتها ستنال نسبة عالية من المصداقية إن لم تكن مائة في المائة فليس أقل من درجة النجاح للتقدير.

لكن الحروب كما قال المجربون لها يعرف الناس كيف تبدأ ولا يعرف أحد كيف تنتهي. وحرب لبنان هي من هذا النوع فكل التقديرات لا تظن أن يقف عدد من المقاومين المحصورين في زاوية من الوطن بصد أكبر هجوم تشارك فيه الآلة العسكرية الأقوى في المنطقة كلها وتمدها بالتأييد العسكري والسلاح الذكي والغطاء الدبلوماسي أكبر قوة في العالم، ولا يقدر أحد مهما كان موقفه من الحروب أن تتعاون قوتان بحجم أمريكا وإسرائيل أمام العالم كله بتدمير بلد مثل لبنان مسالم ومتعدد الطوائف وديمقراطي النظام فتهدم المنازل على السكان وتضرب بكل عنف البنية التحتية المدنية وتقطع السبل وتحاصر من

www.mtenback.com

البحر والبر والجو يصب الغضب كله على الأبرياء في بيروت العاصمة الآمنة بينما مقاتلوا المقاومة المطلوبون لهذه الحرب لم يتزحزحوا من الخط الأول على حدود العدو الذي تجاوزهم وتجاوز الحدود معهم ليضرب المدنيين الأبرياء في العمق اللبناني عندما عجز عن الخلاص منهم أو إخراجهم من ديارهم، بقي المقاومون يصدون جيشه ودباباته في مواقعهم الأولى وفي الطرف الملاصق لحدوده وبقيت طائرات إسرائيل وقنابل أمريكا الذكية تضرب الأبرياء في بيروت وتعجز عن المقاومين في بنت جبيل ومرجعيون وغيرها من قرى تلاصق حدود إسرائيل.

لماذا أخطأ التقدير اليوم في لبنان خاصة وما الأهداف التي سنقرؤها في أعقاب هذه الحرب التي قتلت أكثر من ألف من الأطفال والنساء والأبرياء العزل في لبنان. وستين شخصاً من المقاومين في الجنوب ومائة وخمسين من جنود إسرائيل المعتدين.

لأن الهدف الأول لدى إسرائيل وأمريكا ليس إخراج حزب الله من الحدود وقتله وإنهاء وجوده فحسب فلو كان هذا هو الهدف لبقيت في الجنوب حيث حزب الله، ولكنها أرادت أن تكسر روح المقاومة في النفوس العربية في كل البلاد وأن تحطم القدرة المعنوية لدى كل العرب حتى لا يفكر أحد منهم بغير الرهبة والخوف القاتل من قوة إسرائيل وجبروت أمريكا ثم الاستسلام الكامل لما تريده إسرائيل وتفرضه وما تريده أمريكا وتؤيده. هذا هو الهدف الذي سعت إليه الدولتان الأعظم كما يقولون للناس.

أما النتائج فقد كانت عكس ذلك فقوة الإرادة لدى هذه المجموعة القليلة من الناس الذين صمدوا هذا الصمود الرائع أحبطت إرادة القوة مع الحق المشروع والتوكل على الله، وتراجع الذين يملكون القوة ولكنهم يفقدون قوة الإرادة.

ستُقْرأُ نتائج هذه الحرب قراءات كثيرة ولكن قراءة واحدة ستكون باقية وهي أن الإرادة الصادقة والعقيدة الراسخة في النفوس المؤمنة بحقها ووجودها أقوى من كل الأقوياء وأن الشعوب العربية والإسلامية لها كلمة كتبت هذه الحرب سطراً منها اليوم[1].

(1) اليمامة: العدد 1920، السبت 25 رجب 1427هـ.

www.mtenback.com

الجريمة النوعية

تقرأ في صحافتنا المحلية صوراً في سلوكيات الناس وأحداث الحياة، وتسمع مثل ذلك في المجالس والمنتديات، ويؤكد الناطقون الرسميون في المؤسسات حدوث نماذج من الجرائم تقع في محيطنا الاجتماعي، تحك تلك الجرائم سكونه وأمنه وهدوءه. وتصبح قراءة الأخبار عنها أكثر ألماً وجرحاً للنفس الطيبة المطمئنة. ولا بد أن يقع المتابع لما ينشر في دائرة الشعور الساخط لفظاعة تلك الجرائم ولا سيما عندما يتأمل بشاعتها وكيفية حدوثها ونوعها، وتنوّع ضحاياها ومنها ما يستفز الشعور ويجرح الوجدان، بل يثير الرعب في المجتمع الذي تحدث في وسطه تلك الجرائم النوعيَّة التي يصعب قبول أسبابها، و يستطيع المرء أن يقف أمامها محايداً أو غير متفاعل مع ما تنقل إليه وسائل الاتصال، من هذه الأنواع وهو تفاعل يشل حركة الإنسان الذهنية ويحزنه، ولا يستطيع أن يعبر عن ذلك إلا بمرارة الحزن وسطو الفجيعة لتلك النماذج من الإجرام.

قرأت مؤخراً خبر إحراق فتاة بالأسيد، ورأيت صورتها منشورة قبل الإحراق وبعده، جريمة نوعيّة في وقوعها ونوعية في ضحيتها ونوعية بمرتكبتها، مثيرة للشعور والتعاطف مع تلك الصورة الأولى كما صورها الخالق، والأخرى التي عبثت بها يد الإجرام، فأفقدت الإنسان آدميته وقيمته وأبقته معذباً في نفسه ومعذِّباً من حوله، بل معذّباً حتى لشعور المجتمع الذي رأى تلك الصورة في حالتيها أو قرأ ذلك الخبر الذي يشرح تفاصيل الجريمة وظروف وقوعها. ومثل تلك الجريمة، جرائم لا تقل عنها وحشية واستفزازاً نسمع عنها ونقرأ أخبارها، ويقع أكثرها على أضعف حلقات المجتمع، الأطفال والنساء والغرباء والضعفاء، بل قد لا يسلم منه حتى غير هؤلاء، إن نماذج الجريمة التي تقع في محيطنا الاجتماعي المطمئن، وتحدث بيننا، مرعبة بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، ومخيفة ومقلقة مهما كانت أسبابها ودوافع ارتكابها، ومهما كانت الظروف التي هيأت لها أو ساعدت على حدوثها. إن التفنن في التعذيب وطرقه واستعمال آلات الإيذاء الجسدي والنفسي من قبل نماذج من المجرمين نساء ورجالاً، يوجب البحث عن كوابح مانعة لهؤلاء المجرمين العتاة، واستقصاء الأسباب التي تبعث على مثل هذه الجرائم ومراقبة الأشخاص المحتمل قيامهم

www.mtenback.com

بمثل هذه الأعمال والجرائم وإبعادهم عن دائرة المجتمع حتى لا تتكرر الجريمة ويقع مزيد من الضحايا الأبرياء الذين لا حول لهم ولا قوة في دفع ما يواجهون من صور الابتلاء والاعتداء[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2054، السبت 29 ربيع الآخر 1430هـ.

www.mtenback.com

أولاد الرأس

قبل عدد من السنين كنت أزور أمريكا بين الحين والآخر للتسلية وإهدار الوقت وقضائه فيما يرى الإنسان ويسمع عن العالم الجديد. واليوم أزورها وأنا أسابق كل ثانية من الزمن من أجل حياة من لا تطيب لي الحياة بدونه، كان معي في الرحلة الأولى زميل لا تملُّ صحبته، وفي إحدى هذه الرحلات داخل أمريكا كانت الدليلة فتاة بليغة المنطق حسنة المظهر تسهب في وصف المواقع والآثار وتغطي التفاصيل والأحداث وأسماء الأماكن التي نتوقف عندها، وفي وقفة للراحة بدأ صاحبي يشاغلها بأسئلة وتفاصيل أكثر مما نحتاج معرفته حتى خشيت أن تدخل أسئلته إلى مناطق حرة لا تحمد عقبى الإجابة عنها، فناديته لرفع الحرج وسارعت هي بقولها: «اسمع ما يقول عمك»، طار بهذه الكلمة فرحاً وسجلها ضدي وجعلها حجة لطراوة شبابه وتقدمي في السن على الرغم من أننا الاثنين من أصحاب (7/1) وهو يسبقني بسنوات عدة، إلا أنه يحيل ذلك الفارق بيننا إلى التزوير بالوثائق الرسمية والواسطة، وهو مؤمن شديد الإيمان بفاعليتها وتغييرها للأحوال.

أما في هذه الرحلة فصار الأمر أكبر من ذلك وحمدت الله أن صاحبي لم يكن معي ليسمع الطبيب وهو يفحص الدكتور محمد ويلتفت إليّ مبتسماً: ابنك بخير، هل هو أكبر أولادك، وكم لك من الولد غيره؟ هذه المرّة لم تعد الأمور ضبابية كما هي مع فتاة الرحلة بل هي محسوبة بالأيام والفارق أحد عشر شهراً، ولم يكن (7/1) هو الحاكم فيها، لكن القائل طبيب عدل في التقدير، فلم أستطع جواباً أفضل من الألغاز والإقرار بعدد الأولاد، وأن لي أكثر من عشرة آلاف ولد غيره. وأكدت له ذلك بما يقنعه من الأيمان. فقال لا شك أنك صادق، وثقافتكم أم العجائب فما معنى أن يكون لك هذا العدد الكبير من الأولاد؟ إنه لغز، فأخبرته أن أستاذنا الدكتور شكري عيّاد كان يدعونا أبناء رأسه وهو ينقل ذلك عن أستاذه أيضاً، وسجلها في سيرته الذاتيةن فقال إن لي في جامعة (تولين) أولاداً أكثر عدداً من أولادك على مفهوم ثقافتكم، لكن دعني أكتبها حكمة شرقية، ولم يترك الأمر للمجاملة المعهودة عند القوم عندما يتحدثون مع أمثالنا الذين لا يخطئون بشيء. ثم قال ألا ترى أن هذه الدعوى بالأبوة توحي بالمنّة والاستغراق بالذاتية المفرطة مع

www.mtenback.com

أنها قد تحمل الوجه الآخر الذي تريد أن توجهها إليه؟ لكن في ثقافة تقليدية شرقية قد يكون لها معنى، أما ثقافتنا فهي ثقافة متسائلة تقلب الأمور على وجهها، ولا تبالغ بالأشياء ولا تسمح بكثير من المجردات التي تسود في الثقافات القديمة، هنا الحدود واضحة بين الأشياء ولا يقبل التجاوز حتى في معاني الكلمات ودلالات الألفاظ، سكت طويلاً وحمدت الله أنني لم أخبره بالحكمة الأخرى (من علمني حرفاً) المشهورة عندنا وإلا لصار الأمر أكثر تعقيداً بل قد يجر إلى المساءلة القانونية تحت بنود مكافحة الإرهاب، أو الدعوة إلى الاسترقاق[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1944، السبت 29 محرم 1428هـ.

www.mtenback.com

يموتون ويقتلوننا!

هؤلاء الذين يموتون ويقتلوننا معهم، يموتون بلا سبب للموت ويقتلون بلا سبب للقتل، ترخص أعمارهم عند أنفسهم حتى تكون هدراً لا قيمة له، ويرخص الإنسان منهم على نفسه حتى لا يجد لها خيراً في رأيه من النهاية المؤسفة، يموت هو شعوراً ووجداناً قبل أن يقدم على قتل الآخرين وقتل نفسه، رغبة هستيرية في الخلاص من الحياة للقاتلين قبل من يريدونهم للقتل. يسهرون الليالي في الخوف والوجل والترقب يبحثون عن أسباب الموت ويتركون طريق الحياة.

هؤلاء الذين يموتون بلا سبب ويقتلوننا معهم ليس قتلاً مادياً فحسب ولكنه قتل للقيم والأخلاق والمبادئ، بل قتل للهمم وقتل للعواطف الكريمة، وقتل لسماحة الإسلام ورحمته التي وسعت كل شيء. يقتلوننا وجدانياً وعاطفياً عندما نرى وجوهاً نعرفها وسنحة نألفها وأسماء لا ننكرها. هؤلاء القاتلون المقتولون أبناؤنا عاشوا بيننا وتربوا في أحضان دين يدعو للعفو عن المذنب فكيف بمن لا ذنب له، دين يحرم دماء الناس ويحرم أعراضهم وأموالهم إلا بحقها، وتربوا في محيط عرف أهله بالسماحة حتى في الثأر عندما يكون ثاراً فكيف بهم وهم لا يأخذون بثأر ولا يقاتلون من أجله. يقتلوننا عاطفياً ووجدانياً عندما نرى ما يقدمون عليه من أعمال تنكرها الجبلة وترفضها أخلاق المرء مهما كان انتماؤه أو دينه أو معتقده. هذا القتل الذي نراه وهذا الإصرار عليه غير مألوف في بيئة أقرب ما تكون إلى الفطرة. وهي فطرة تعاليم دينها وأخلاق أهلها وقيم مجتمعها ترفض هذه الأعمال ولا سيما إذا كانت هذه الأعمال متجاوزة إلى إلغاء الثوابت من الدين والأخلاق والقيم. ولكن هذا كله لا يكفي الوعظ به ولا يكفي كل ما تعبر عنه اللغة من معاني الرفض القاطع للأعمال الشريرة التي تحدث في بلادنا وفي أيدي أفراد من أبنائنا ننكرها أشد الإنكار ونرفضها كل الرفض، لكن ذلك لا يكفي. بل يجب أن يكون معه بحث لاستقصاء مداخل الخلل الذي تسرب إلى أفكار هؤلاء وإلى عقولهم، بحث جاد يقوّم الواقع كما هو وليس كما يجب أن يكون. بحث في مفردات ومعاني الثقافة التي ننتمي إليها جميعاً ونتقبلها ونعدّها من ثوابتنا، ولكن ما يدركه المتلقي هو موضع الاختلاف وإذا لم يكن هناك بيان ووضوح وجلاء للدلالات والكلمات والمعاني والمقاصد، وما تؤدي إليه فسيكون لدى بعض المتلقين وَهْماً لا يخلص منه إلا من

www.mtenback.com

سلمه الله، إن ثقافتنا ثقافة تراكمية أثّرت فيها عصور من القوة والضعف والأحداث والأيام والقضايا وعصور أخرى دون ذلك وتناولتها عقول الرجال في كل زمن وفي كل حقبة من حقب التاريخ أعطت فيها رأياً وفسّرت فيها معنى وقالت ما يخدم ذلك الواقع ومقاصد المرحلة في أي زمن كانت.

واستظهار التراكم الثقافي دون علم بمقاصد الشريعة واعتماد آراء الرجال وأقوالهم في زمن غير زمانهم ومكان غير مكانهم هو مدخل للخلل الثقافي ومظنة للوهم الخاطئ الذي قد يكون ساق هؤلاء إلى ما هم فيه وأوقعهم في شباك الأوهام التي تقودهم إلى هذا المستوى من الفهم المغلوط وسوغ قتل أنفسهم وغيرهم، إنهم ضحية لأقوال يكررها بعضنا حتى هذه الساعة دون أن يدرك ما تفعله في عقول شباب لم يحصلوا على علم يقيهم خطر الانزلاق ولم يحصنوا بمعرفة تبين لهم النص وتنزله على الواقع الذي جاء فيه ومن أجله، هؤلاء الذين جبلوا على شحن النفوس الفارغة من الفقه، وهم آمنون في سربهم متكئون على آرائكهم محافظون على أولادهم يلقون أقوالاً يحفظونها ومعاني يرددونها مفصولة عن سياقها ومقطوعة عن دلالتها لا يدرون ماذا تفعل بعقول الشباب وأفئدتهم، ولا سيما في زمن مثل هذا الزمن وفي وضع مثل هذا الوضع الذي يعم العالم الإسلامي ويرى المشاهد فيه الغبن الظاهر[1].

(1) اليمامة: العدد 1835، السبت 28 شوال 1425هـ الموافق 11 ديسمبر 2004م.

www.mtenback.com

مرضي ومقبول

في كل عام تتكرر قضية القبول في الجامعات ومعها يتكرر البحث عن مكان للطلاب الذين أنهوا دراستهم بهذا التقدير، وهنا يأتي معنى هذا العنوان (مقبول) الكلمة الجميلة التي كنا نعبر بها عن الرضا عن الشيء أو الشخص أو الهيئة المناسبة، ولم يكن ذلك فحسب بل جعلتها العرب من أسماء الأبناء المحببة التي تدل مع الشكل على مفهوم الرضا، وقد سمي بها عديد من مشاهير الناس في الماضي البعيد والحاضر الراهن؛ لكن يبدو أن بعض المعاني أصبح يصيبها شيء من التغير والتحول الكامل، وتنالها عوامل التعرية التي لا تترك لها أرضاً تقوم عليها، رغم صلابة أصلها في اللغة دلالة وفي العرف معنى ومبنى؛ ذلك الذي أصابها في العهد الاجتماعي حوّلها من الرضا الذي كان لها إلى الرفض الذي أصبحت عنوانه والتأخر الذي يصاحب اقترانها بمعارف أخرى ومعاني جديدة حادثة صارت بعدها مكرورة لا تطاق مع مالها من جمال المعنى اللغوي.

أذكر قبل سنوات أن أحد طلاب الجامعة جاءني وهو في حالة من الغضب الظاهر على محياه، يرفع يديه محتجاً على أنه مقبول في درجات بعض المواد التي يدرسها؛ بل في مادة واحدة فقط من مجموع المواد التي حصل عليها، لم يكن باستطاعتي عمل شيء يداري غضبه من هذا المقبول غير محاولة شرح معنى الكلمة، وأنها حسنة في المعنى وإن كانت سيئة في النتيجة؛ لكن ما غير حديثي معه هو الاسم الذي تحمل أوراقه، فاسمه الأول مقبول واسم جده مقبول؛ مما جعل ذلك مجالاً للمداعبة والممازحة التي أذهبت بعض ما في نفسه، وخففت من مصيبته في التقدير الجامعي الذي حصل عليه.

أما الذي لم أتوقعه هو أن هذا الطالب تحول من غاضب منها إلى محتج لها ومدافع عنها، فحرر عرضاً طويلاً، يصلح بحثاً للتخرج يظهر فيه خطأ ترجمة مقبول التي تعتمد في التعليم، ومتحدياً أن يكون معناها يوافق ما يراد منها في هذا المجال؛ الذي يحدد الدرجات من الأكثر إلى الأقل، والصواب في رأيه أن تكون ترجمتها عبر أو اجتاز مقابل كلمة pass الأصلية حتى تكون مطابقة للمعنى الذي نقلت منه. هذا شأن الدرجات العلمية أما العملية فقد جاءت بكلمة (مرضي) في التقدير الوظيفي مخالفة لمعناها الجميل،

www.mtenback.com

فالرضا هو ما يطمح إليه الإنسان وأحسن حالاته عندما يكون راضياً مرضياً عنه والرضا درجة عالية في الجنة (رضي الله عنهم ورضوا عنه) إلا أنها أخذت مصطلحاً وظيفياً لا يوافق مالها من معنى محبب في النفوس، وتحولت هي الأخرى إلى ما لا يرضي ولا يقبل في الإنتاج والتقدير.

إن هذه المعاني وأمثالها التي أصابها العرف الحاضر بشيء من الظلم الاصطلاحي حوّل معناها إلى ضده ودلالتها إلى ما لا يصدق عليها؛ لكن قبل أن نجد موظفاً مثل ذلك الطالب يصحح لنا الخطأ في الترجمة فإن المشكلة قائمة عند آلاف الطلاب والطالبات الذين تخرجوا من الجامعات بهذا التقدير؛ وصارت شهاداتهم التي حصلوا عليها بعد سنين عديدة من الدراسة معضلة تواجههم أين ما ذهبوا للدراسة أو للعمل مع أنها درجة معتمدة في التقويم العلمي وشهادة بنجاح حاملها إتمامه لمتطلبات التخرج؛ ولكنها تبقى في رأي حامليها تسمية غير عادلة في الميزان الذي يحتكم إليه وهو النجاح الذي تستوي نتيجته النهائية وإن تفاوتت درجاته في التقدير، وكم من طالب حمل هذا التقدير عند التخرج وفاق أكثر أقرانه في العمل حتى من هو أعلى منه تقديراً[1].

(1) اليمامة: العدد 1968، السبت 21 رجب 1428هـ.

www.mtenback.com

الكتاب بين التوزيع والتوديع

من حق التاجر أن يبحث عن الربح ويطلبه ويسعى إليه، ومن حقه أن يسخر ذكاءه وقدرته في تنمية تجارته ولا اعتراض على ذلك، فالمرء لا يقوم بعمل إلا بقصد الفائدة من ورائه، وحب النجاح فيما يمارس أمر مركب في الغريزة. والربح في التجارة هو النجاح الذي يرجوه الإنسان. ومع حب البيع فهناك أخلاق للتعامل لا تجعله هو الهدف وحده، وليس كل تجارة تقيس نجاحها بمقياس الربح والخسارة، ولا يمكن أن تتجرد المعاملات كلها للجانب المادي دون اعتبار العلاقة بالآخر، وحب النجاح والربح قد يدفعان البعض إلى شكل من التعامل الذي يضر بالأسس المقبولة، ولهذا جاءت الأنظمة الاجتماعية والضوابط الأخلاقية للتعامل الذي يحقق الفائدة والمصلحة للطرفين، ويمنع ما فيه ضرر أو تجاوز لحدود المنفعة المتبادلة حتى لا يقع أحد الطرفين ضحية مطالب الآخر أو حبه للمال والكسب واستغلاله للظروف المواتية للإثراء على حساب حاجة المتعامل اضطراراً.

ولمراعاة هذه الحال والرفق بالجانب الأضعف حددت الأديان والقوانين والأعراف حدوداً يجب الالتزام من البيع والشراء ما يحقق مصلحة الطرفين المتعاملين، وحرم ما يلحق الضرر بأحدهما، وأشهر ما يذكر هنا هو تحريم الربا وهو نوع من أنواع المعاملات يحقق الربح الكثير لطرف والخسارة الكبيرة لطرف آخر مع أنه بيع ليس فيه إكراه بل يقوم على ضرورة الحاجة عند أحد المتعاملين حيث يقبل الخسارة لظروف لا يستطيع تغييرها ولا التكيف معها.

والاحتكار نوع آخر من المعاملات يدر ربحاً كثيراً لأحد المتعاملين ويحقق خسارة كبيرة للطرف الآخر ويخرج عن آداب التعامل المقبول في شكله ومضمونه ولذا كان الاحتكار ممنوعاً في كل التقاليد والأعراف والأديان والنظم الاجتماعية. وجب الربح والمال يدفع بالبعض إلى أن يحصر جهده في هذا الاتجاه وحده ويغفل عن الجوانب الأخرى التي قد تكون متضررة من تحقيق الربح على حسابها لا سيما إذا تحول الأمر إلى مبالغة وغلو في البحث عنه. وخوفاً من أن يحدث مثل هذا التعامل قامت مؤسسات تحمي المستهلك وتقيم التعامل المقبول الذي لا يتضرر منه أحد. وليست كل المعاملات خاضعة لمقياس

www.mtenback.com

الربح والخسارة بالمعنى المحدد. بل إن بعضها يجعل دائرة الربح في آخر اهتماماته. والكتاب الجيد وصناعته أقل المعاملات إدراراً للربح وأكثرها عناء وجهداً لا يقابله شيء ذو بال في التقدير المادي، وهو في حال أخرى بضاعة لابد أن تقوم بنشره وسائط بين المؤلف والقارىء تبحث عن الربح وتعتمد عليه، فكان الناشر والموزع أهم الأطراف في صناعة الكتاب والمستفيد من الجانب المادي. وقد كان المؤلف يشكر الناشر الذي لا يكفيه القليل ويطلب نسبة كبيرة من الثمن تبدأ من 25% إلى أن تصل عند بعض الناشرين 40% وقد عد المؤلف هذا المبلغ كبيراً مقابل الوساطة والتسويق. وشكا الناشر كساد الصناعة نفسها وعزوف القارىء عن الكتاب النافع وتحمله عناء بضاعة لا رواج لها ولقول كل منهما نصيب من الصواب.

ولكن يظهر أن الشركة الوطنية للتوزيع في المملكة أرادت تغيير الشكوى من الطرفين فجاءت لتحلها لصالح المستفيد الأقوى وتضمن للناشر الربح قبل عملية البيع فطالبت المؤلف بدفع ريالين عن كل نسخة تستلمها للتوزيع مقدماً بيعت هذه النسخة أو لم تبع، مضافاً إلى هذا المبلغ المقدم عمولة توزيع تبدأ من 30% إلى أن تصل 50% من قيمة الكتاب المباع مع دفع أجور النقل وغرامات للتخزين. أما المسترجع فإن الشركة الوطنية للتوزيع ليست مسؤولة عما يحدث له من التلف أو التمزق. وما اخترعت الشركة الوطنية من حل لكساد الكتاب أمر يتنافى مع قواعد التعامل والكسب فيكف إذا وجه إلى الكتاب واستغل جيب المؤلف لينفق كل شيء قبل أن يحصل على شيء.. إن الشكوى من كساد الكتاب وركود تجارته أمر يعرفه الناس، والشركة الوطنية عنما عملت هذا العمل بررته بما تعانيه من ضعف توزيع الكتاب وانصراف الناس عنه. ولا اعتراض على أن تبحث الشركة الوطنية للتوزيع عن الربح وأن تختار الكتاب الذي يدر عليها ربحاً وله رواج في السوق وأن ترفض الكتاب الكاسد وترده إلى صاحبه فهذا حقها وهذا ما كان يفعله الناشر وتفعله الشركة في عهدها الأول. لكن الاعتراض على أن تقوم بسن شكل من الاستغلال لم يعهده المتعاملون في التجارة كلها فضلاً عن تجارة الكتاب، وأن تطرح هذه الفكرة الجشعة في سوق مثل سوقنا يتلهف للكسب ويعمل له فتكون بذلك أسوة لغيرها ممن كان يحجم عن هذا الطلب حرجاً من الإقدام عليه لا جهلاً بوسائل الكسب، بل احتراماً لأخلاقيات التعامل. وإذا نظرنا من جانب آخر إلى الشركة

www.mtenback.com

الوطنية وجدنا أن لها وضعاً لا يسمح لها بمثل هذا البحث غير المقبول عن الربح باعتبار أنها شركة مملوكة لمؤسسات النشر الصحفية المدعومة من قبل الدولة ومن وزارة الإعلام خاصة وجميع الوزارات الأخرى. وأن هذه المؤسسات محمية من المنافسة منذ ثلاثين عاماً. وأغلبها يحقق أرباحاً كبيرة وأهدافها المعلنة والمرخص لها من أجلها يأتي في مقدمتها التنوير والتثقيف ورسالتها توجب عليها حتماً الاهتمام بالكتاب ونشره وتوزيعه وترويجه وإيصاله إلى القارىء أين كان، أو يجب أن يكون لها التزام أدبي نحو الكتاب بغض النظر عن مقدار الربح.

أما الشركة الوطنية للتوزيع نفسها، فحالها في السوق لا تسمح بشيء من قبول ما أقدمت عليه من اختراع للكسب لأنها من الشركات الرابحة كما تقول في نشرتها الصادرة في رمضان 1415هـ بل من الشركات التي حققت ربحاً لا أظنه تحقق لأي شركة في البلاد ولا يتحقق مثله في العادة، ويكفي أن الأرباح الموزعة لعام واحد تساوي رأس مال الشركة كله وتزيد عليه حسب ما جاء في النشرة على لسان مديرها العام إذ يقول: (إن صرف الشركة الوطنية للتوزيع لهذا الجزء من الأرباح يتم للعام الثاني على التولي، فقد تم في العام الماضي صرف مبلغ تسعة ملايين ريال على المساهمين وهو ما يعادل أكثر من مائة في المائة من رأس مال الشركة) انتهى. عام النشر والتوزيع ص 9، رمضان 1415هـ.

فالربح الموزع في عام واحد يزيد على رأس المال كله والجهات المستفيدة من الربح هي تلك المسؤولة عن الثقافة والتنوير والمدعومة من الدولة. ولهذا السبب كان الاعتراض على لجوء الشركة الوطنية للتوزيع إلى هذا العمل غير المبرر ولا المقبول وقد سبقني إلى الشكوى كل من الدكتور سعيد السريحي والأستاذ عبدالله جفري وإن كنت لم أطلع على رأييهما مباشرة بل علمت بهما من نشرة عالم النشر والتوزيع.

وإذا كان العاملون في الشركة توجهوا بكل حواسهم إلى الربح فلا عتب عليهم، إنما نتوجه بالعتاب إلى صديق الكتاب وصديق الجميع ومن نعرف اهتمامه بالثقافة العامة منذ نعوم أظفاره وزهده بالكسب المادي إذا كان على حساب المعرفة والعلم، وهو معالي الأستاذ أحمد صلاح جمجوم رئيس مجلس إدارة الشركة الوطنية للتوزيع ولا أدري كيف فات عليه هذا الأمر وكيف وافق عليه[1].

(1) اليمامة: العدد 1349، الأربعاء 28 شوال 1415هـ.

www.mtenback.com

أوروبا العلمانية

في مدينة متوسطة الحجم سألت، إن كان في هذه المدينة مسجد لصلاة الجمعة؟ فأخبرت أن فيها ثلاثة مساجد أو أربعة، تقام فيها الصلاة جميعاً، وزاد من سألت فأخبرني أن في هذه المدينة أكثر من ثلاثين مسجداً للصلاة غير الجامعة. وأن بلدية المدينة تقوم بالسماح بالمزيد لو دعت الحاجة إلى ذلك. بل أكثر من ذلك فهي تساعد في عمارة هذه المساجد وصيانتها وحراستها وأمن المصلين فيها، ولا يجد أحد حرجاً أن يطالب بحقوقه التي يضمنها له القانون كأي شخص يعيش على هذه الأرض، ما دام يلتزم بنظامها ويحترم قوانينها بغض النظر عن دينه وجنسه ولونه وما يعتقده.

وبحساب (الجمل) أو العد العشوائي إذا أخذنا هذه المدينة مثلاً وقسمنا عشوائية بعدد سكانها مع المدن الأخرى في هذه الدولة وسكانها فإن متوسط عدد المساجد فيها يزيد على ألف مسجد. كل هذا العدد الكبير من أماكن العبادة في دولة لا تدين بالإسلام، ولكها تدين في حق الإنسان في عبادته حريته في أن يمارس دينه الذي اختاره دون أن يضار في ذلك أو يُمنع منه. أثار هذا السؤال العارض في نفسي أشياء وأشياء بعضها له علاقة في التاريخ الماضي لهذه القارة العجوز كما يسميها الأمريكان، ذلك التاريخ البعيد بعض الشيء عندما كانت أوروبا دولة دينية.

ولنا نحن المسلمين معها تجارب مريرة إن لم تكن أشد من المرارة استمرت طويلاً في مشرقنا الإسلامي وفي الغرب الأوروبي، وهذا ليس مجال الحديث في هذه الكلمة فمجاله سيأتي في مقال قادم إن شاء الله، ولكن الحاضر اللطيف بظاهره – وليس لنا حكم على أكثر من الظاهر – هو موضوع هذه الكلمة اليوم: لماذا كانت أوروبا بهذا التسامح ولماذا كان الإسلام يتمدد في أحشائها ويتقاسم أهله القلة فيها الحياة مع أهلها الكثرة الذين لا يؤمنون به؟ هذا هو السؤال الذي تجمجم الألسن عن إجابته وتبتعد عن ملامسته حتى وإن كان هذا الجواب ظاهراً للعيان.

إن المسلمين والإسلام ظاهرة مشهودة في أوروبا وليس فيها فحسب، بل في كل أنحاء العالم الذين أقروا بنظام حرية الإنسان في عبادته وشؤونه الخاصة التي لا تتعارض مع حريات الآخرين وشؤونهم،

www.mtenback.com

وهذا وذاك حققته أنظمة العالم الحديث والتزمت به، وبهذه النظم انتشر الإسلام وبلغ مغرب الشمس ومشرقها محققاً وعداً جاء صادقاً (ليبلغن هذا الدين ما بلغت الشمس). ترى كم استفاد المسلمون من هذا التسامح وحققوا ما لم تحققه الحروب الطاحنة والمعارك الضارية[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2113، السبت 14 رجب 1431هـ.

www.mtenback.com

بين أهل الدثور وأهل الأجور

منذ القدم كان الصراع على المال وكسبه ديدن الإنسان على الأرض، يسعى كل إلى كسب المال وأخذ نصيبه منه، ويحرص كل الحرص على أن يكون حظه الأعلى، ولكن القلة القليلة من العاملين للمال وتنمية مصادره هم الذي ينجحون في سباق الثروة ويرتقون سلم الغنى إلى ما يريدون منه، أما الكثرة الساحقة فلا ينالون غير الكفاف أو ما هو دون الكفاف مع كل ما يبذلون من الجهد والحرص على الثروة، هذا الفارق الكبير بين الناس في القدرة على الأخذ أو الكسب جعلت قانون المال وقانون الثروة هم المجتمعات والدول التي تفكر في ضمان الحد الأدنى من العدالة في توزيعه، وعدم ارتكازه في أيدي قلة قليلة أو فئات محدودة، ولهذا سُنَّت التنظيمات والتشريعات لكي لا يكون المال دولة بأيدي المكثرين، وسلطة قائمة على رقاب المقلين والمعدمين، كل الشرائع السماوية والقوانين الاجتماعية حاولت وضع قانون عادل لكسب المال وحسن توزيعه، نجحت بعض القوانين والشرائح أحياناً، وقل نجاحها في بعض الأحيان. وحتى في حال النجاح النسبي الذي تحرزه فإن حب التكثر من المال يدفع إلى الاحتيال على تلك الشرائع والقوانين ويطاولها مع الزمن حتى يجد فرصة للمغافلة في بعض الأوقات، أو حتى الانفلات في أوقات أخرى؛ فتميل كفة القلة التي تتيح لها ظروفها الخاصة أو الواقع الذي يمر بها فرصة الاستغلال في مرحلة المغافلة عندئذ تحتجن نصيبها ونصيب الآخرين. فيختل النظام الاجتماعي، وتضطرب أحوال الناس ومقاييس الكسب المتساوية، أو المفترض أن تكون كذلك.

هذه كلمة لابد منها لتوضيح ما نمرُّ به في هذا الوقت من ظاهرة الاحتراف لجمع المال، وتداوله بطرق كثيرة بعضها لا يعتمد على قانون اقتصادي صحيح ولا تنظيم يضمن الحد الأدنى من الشرعية للكسب أو السلامة من الاستغلال والإثراء الممنوع. خذ ظاهرة المساهمات العقارية مثلاً، وما ترتب عليها من غرر واضح للناس وتجاوز لأنظمة جمع المال والاتجار به، وخذ عدد ضحايا هذه المساهمات والمتضررين منها وعدد المستفيدين منها، وهذا جانب يعد الأقل خطراً مع خطورته؛ لأنه عمل يخالف القوانين والنظم، ومنعه ممكن إذا انكشف أمره، لكن القضية الأخرى الأكثر خطورة هي أن تماهي الأنظمة

www.mtenback.com

واللوائح أهل الثروة والجيوب المتخمة بالمال على حساب الفقراء والعاملين المعدمين؛ مثلما حدثت في قسمة حصص بعض الشركات التي طرحت للاكتتاب.

وأخيراً: حين خصص لعدد من الأفراد لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة نصيب يساوي نصيب خمسة عشر مليوناً من المواطنين، مع أن هذا الاكتتاب والتخصيص ليس فيه أدنى حدٍ من المخاطرة، بل هو مضمون الربح مليون بالمائة، وطبقاً لذلك احتجنت جيوب مشحونة بالثروة وسالمة من المخاطرة أكثر من نصف نصيب الملايين، واستفادت هذه الجيوب، من التسهيلات المتاحة لتضاعف ريحها أكثر من عشرين مرة في يوم واحد. هذا مثال حي من أمثلة كثيرة تصب كلها في أيدي الذين يملكون المال أو يملكون سائله[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1858، السبت 20 ربيع الآخر 1426هـ الموافق 28 مايو 2005م.

www.mtenback.com

كم مساحة الوطن

تهتم الأمم بالأوطان ويجعلونها صورة لما في أذهانهم من دلالة الانتماء الكامل والأصالة الحقيقية حتى أصبح من المألوف أن تسمع صفة المواطنة هي الدالة على الانتماء الصادق، وهي محمدة يوصف بها الإنسان ويحمد عليها فيقال فلان وطني، وفلان عنده وطنية، وقد لا يغرب على أحد ما تعنيه كلمة وطنية بمفهومها الشامل ولا يغيب عن أحد أن الوطن احتواء وانتماء لجماعات وأمم لا يربطها ولا تقربها قرابة أو صلة إلا قرابة الوطن وصلته. والمواطنة لم تكن مدركاً حديثاً كما يظن بعض الناس اليوم. ولكن الوطنية حالة شعورية ملازمة لوجود الإنسان وقائمة معه، وهي إحدى مكونات الوعي الجمعي أو القومي، بل الوعي الحقيقي بالذات أولاً وقبل كل شيء.

وكل الأمم والأجناس البشرية تعانق معنى الوطنية الحديثة بكيفياتها وآلياتها التي تحقق صورة حية وبارزة في الأذهان، ولا تخلو مناهج التعليم ومباحثه من حديث عن هذه الصورة، وإن اختلفت مفردات تلك المناهج وتعددت أغراضها وتباينت الدلالات لمفهوم المواطنة والوطن. ولو طلب مني وضع منهج يحدد أسس المواطنة كما يجب أن تكون وكما أود أن أراها وأود أن يراها أبناء الوطن ويدركون معناها الحقيقي لما زدت على وضع مجسم لخارطة الوطن بكل التفاصيل والتضاريس والأبعاد الجغرافية ومجسم مثله لوجود الإنسان المواطن وعليه كل تفاصيل الحقوق التي له وآليات الوفاء بها، والواجبات التي عليه وملزمات القيام بها حتى يشعر الجميع أن للمواطنة معنى تحققه رغبة الإنسان المنتمي ويشهد له عمله وحبه لوطنه؛ وذلك حين يعرف أنه جزء مهم لا ينسى ولا يضيع، وأن كل موقع هو فيه مركز من مراكز الوطن، وأن الأطراف بكل أنوالنها وأشكالها وأبعادها هي قلب ومركز في مفهوم الوطن.

وتبقى المواطنة اسماً حتى يحققها العدل بين كل المواطنين والمساواة بين كل الأجزاء، ويبقى قبل ذلك وبعده حقيقة أبدية هي أن الإنسان ركب في جبلته وطبعه حب الخير لنفسه وركب مع هذا في الطبع والجبلة حب من قرب منه نسباً أو مكاناً وركب مع كل ذلك المحافظة على المكاسب الخاصة وحب الأثرة ومحصلة ذلك اختلاف وتفاوت؛ وهذه معوقات الشعور بالوطنية إلا إذا ضبطت بضوابط الإلزام واحترام

www.mtenback.com

الكفاءة والقدرة دون النظر إلى مؤثرات الأعراف والعادات والتقاليد الراجعة إلى الوراء قروناً[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1997، السبت 30 صفر 1429هـ.

www.mtenback.com

الوطن والمواطنة

بدأت علاقة الإنسان الأول فيما حوله بضروب من التوافق والاختلاف وفي الرغبات والثقافات والولاءات والانتماءات، واستمرت هذه المرحلة حتى عصر الدولة الحديثة التي اختصرت كل ما سبقها من روابط اجتماعية وثقافية وعرفية وغيرها من أشكال الروابط في رابطة واحدة هي المواطنة والوطن الذي هو مناط التكليف الاجتماعي والرابط الوحيد بين كل المنتمين إلى الوطن.

ونحن في هذه البلاد لسنا بدعاً بين الأمم، فقد تجاوزنا بانتمائنا الوطني كل صور الثنائيات التي كانت سائدة قبل ذلك لأن الوعي كان حاضراً في الأذهان لأهمية المواطنة وحقوقها وواجباتها بعد مرحلة من التردد بين المواطنة وغيرها من صور الانتماءات.

إلا أنه مع انتقال المجتمع في القرى والأرياف وهجرته الداخلية إلى المدن واستقراره فيها، كان المأمول أن يزيد الانصهار الاجتماعي بزيادة الاستقرار في المدن وأن تكون هي بوتقة الصهر الطبيعي للهوية الوطنية الواحدة الذي ينمو بنموها مجتمع مدني إنساني متكامل وأن ينبثق عن ذلك صلات وانتماءات على أساس المواطنة، إلا أن ذلك التجمع والتكدس الكبير في المدن وانجذاب الأطراف والأرياف للحواضر نقل معه – أحياناً – صورة الحياة القديمة والعادات والتقاليد التي كانت سائدة قبل الوحدة، وحملت هذه الهجرة معها رواسب الماضي البعيد الذي كانت الذاكرة مشبعة به منذ القدم، فبرزت ملامح الإقليمية والعشائرية ولكن بأسلوب جديد منظم ومختلف عن ذاك الذي كان في الماضي قبل عصر الدولة وإن كان يحمل معنى ذلك الماضي وأسلوبه مع اختلاف الحال بين الماضي قبل الوحدة والحاضر، نشأ عن هذه الحال ازدواج في المفاهيم الوطنية والحقوق المشتركة مما أضعف الانتماء للمواطنة، وعزز الانتماءات القديمة التي كانت معهودة لسكان الجزيرة العربية قبل أن تحمل اسمها الوحدوي المبارك (المملكة العربية السعودية).

لقد تقدمنا في التعليم وفي الاقتصاد والنمو السكاني الكبير واجتمعنا في إطار سياسي موحد ومع ذلك ظهرت العصبيات على كل مستوياتها وبرزت الولاءات لغير الهوية الوطنية العامة مما جعل الظاهرة

www.mtenback.com

للهوية الوطنية ظاهرة في ممارسات النخب الاجتماعية على كل مستوياتها، لا شك أن هذا الأمر سيعيدنا إلى تقويم الحراك الاجتماعي الذي سار بنا إلى أهداف متشعبة كثيرة الفروع والعصبيات، وسبب ذلك أن بعض النخب التي فازت بحظها في القوة البيروقراطية لم تنس التركيبة العشائرية والإقليمية التي كانت سائدة قبل عصر الوحدة، فاسترجعت موجباتها وقوانينها الاجتماعية، وأسرفت في مثل ذلك الماضي وطبقته على الحاضر المدني المختلف، ولن تخرج من العصبيات أياً كانت حتى نجعل انتماءنا كله للوطن والمواطنة ونضرب صفحاً عمّا سوى هذا الشرط الذي يجب أن نحقق مفهومه، ونرفع شأنه فوق كل شأن واسمه فوق كل الأسماء إنه اسم الوطن وصفة المواطنة[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2058، السبت 28 جمادي الأولى 1430هـ.

www.mtenback.com

الفالح والكبد المقروحة

كان الشاعر العربي القديم يحلم أو يتمنى عندما عرض كبده المقروحة للبيع بكبد غير ذات قروح قائلاً:

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كـبـداً لـيـسـت بـذات قـروح

لكن ذلك الشاعر القديم لم يخطر بباله أن ما يتمناه سيكون حقيقة ثابتة تباع فيها الكبد المقروحة بأخرى سليمة وتوهب وتعطى بل تجزأ فيعطى جزءاً ويترك آخر للعمل والقيام بالوظيفة المعملية التي تقوم بها الكبد كاملة. مناسبة هذا الكلام هو ما صدر حديثاً في سلسلة كتاب الرياض بعنوان (أمراض الكبد) للبروفيسور فالح بن زيد الفالح والمؤلف الطبيب أحد القلائل في هذه البلاد الذين مارسوا الطب بمهنية عالية ومنهجية عرفها له زملاؤه ومرضاه وعرفتها له المراكز البحثية المتخصصة في الجهاز الهضمي ومن حسن الحظ أن فالحاً وعدداً قليلاً معه ممن درس في الغرب ثقفوا منه ممارسة الطب بل مهنيته وفلسفته وارتبطوا بالجانب البحثي الذي تفرزه نتائج الممارسة الإكلينيكية وكل من عرف فالحاً عرف اهتمامه بجانب البحث وقيادته لفريق بحثي متميز أجرى دراسات ميدانية في البلاد وحدد أنواع الأمراض الساندة فيها ولعلنا نذكر جميعاً التطعيم الإلزامي للمواليد منذ عشرين عاماً ضد أمراض الكبد فقد كان الفالح على رأس ذلك الفريق البحثي الذي اقترح التطعيم وطلب الإلزام به نتيجة لبحوث متتابعة وصلت نتائجها إلى وجوب القيام بالوقاية من المرض قبل وقوعه.

تناول فالح مشاكل الحياة ولوازمها وشارك في الإدارة عميداً ووكيلاً للجامعة وعضواً فاعلاً في مجلس الشورى ولم يشغله ذلك كله عن عمله الأساسي وتخصصه وحبه لمهنته فكان شرطه عندما تطلب منه المشاركة الإدارية ألا يحول ذلك دون ممارسة المهنة وألا يشغله عنها شاغل، واليوم بشعوره وحسه المهني يقدم لمرضاه وقرائه كتاباً يعد حصيلة تجربة طويلة وخبرة عملية رائعة دبجه بلغة الطبيب الحاذق وبجمل مركزة شديدة الوضوح عالية التركيز مثلما هي كبسولات العلاج المركز وإذا كانت لغة البروفيسور الفالح بلغت حداً بعيداً من التواضع وإنكار الذات حين يتحدث عن جهوده فيلغي نفسه مشيراً. إلى جهود

www.mtenback.com

الفريق العلمي والمراكز العلمية والبحوث التي قامت بها فإن الجميع يعرفون أنه كان وراء كثير من هذه البدايات التي أشار إلى نتائجها في كتابه وتحدث عن عمل الفريق وبين في كتابه تواضعه عندما وصف عمله بأنه توعية وتثقيف صحي.

يرجو أن تساعد قراءته في فهم أفضل وصحة للأفراد والمجتمع، فجاءت آراؤه حيادية إلى حد بعيد تعرض للوصف العام وتظهر ما يجب أن يتخذ في حال الحاجة إلى ذلك مع التحفظ الشديد على النتائج وهو أمر يشعر القارئ بقناعة كبيرة على الأخذ بما قرأ والتفكير فيه إن الكتاب وصفة صحية يجب أن يكون في كل بيت فهو سهل القراءة واضح العبارة شديد الصلة بغرضه الأساسي وهو التوعية والتثقيف الذي أشار إليهما المؤلف. ويا ليت زملاء الدكتور الفالح في التخصصات الأخرى يلخصون للناس تجاربهم ونتائج أعمالهم لتكون لنا ثقافة صحية نافعة ومفيدة كما فعل هو.

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) [1].

(1) اليمامة: العدد 1776، السبت 8 شعبان 1424هـ الموافق 4 أكتوبر 2003م.

www.mtenback.com

الأديان والإنسان

يتحدث اللسانيون عن ثلاثة آلاف لغة يتكلمها الناس اليوم، وعن عدد أكثر من ذلك بكثير عن لغات بادت ولم يبق لها أثر، وبعدد اللغات المعروفة كان هناك تصورات للحياة والموت والقيم التي تحكم الإنسان وجوداً وعدماً وبداية ونهاية، في كل لغة تجد تعبيراً عن قيم الإنسان وفضائل الأعمال التي تقوم عليها صلات البشر بأنفسهم، وبما هو متصور لهم ومؤثر في حياتهم أو منطلق من مفاهيمهم وتفكيرهم؛ وكانت الأديان السماوية والبشرية هي أرقى ما تصوره الإنسان لحياته وقيمه وصلته فيمن حوله وما يرتبط به، واتخذ ذلك التصور قانوناً يحتكم إليه؛ ولكن اختلفت التصورات وتباينت المفاهيم والمدارك بمقدار ما تسعف به مفردات اللغة ومتراكم الثقافة التي يكتسبها الإنسان وينميها المجتمع الذي يعيش فيه؛ ولكن علاقة الأديان ببعضها وتوافقها في أشياء واختلافها في أشياء أخرى كان هو ميدان جدل الفلاسفة والمفكرين، ولعل أشهر من نظر إلى هذه الصلات بين الأديان والتصورات وعبر عنها هو فيلسوف المعرّة أبو العلاء المعري، فله في توافق الأديان واختلافها رأي سطره في شعره ونثره، وقد لا يتسع هذا المقال لذكرها أو نشر شيء منها؛ وإنما الإشارة إليها؛ وهي معروفة مدركة عند عامة المثقفين فضلاً عن خاصتهم.

ولم يكن أبو العلاء هو من تناول جدلية الأديان والإنسان؛ وإنما كان ذلك ميداناً واسعاً جرى فيه كل الفلاسفة بل كل الناس، ومن من الناس من لم يكن له رأي وإحساس في وجوده ومآله؛ إنما وجبت الإشارة إلى الفلاسفة؛ خاصة لأن لهم نظرة تعلل بها الأشياء وجوداً وعدماً ونفعاً وضرراً، ومحور ذلك هو الإنسان الذي جرت كل تصورات الفلاسفة القدماء ورجال الدين في الأديان المعتبرة بكونه مرتبطاً بوجود خارج ذاته ومسير بقوى تكبره وتقهره وتؤثر فيه. حتى جاءت الثورة الفكرية في الغرب التي بدأت طلائعها منذ القرن السادس عشر الميلادي، حين ناقشت آراء الفلاسفة ونظرياتهم وجعلت للإنسان مكانة أكبر في الوجود وأهم مما أعطته له تصورات الفلاسفة، فاستعاد الإنسان مكانه ودوره وأصبح هو مركزاً مهماً فاعلاً فيما حوله مستقلاً بفكره ومستغلاً لقدراته العقلية والذهنية؛ وانطلق ما رده فيما نشاهده اليوم في تقدم قَلَب الحياة وغيّر الواقع وأبهر في مخترعاته وإبداعاته وتسخير ما في الكون لسعادة الإنسان، وحتى

www.mtenback.com

لشقائه؛ لكن ذلك لم يتم إلا حين أن فكر في ذاته واستقل بمواهبه وقدراته وصدق الله (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ولم يكن ذلك مجافاة للدين، بل موافقة لما يوجبه.

ومجتمع الأديان الذي عقد في أسبانيا مؤخراً مصدق ذلك لا مكذبه[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2019، السبت 8 شعبان 1429هـ.

www.mtenback.com

مفردات أورثتنا التردد

تربينا منذ زمن على أن (الكلام من فضة والسكوت من ذهب) والبلاغة هي الإيجاز، هذه المفردات وأمثالها أصابتنا بالعي وأورثتنا التأتأة وعلمتنا التردد في القول والبيان في العبارة وعرضت مفاصل الكلام لدينا للشلل الكامل الذي يصيبنا عند البحث عن معنى أو رغبة في حديث عنه، صرنا نرى الخطأ الفادح منّا ومن حولنا وبين أيدينا ومن خلفنا فنلوذ بالصمت ونردد العبارات المأثورة في ذاكرة التاريخ ونعيدها ونسلي أنفسنا بالصمت ونقول الكلام من فضة والصمت من ذهب حتى وصل بنا الأمر إلى مرحلة متقدمة من الخرس الطوعي الذي لا يستقيم معه لسان ينطق ولا يتأتى معه معنى يصيب عندما تضطرنا الحياة وظروفها إلى الكلام.

سكت الذين يستطيعون القول فصاروا يبحثون عن جملة لا تغضب أحداً فلا يجدونها، ومفردة لا تثير مسكوتاً عنه فلا يعلمونها، فقالوا: هذه جملة غير مناسبة، وذاك مكان غير مقبول الحديث فيه، وهذا الكلام يثير الشك، وتلك العبارة تدعو إلى المحذور، وهذه تفهم فيما لا يراد منها، فتعطلت كل الكلمات والعبارات القابلة للتداول ووضع بعض الناس الرقيب على نفسه في الوقت الذي تملأ فضاءنا الواسع عبارات ولغات تناقش كل شيء وتحاور في كل شيء، تقول وتصيب، وتقول وتخطئ، وتتحدث بالنيابة عنا وتعالج كل حادثة وتبرر كل نازلة، حتى ما نفضل السكوت عنه أصبح موضوعاً للمناقشة ومعرضاً للحوار، ونحن ما زلنا نفضل السلامة حتى لا نغضب أحداً ولا ينتقدنا أحد، فأيهما خير، أن نتكلم عن قضايانا أو يتكلم الناس عنها.

استحضرت هذه المعاني بعد جملة عابرة موجزة وردت على لسان أحدهم – في مجلس حضره عدد من الزملاء – عندما قال موجزاً في العلانية ما كان يردده الناس في السرية (من أطال الصمت عن الباطل، أساء الكلام في الحق)، فصاح أحدهم أرجوك سجل هذه العبارة الجديدة، واجعلها تحل محل كل

www.mtenback.com

المأثورات من كلامنا الذي ورثناه ودرسناه ورددناه كثيراً[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1822، السبت 19 رجب 1425هـ الموافق 4 سبتمبر 2004م.

www.mtenback.com

الكتابة على الحافة!

هذا الكلام مأخوذ بتصرف من عنوان سيرة أستاذنا الدكتور شكري عياد رحمه الله، وهو عنوان أراد أن يوضح به حياة مجتمعه وحساسيته للأمور وتغييره لما يراه أو يقع تحت إدراكه فاختار العنوان بهذه الدقة، وهو عنوان يصدق على ممارسة الكتابة عندنا حيث لا يستطيع الكاتب إلا السير على حافة المعنى وملامسة أطراف الحديث والإشارة من بعيد إلى ما يريد أن يقول أو ما يود أن ينقل إلى قرائه عندما يخطر على باله رأي للكتابة أو موضوع للمناقشة فهو محتاج إلى ذلك السير على أطراف الشوك كما يقول المثل العربي القديم، لأن الخيارات أمامه غير كثيرة، وإذا شاء أن يدخل إلى صلب موضوع الكتابة تعرض إلى محاذير ترده عن البيان والإفصاح التي قد لا تكون مقبولة في بعض الأحيان وغير محببة في أحيان أخرى عند من يعنيهم بالكتابة، فيضطر إلى السير البطيء على مسافة بعيدة من المراد الذي يشغل باله أو يود أن يظهره للناس، يكتب في دلالات المعاني ومنحدرات الطرق الكتابية ويأخذ يميناً فيما يود أن يسمع الناس أو يساراً فيما يريد أن يقرأ. بهذه التعرجات والانحرافات عن المقصود من القول المباشر لا يستطيع إلا الكاتب الذكي المحترف أن يمرر بعض أفكاره ويسلم بجلده من سياط النقد الاجتماعي الذي يرصده فيفسر ما يعنيه ويضيف ما يريد قوله إلى ما يجب أن يقول.

أصبحت في بعض الأحيان لغة ما وراء الكلمات هي الممكن يعرضه الكاتب ويتلقاه القارئ بعدد من الاحتمالات والتفسيرات ما يصدق على ما يريد وما لا يصدق على شيء، وإذا كانت رسالة الكلمة وقيمتها هي البيان والمباشرة مع المراد فإن القليل من المتلقين هم الذين يحتملون هذه المباشرة ويتقبلون تبعاتها ولا سيما إذا كان موضوع الكتابة يتناول قضايا الحياة التي ترتبط بأشخاص أو جهات أو أفكار يختلف معهم الكاتب ويجد نفسه بحاجة إلى مناقشة آرائهم.

يهرب البعض إلى التعميم بدل التحديد للمشكلات فتصبح رؤيته للقضية التي يناقش غير دالة ولا مفهومة ويصبح التعميم الذي يريد أن يمرر رأيه من خلاله ضياعاً للمراد من التوجيه أو إسقاطاً للرأي الذي يحرص الكاتب على إيضاحه.

www.mtenback.com

إننا بحاجة إلى الوضوح والمباشرة في أكثر قضايانا وبحاجة إلى تعويد الناس قدراً من تحمل وجهة النظر الأخرى وحرية الكلمة فيما هو موضع للخلاف، وأكثر الناس ينادون بحرية الكلمة وقبول الرأي وإن اختلفنا حوله وإذا كانت هذه المناداة نرية إلى حد ما عند الكثير ممن ينادي بها فإن ما نحتاجه ويحتاجه الذين يرون الكتابة همّاً من همومهم وضرورة من ضرورات حياتهم هو الاستفادة من هذا القبول المبدئي للرأي الآخر وتوسيع دائرته وعرض ما يراه من نختلف معه على أنه من قبيل هذه الحرية التي ينادي بها. ويحبذ عملها، ولابد أن يتعود الناس على ممارسة حدود معقولة من الصراحة ومناقشة الآراء دون التواء أو مجاملات تضيع معها الحقيقة بدل الإيماءات والإشارات المبهمة التي تملأ مساحات كبيرة ولا تعبر عن معنى محدد. الخلاف في الرأي والدفاع عن وجهة النظر بالضوابط المتعارف عليها قيمة لا يجب أن يتنازل عنها الناس لأن ذلك الخلاف إثراء للمعرفة وتنمية للفكر ومجال رحب للاجتهاد الذي تقوى به قدراتنا على التسامح ويستمر الإثراء المعرفي[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1851، السبت 30 صفر 1426هـ الموافق 9 ابريل 2005م.

www.mtenback.com

قلب الحازمي

يشغل القلب بهموم الناس حين تنداح في دائرة الحياة وتتوزعه الأهواء فيصيبه الحب مرة ويخطئه أخرى، وتلامس الأغراض التي تتجاذبها الأهواء القلب الذي اختلطت به أحوال الدنيا وتحولاتها، فيعمر ويصمد لأن كل حالة من حالات الأهواء تجدد سابقتها وتصفي القلب من تبعات التراكم، فيتغير الدم الجاري ويأخذ القلب المتقلب نشاطاً يعيش به وينسيه متاعب ما سبق فيستمر يطرد غرضاً من الأغراض الكثيرة بغرض غيره فيتراوح بين أعراضه من حب مرة وطمع وميل وانحراف وإقبال وأدبار مرات أخرى وهكذا دواليك القلوب والناس.

أما ذلك القلب الذي لا يعرف غير الحب ولا يتسع لغيره من الأعباء فلا ينال ميزة المراوحة بين الأشياء التي تجدد نشاطه وتزيل عنه الرتابة الدائمة والهم الثابت فيتعب لا شك ويتألم وقد يتوقف عن الحركة ويحرن كما تحرن الدابة. وعلى الرغم من أن الحب داء القلوب العظيمة التي تشرق للحياة وتغني للناس انغام السعادة ولو فاضت دموعها من مآسي الذات الخاصة فإن القلب إذا امتلأ حباً عاش على إشراق ذلك الداء وجرس الغناء، وبالمقابل فإن أصحاب القلوب العمياء يستمدون اللحظات المشرقة من شعاع الحب الذي فاضت به قلوب غيرهم، وكلما أربد الظلام في هذه القلوب العمياء انبعثت من الذاكرة أشعة إلى ذلك الوجدان العامر بالحب وعشقه فتناجيه لتلقي أعباءها عليه فيحملها مغتبطاً ولو كان في ذلك هلكته وقضاء نحبه فيخفف من غلواء القلوب المتقلبة بين عواصف البغض وأحقاد الحمقى ويسعد.. عندما يرى السعادة مرسومة على محيا غيره.

اتعب الحب العذري قلوب أهله وأرهق مداركتهم ولكنهم صبروا له وثابروا من أجل إشراقه في قلوب الآخرين فلم تغيرهم الحياة ولا قبلوا مقايضة الحب بطول السلامة ولم يصرفوا القلوب إلى أغراض الدنيا حتى تطول أعمارهم كما تطول أعمار الناس وتعيش كما عاشوا.. وهب العذريون قلوبهم للهيب الحب وجعلوها له دون غيره من الأغراض ورضوا بنتائج خلاصها من الشوائب ووصل الأمر بها إلى الاضطراب والتازم فأشرقت بحبها، وغنت له مع آلامها.

www.mtenback.com

ومثل حب العذريين وقلوبهم كان قلب منصور الحازمي خالصاً للحب وحده مملوءاً به دون سواه ولكنه حب للناس كافة وعذرية للمقاصد الشريفة التي يأبى منصور أن يملأ قلبه بغيرها من أغراض الناس وأهوائهم. لا أعلم الغيب لكنني أشعر أن نقطة الضعف (فسيولوجيا) في منصور هي قلبه الكبير المملوء حباً خالصاً لذات الحب على الرغم من سلامة جسده وصحة بدنه وحيويته الدائبة ونشاطه المتجدد الذي لا يتضعضع، كنت أشفق على قلبه مما يحمل من الحب وخشيت أن يثقله فيتعب ويتحامل عليه فيجهده، وقد فعل ولكن الله سلم فتداركه بفضل من عنده ليبقى الحب بلسماً للقلوب وأن أجهدها بمشقة الطريق الذي قلما يجد به رفيقاً يعين على السفر. عوفيت أيها القلب المحب ودامت ابتسامة الأيام على ذلك الثغر المضيء بحب الناس ونسيان أخطاء الدنيا ودمامة الواقع، وشفيت حتى تبقى نقطة ضوء تهدي السائرين في صحراء القلوب المجدبة[1].

(1) اليمامة: العدد 1281، الأربعا 4 جمادى الآخر 1414هـ.

www.mtenback.com

... وبعد

صدقوني: لست ضد المجاملة

قبل أسبوع واحد عقد في عاصمة عربية مؤتمر عربي كبير لوزراء التربية العرب، وموضوع المؤتمر التخطيط التربوي للدول العربية الناطقة باللغة العربية، واجتمعت الوفود العربية وخبراؤها وأهل الشان فيها والمسؤولون عن التخطيط للمستقبل ومنظرو الثقافة العربية اجتمعوا لدراسة أسباب النهوض للعرب وثقافتهم. جاء مع كل الوفود العربية رجل واحد من الغرب، يحضر المؤتمر بصفة مراقب، وما كاد هذا الزائر الكريم يحل عليها في مؤتمرها حتى تحولت اللوحات الإرشادية إلى صالات المؤتمر إلى لغة الضيف الزائر وهي الإنجليزية، وظهرت الملاحظات على كل المداخل باللغة الإنجليزية، وجاءت مواعيد الجلسات باللغة الإنجليزية أيضاً، وكتبت أسماء بني يعرب بالحروف اللاتينية، ورتبت ترتيباً أبجدياً انجليزياً ووضعت اللوحات التي تحمل أسماء رؤساء الوفود وبلدانها بلغة الضيف الزائر، وثبتت أمام وجوههم وتحت أبصارهم بلغة غير لغتهم. ليس فيها حرف عربي واحد. وتغيرت جداول الندوات حسب الترتيب الجديد، وغيّرت أرقام حجوزات المغادرة لبعض الوفود حسب ما حدث من تغيير لأن بعض الذين كان مقرراً انتهاؤهم في اليوم الأول حسب ترتيب الحروف العربية تحولوا إلى اليوم الثاني أو الثالث طبقاً لابتداء أسمائهم بالحروف اللاتينية.

حدث هذا للنخبة من العرب الذين يخططون لمستقبل العرب ومستقبل الثقافة العربية، وليس ذلك فحسب بل سارع من يحسن لغة الضيف الزائر إلى إلقاء كلمته بها ووجد الذين لا يحسنون اللغة الإنجليزية حسرة في نفوسهم إذ اضطروا للكلام بلغتهم العربية أمام هذا الضيف العزيز. وعُدّ هذا العمل ضرباً من المجاملة الواجبة وجزءاً من الإكرام وتقديراً له وتكريماً لبلاده ولغته.

وصدقوني أنني لست ضد المجاملة ومعاملة الناس باحترام يستحقونه بل اعتقد أن الأمر يتطلب في كثير من الأحيان شيئاً من المجاملة المهذبة واللياقة الجيدة التي ترضي غرور الآخرين وتشرح صدورهم، لكنني لست مع المجاملة إذا كانت تمس الثوابت التي نعدها فوق حدود المجاملة، وضد المجاملة حين يكون

www.mtenback.com

فيها إلغاء للذات ومحو للواقع وتنازل عن كينونة الإنسان العربي، ضد المجاملة عندما تمد ظل الأقوى على كل شيء. إذا صارت المجاملة تغض من الثقافة وتقزم الشخصية العربية فأنا ضدها. وإذا بلغت المجاملة الحدَّ الذي يطوي الآخر بظله ووصلت إلى ضرب من التجاوز فأنا ضدها وأنتم أيضاً. وضد المجاملة حين تلغي ثقافتي ولغتي وكياني أمام الآخرين. وضدها حين يتحول المُجاملُ إلى صورة باهتة أو ظل يتحرك وراء الأقوياء فلا يشعر بوجوده أو ذاته.

إن الضيف الزائر لم يطلب من منظمي المؤتمر ورؤساء الوفود العربية شيئاً ولا أظنه كان يطمع بهذا التكريم ولم يحسب له حساباً والدليل أنه لم يشكر أحداً على ما غيّر وعلى ما بذل من جهد. يمكن أن تكون المجاملة وتقبل في أشياء شكلية كطريقة الاستقبال من الثقافة وتضرب في العمق وتلغي ما يعتز الإنسان به وهو لغته وثقافته.

أما الشيء الذي فعله المؤتمرون، وهم يشكرون عليه فهو همس الحديث بعد كل جلسة والتذمر كلما اجتمع منهم اثنان والشكوى المرّة كما يقولون في ردهات الفندق وعلى هامش الندوات الرسمية. لكن لم يجرؤ رجل واحد منهم ولا امرأة من تحريك اللوحة التي رسمت أمام عينيه بحروف لاتينية ويصدها عن وجهه ولم يستطع واحد منهم أن يغير اسمه المنقوش في أحرف غريبة في البطاقة التي يعلقها على صدره.

(إنا لله وإنا إليه راجعون) [1].

(1) اليمامة: العدد 1311، الأربعا 20 محرم 1415هـ.

www.mtenback.com

رشوة الكلام

جلس يحدث عن فضائل الرجل التي أنجزها في عمله الرسمي ويذكر أحداثاً وقصصاً شاهدها أو عرف عنها أو حدّثه الآخرون الذين مرت بهم حالة مثل حالته أمام هذا الرجل المثال طيب لكل الموظفين والقدوة الحسنة لكل المسؤولين، أخذ يتشعب بالقول ويطيل الكلام ويشرح المواقف كلها بالتفصيل، والحاضرون يعمهم الصمت الطويل كطول حديثه، بعضهم يُظهر ضروباً من المجاملة والموافقة لما يقول ويصدق ما يزعم ويجاري الرجل فيما ابتلي به من الحديث المتسع عن هذا المأثل أمامه الصامت عمّا يسمع، والبعض الآخر مال إلى من بجانبه بحديث هامشي ليس بكل تأكيد موافقة للمتحدث ولا اعتراضاً عليه، ولكنه الانشغال بما يهم عما لا يريدون الإنصات إليه، والبعض الآخر أطبق الصمت على وجوههم، كان المجلس خاصاً بدعوة كريمة من رجل أحب أن يجمع بعض أصدقائه ومن تربطه بهم رابطة العمل أو الاهتمام بأمور عامة وهامة يكثر الحديث عنها في مثل هذه الاجتماعات المنزلية ويسري كل عن نفسه بأنه قال أو أنه سمع من يقول حتى وإن كان هذا الحديث كله المصيب والمجانب للصواب يذهب مع الريح ويتبخر مع أشعة شمس النهار التالي، لكن صاحبنا لم يرد أن يترك لهؤلاء المساكين الصامتين حتى فرصة البوح الخفي عما في نفوسهم وعما يريدون الحديث عنه، فقد كانت بلاغته وطلاقة لسانه عاملاً أسكتهم جميعاً، وكانت تربية المجاملة التي غرست فيهم تمنع كلاً منهم أن يقطع الكلام أو يعترض على القول، بل لم يستطع أحد أن يتدخل فيحول مجرى الحديث إلى شيء مهم أو نافع حتى ظن من يميل إلى سوء الظن أن الرجل مدسوس ليقول بالنيابة عنهم ويتحدث باسمهم أو يضع الفرصة عليهم حتى يشغلهم عمّا يريدون قوله أو عما أجمعوا على طرحه أمام هذا المسؤول الذي جادت به الأيام بينهم في مكان بعيد عن الرسميات والمنغصات، تنحنح أكثر من شخص وحكَّ ذقنه أكثر من واحد وحاول المقاطعة آخر وباءت كل تلك المحاولات الحييَّة بالفشل أمام هذا السيل الهادر بالمدائح. رفعوا أبصارهم إلى وجه الممدوح وكأنهم ينتظرون الحلَّ منه فقد أعجزتهم الحلول أو يقرؤون أثر هذا الهذر في وجهه إن كان له أثر، وجدوا أن صاحبهم لا يعبر وجهه عن شيء له أثر بما يسمع ولكنه مصغ باهتمام وكأنه مثلهم يريد أن يقول شيئاً لا

www.mtenback.com

يستطيع قوله فمشروع المدائح هو الأقوى.

وجاء الفرج عندما انطلقت كلمات واعية مسؤولة: شكراً أنت ترشوني بهذا القول ورشوة الكلام أخطر من رشوة المال. إن كان ما تقول حقاً فهو واجب لا أشكر عليه ومن يحضر هذا المجلس يعرفه أو يعرف بعضه، فهل نسمع من الإخوان غير ما سمعنا.

تهللت الوجوه وسالت الأحاديث بأعناق القضايا التي تجاوزتها المدائح السابقة وسمع الجميع كلاماً حسناً وقالوا ما هو أحسن منه وانتهى الاجتماع على مائدة متعددة الأنواع هي كل ما حصل[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1913، السبت 5 جمادى الآخرة 1427هـ.

www.mtenback.com

منصور الحازمي و(زمرته)

في تكريمه تسابقت الكلمات، جاء بعض المتكلمين يقطع مئات الأميال ليقول كلمة، وجاء بعضهم من أطراف الحي ليقول أخرى، مُليء البيت الكبير معنى ومبنى بأجيال من أهل الأدب وسعهم لطف المضيف الشيخ عبدالمقصود خوجة بصدر رحب غمر الجميع ببشاشة الاستقبال وكان كل منهم محتفى به لشخصه. جئت مع الركب وبدأ الحديث بكلمة لعمنا حسين زيدان لا فض فوه. وتوالت الكلمات من زملاء الرجل ومريدي أدبه فانصبت على ذكريات الجامعة وليالي القاهرة وأيام (دحلة) حرب. ففرحت أن طلاب الرجل وهم آلاف قد غابوا وأنا الحاضر منهم وعددت ذلك سبقا لنفسي في هذه الليلة عندما أتحدث عن جانب لم يطرقوه فسجلت اسمي في قائمة المتحدثين وأخذت اكتب هذه الكلمة:

لو أجزت لنفسي الحديث عن منصور كاتبا ما زدت على ما تعلمون ولو تحدث عنه شاعراً لقصرت عما تعرفون ولو وصفته أديبا لكنت كمستبضع تمراً إلى أرض خيبراً فأنت أهل الأدب. وأهل مكة أعلم بشعابها ولو وصفته مربيا لما زاد وصفي له عما يعرفه للرجل طلابه الذين تخرجوا على علمه وعرفوا فضله.

ولهذا فإن حديثي سيكون عن نفسي في ظل العلاقة الشخصية لا معناها وفي فحوى الزمالة لا مبناها، عرفت نفسي طالبا من طلابه في القرن الرابع عشر للهجرة وعرفته أستاذاً في جامعة الرياض في ذلك القرن فتعاملت معه على مبدأ الطلب وأدب التلقي وعرفت أن منصوراً لم يكن معلماً بل بان أسس لحركة ثقافية شمولية لا ينظر إلى موقعه فيها بمقدار ما ينظر إلى سواد الذين يستفيدون منها، يهتم بالمنطلقات العريضة لهذه الشمولية الواعية ولا يثقل كاهل أحد بدقة التفاصيل واختلاف صور الاجتهاد، يؤمن بتعدد الوسائل إلى تحقيق الغاية الكبرى لهذه الأمة بثقافتها الواسعة.

وأظن أن هذا هو السبب في أنه لم يشتبك يوما ما مع أحد في معركة هجائية أدبية أو شعرية على الرغم مما قد يوحي به بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا، مع ما وهب من سرعة البديهة ولذعة السخرية إذا أحوجه أحد لذلك عرف كيف يضحك ويضحك الآخرين.

www.mtenback.com

عرفت صدق أحاسيسه معلما ورغبته في أن يكون طلابه مناقشين لا مستمعين، يشعرهم أنهم يعرفون كثيراً ويحسنون ما عرفوا يحمل إليهم مكتبته الخاصة أحياناً ويبقى معهم الساعات الطوال في بحث مسألة لا يحتاج تحقيقها إلى أكثر من الاحالة إلى مصدر.. يحبب ما يقول إلى من يسمع لا يغضب ولا يتجهم كان وسيع البال وكنا نضيق بذلك أحياناً فنبتعد عنه لكننا لا نجد بداً من السعادة بالعودة إليه والتبجيل له وكلما لهونا عنه جرنا الشوق إليه ثم بعدت عنه بقية ذلك القرن وعدت إلى صحبته في القرن الخامس عشر للهجرة وفي جامعة الملك سعود في الدرعية، لكني لست طالبا هذه المرة بل زميلا، وضعوا زميلا هذه بين قوسين. عرفته زميلا فانكشف لي الجانب الآخر الذي لم أعرفه طالبا فعلاقة منصور مع زملائه حديقة غناء تنبت أرضها شوك القتاد وليس فيها هجير الصحراء ولا في رقتها ملمس الأفعى، ماؤها طيب وظلها يتفيأه أصدقاء الرجل ومحبوه وقد يكون معهم شيطان تغريه أو جاحد تغويه لكن منصوراً لا يقوم العلاقات الأخوية بمضامين التعامل اليومي، فيعانُ على الشيطان والانسان ويبقى منصور منصوراً.

أيها المكرم المحتفى به الليلة والمحتفى به غداً، أشعر أنك اتعبتني معك في السير وقد قررت ألا أصحبك بعد هذا القرن ولن ابتلع قرنا ثالثا. أما أنت فستعيش قرونا كثيرة لأنك أحببت الحياة وأحببت الناس وسلكت طريق الخلود بما تركت من آثار للدارسين.

فشكرا على حسن الصحبة وشكرا للأيام على حسن المصادفة وشكراً لمن كرم بك الأدب وكرمك به.

ولم أصل إلى نهايتها حتى أعلن مدير الحفل أن الوقت المخصص للكلام قد انتهى فرفعت يدي وصوتي محتجا وذهبت إليه راجيا أن يكون حديثي في الوقت الضائع – وقد كان – وأخبرته أن لدى الجميع ما هو أغلى مما أقول لكنني أتيت من الرياض لأقول كلمة فلم تفلح المحاولة، ولم أجد بداً من قراءة ما كتبت في طائرة العودة بعد منتصف الليل لنفسي فقط.

شعر بمرارة التفريط وخطا انتحال التواضع وصدقت شوقي بأن الدنيا تؤخذ غلاباً. وذكرت أنها لم تكن المرة الأولى التي أفشل فيها مع المحتفى به (وزمرته) كما سماهم أخونا فهد العرابي الحارثي تلك الليلة. كان الفشل الأول حين انتقلت الجامعة إلى مقرها الجديد في الدرعية وكنت أشارك في يوميات إحدى الصحف فأردت أن أذكر عنهم ما أعرف وجعلت انتقال الجامعة مناسبة للحديث أتعلث به. وجاء عنوان

www.mtenback.com

مقالي الجامعة الكبيرة والرجال الكبار، تحمست لكتابة ذاك المقال مثلما تحفزت للحديث تلك الليلة وذكرت منصوراً و(زمرته) بما أعرف عنهم، فخرج المقال لم يخرم منه حرف واحد غير اسم منصور وزمرته فحمدت الله على كل حال والسلام[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 1083، الأربعاء 8 جمادى الأولى 1410هـ.

www.mtenback.com

الكلمة الأخيرة

الكلام الأخير لم يقله أحد حتى الآن، ولكن الصحافة بمذاهبها الجميلة ولمحاتها الذكية تبحث عما لا يحدث فتجعله حادثاً، وقد اخترعت الكلام الأخير لصفحة تختم بها عدداً من أعدادها وتغري القراء مثلي بقراءة الكلام الأخير، أو محاولة قوله حتى يطمع فيه من يبحث عن الإبداع والإمتاع. وقد يكون من السهل على المغرر بهم أن يظنوا أنهم قالوا الكلام الأخير، في عصر من العصور أو لحظة من اللحظات، ولكنهم يفاجأون بالحقيقة المفجعة عندما يشعرون أن بينهم وبين الكلام الأخير آلاف الأميال الضوئية. كان الشعراء عندما يحشرهم شيطان الشعر، هم أشد الناس إحساساً بتوقف الشعر وسبق الأولين إلى كل معنى يمكن أن يخطر على بال الشاعر حين يحاول أن يخترق الحجب ويأتي بما لم تأت به الأوائل، وقد حرم هذا الهاجس كثيراً من الناس شرف الشعر ومجده لأنه كلما أحس بدفق العاطفة الجياشة في معنى من المعاني تذكر أنه مسبوق إليه وقيلت فيه الكلمة الأخيرة. وهو يخشى تكرار الأقوال واتهام الآخرين له، الذين لا يغيب عنهم ماضي القول وقد تعودت أنظارهم كشف المخبوء وبصائرهم شديدة القدرة على معرفة الشعر وهفوات الشعراء، حين يخضعونهم للمحاكمة النقدية. ولعل شاعرنا القديم قد اعتذر عن نفسه عندما أحس بوهج العاطفة يتوقد في وجدانه وخشي أن يقع في المحذور وفيما لا يجوز تكراره فاعتذر مسبقاً عما قد يحدث مما لا يرضى عنه أو مما يحسب عليه لا له. فشكا حاله وأعلن تبرمه قائلاً بيته المشهور:

هل غادر الشعراء من متردم

إنها منه توطئة جميلة، وحذر شديد أن يكون ما قاله شيئاً قد سبقه شبيه له ذلك إحساس شاعر مرهف، يخشى النقاد ويحذرهم عندما ينشد شعراً، إلا أن غيره كان أكثر منه جرأة في إعلان الحقيقة، حقيقة الشعر وتردد معناه وربما مبناه فأعلن أنه ليس إلا معيداً للشعر أو مستعيراً من شاعر فقال:

مــا أرانــا نقــول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

التقط النقاد البيت و«جيّروه» للشعر وحكموا على الشاعر حكماً خاصاً بمجال الشعر وزعموا أنه لم يقل إلا فيه، أما الحقيقة فإن هذا الشاعر المسكين كان يتحدث عن هم يومي وقضية عائلية بحتة وإشكال شخصي

www.mtenback.com

بينه وبين زوجته اللحوح المرددة للأقوال، فأعلن أنهما لا يقولان شيئاً جديداً. خطف النقاد المعنى الخاص وحولوه إلى المعنى العام نسوا قضية الشاعر الخاصة وأغفلوا الجانب الشخصي منها.

وقد يكون الشاعر في موجة الإنشاء الشعري وفي قمة الزهو الذاتي فيجر ذلك لسانه إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا عمنا أبو العلاء المعري يقع في مازق الكلام الأخير، فيقول:

وإني وإن كنت الأخير زمانــه لآت بمـا لم تستطعه الأوائـل

فوقع فريسة لألسنة حداد لأنه لم يحترز وقال قول المطمئن الواثق ومن سوء حظه أن النقد لم يمهله ليرد نَفَسهُ ويسعد بفخره، فتصدى له من في مجلسه قائلاً:

أتى الأوائل بأبجدية اللغة كاملة التي تنظم بها شعرك، فهل تستطيع أن تزيدها حرفاً واحداً.

ذلك حال الشعراء، وذلك حال النقاد وذلك حال الكلمة بينهما، وقد عاش الشعراء وعاش النقاد على عواطف القراء يضحكونهم ويضحكون عليهم، وعاشت الكلمة الأخيرة التي لم تأت بعد[1].

(1) اليمامة: العدد 1545، السبت 11 ذو القعدة 1419هـ.

www.mtenback.com

الأعياد

المناسبات العامة لها عند كل الأمم معان وأغراض شتى، وقد لا توجد حالة تحدد هذه الأغراض منفردة بها عن غيرها، ولا توجد مناسبة تعد عيداً إلا ولها عند من يحتفلون بها باعث وجداني خاص يميز أيامها أو لياليها وأوقاتها عن غيرها من الأيام والليالي والأوقات، وتختلف أهمية مناسبة ما عن أهمية مناسبة أخرى، عند الذين يقيمون هذه المناسبة أو تلك، وبتعدد عادات الأمم وتقاليدها، تتعدد الأعياد والمناسبات في زمانها وفي مكانه، ومع تعدد الزمان والمكان تختلف أهمية المناسبة التي تسمى عيداً، ويختلف من يعنيهم العيد ومن يبتهجون به ومن يحتفلون.

فهناك عيد يحتفل به فرد واحد، وعيد يحتفل به شخصان. وعيد لجماعة تقل أو تكثر بحسب مناسبة العيد وأهميته، وعيد للأمة بكاملها، وعيد لأمم شتى، وهذا النوع من الأعياد غالباً ما تكون أعياداً دينية لها شمول الدين وعموميته، والتزامه على كل الأحوال في مواسم ومراسم خاصة به عامة لمن يدينون بهذا الدين أو بذاك. وفي غير أمر الدين تكون الأعياد شأناً خاصاً يتكرر في فترة ما أو مناسبة قد تدوم، وقد تنقطع ويكثر المحتفلون به أو يقلون.

وغاية كل الأعياد هي بعث الفرح وجلب السعادة وتجدد النشاط الذي تعيده المناسبة وتذكر به وتحيي الأمل الذي يراد له الاستمرار والتكرار في وقته. ولأن الأعياد تتكرر بزمن ثابت وأحوال متغيرة، فقد صارت جدلية وظيفتها موضوعاً مهماً تتغير فيه النظرة إليها بتغير الأحوال التي تأتي فيها، فليس كل من احتفل بالعيد وأدركه وجده كما عهده واحتفل به وذلك شأن لا يد لأحد فيه.

وهنا تقوم المقارنة الفارقة بين حال عيد وآخر، حسبما يراه المسرورون بقدومه على حال يسرهم، والذين يجدونه مذكراً لهم بما لا يتفق مع ما يمر به من أحداث، والتراث الإنساني مملوء بمتناقضات الأحوال التي تجعل للعيد طعمه وتميز الفرح بمقدمه والاستمتاع به، وتلك الأحوال الأخرى التي تذكر به على غير ما يراد منه، ولهذا كانت الفرحة بالأعياد نسبية السعادة عند الناس حتى وإن احتفلوا بالمناسبة أياً كان حولها شكا الشعراء العيد في غير أحوال سروره وأقاموا المقارنة بين المتشابهات، ولعله لم يتردد

www.mtenback.com

بيت من الشعر في كل مناسبة عيد مثلما ردد الناس منذ أكثر من ألف عام بيت المتنبي ذائع الصيت (عيد بأية حال عدت يا عيد). وكأن هذا البيت المعجزة رئة يتنفس بها كل من مر عليه العيد في غير ما يريد، وما أكثر الأعياد التي تمر بما لا يسر فيكون التعبير عن الحال الخاص الذي لقيه الشاعر هو حال عام تعبير مفرداته عما في نفوس الناس وتثير خواطرهم وتسري عنهم بلغة شاعرية ما يجدونه عندما يكون العيد متجاوزاً الحال التي جعل لها. ومثل عيد المتنبي كان عيد ابن عباد (أقول للعيد لا عادت مساءته) وغيرهما من الشعراء والناس رأوا في العيد مثلما رأيا وإن لم يبلغوا مبلغهما بملكة الشعر التي بعثت مكامن النفس واتشحت بمتغيرات الأحوال.

ولا شك أن العيد في أصله فرح وسرور ولهذا فإنني أرجو لكل من عاش أيام العيد أن يتذكر السعادة في نفسه ويحييها في ذاته وينشرها على من حوله، وجعل الله أيام قراء اليمامة خاصة، وكل الناس في عيد لا تنغصه الذكريات، وكل عام وأنتم بخير ما يأتي به العيد من أفراح[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2172، السبت 27 رمضان 1433هـ.

www.mtenback.com

المصطلح واختلاف الزمان والمكان

لا يمكن غض الطرف عما يحدث في المنطقة العربية وفي ما حول دول الخليج من أحداث جسام وانفلات في زمام الأمور والأمن في كل من العراق والشام واليمن وغير ذلك من بؤر الفتن والاضطراب واختلال الأمن في مساحة حدودية كبيرة تحيط بنا من كل جانب؛ فأصبحت تلك البلاد وحدودها المفتوحة مرتعاً وملاذاً لجماعات الفتن والتخريب والعدوان التي تستكن في هذه المساحات الكبيرة الخالية من السلطة والأمن حتى تجد فرصتها لتقوم بأعمالها الإجرامية على حين غرة مستهدفة أمننا واستقرارنا كما حدث يوم الجمعة الماضية من عدوان شرذمة آثمة ظالمة على مدينة آمنة مسالمة من عصائب الشر ودعاة الخراب والدمار والعبثية فذهبت الأنفس البريئة الآمنة، وحتى المعتدية الآثمة، ولا يمكن أن تكون هذه الحادثة هي الأولى ولا الأخيرة فمن بلغت بهم الكراهية والحقد وعبثية الإرادة إلى أن يقوم بمثل ما قام به هذا النفر من الشنآن والعدوان، لا بد أن تتكرر منهم مثل تلك الحادثة وما هو أشد منها ألماً، ومن يريد أن يهلك نفسه ويجعلها رصاصة تنطلق بلا هدف ولا غاية لتقتل الآمنين والغافلين لا يمكن إلا أن يجد غرة يستغلها رغم ما يقوم به الساهرون على أمن بلادنا من جهود مشكورة بذلوا راحتهم أولًا من أجلنا وضحوا بأنفسهم بعد ذلك، ولكن هذه الشرذمة ومن على شاكلتها لا تريد أن ترى بلداً آمناً مطمئناً لأنها لا تعيش حيث ترى أمناً واستقراراً، بل لا تعيش إلا في محاضن الفتنة والفوضى التي تحدثها بمفاجآتها العبثية.

لا نريد أن نلعن الظلام كما يقول المثل، بل نريد أن نبحث عن شمعة تنير الطريق وتضيء جوانبه الخفية الداكنة. وطرق الفتنة والتطرف والكراهية والطائفية طرق طويلة ومتشعبة ومظلمة لا تكفيها شمعة واحدة ولا ألف شمعة، بل تحتاج شمساً تشرق عليها لتكشف زوايا هذا الظلام الدامس الذي طمس عقول هؤلاء حتى يستبين لهم المنهج السوي الذي حادوا عنه ونكبوه جانباً، وأول شمس ترتفع فوق رؤوسهم أو يجب أن ترتفع هي شمس الحقيقة التي تكشف كثيراً من النصوص العامة الموهمة التي تحتمل أكثر من تفسير وأكثر من معنى سمعوها وتكرر سماعها وأخذها بعضهم على علاتها بلا علم بمقاصدها ومآلاتها وفسرها البعض منهم لما يوافق أهواءهم وميولهم وحسب ما يظهر لهم دون يقين ولا تثبت وكانت حجتهم

www.mtenback.com

فيما يأتون وفيما يدعون من أعمال، وترديد النصوص العامة المشتركة. إننا بحاجة ماسة إلى وضع النقاط على الحروف كما يقال وتوضيح الموقف العلمي والمعنى الشرعي لما يأتون به من نصوص يجعلونها دليلاً على ما يقومون به من أعمال، وهذا التوضيح والبيان واجب شرعي على العلماء وعلى الجميع دون مؤاربة ولا تمييع للمقصد الشرعي من النص المشترك ولا مقاربة معهم في فهمه (فالجهاد والولاء والبراء والمنكر والمعروف) وغيرها من المصطلحات العامة والمشتركة يرددها الجميع ولكن الواجب على أهل العلم وضع حد وتعريف جامع مانع لدلالتها في هذا العصر ومقاصدها في الماضي، واختلاف الأزمان والأمكنة وما يترتب على ذلك من تأويل وتعريف[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2316، الخميس 21 رمضان 1435هـ.

www.mtenback.com

ما سبب غياب القيادات الاجتماعية

في المجتمع السوي تقوم قيادات مهمة لا يستغني عنها الناس ولا يصح أمر المجتمع وتستقيم شؤونه إلا حين تنشط القيادات المسؤولة عن إدارته وتقوم كل منها بواجبها نحوه في كل الحالات وفي كل الظروف والمناسبات، ولعله يتبادر إلى ذهن كثيرين عند الحديث عن القيادات الاجتماعية، أن المقصود هو القيادة السياسية أو حتى القيادة الدينية، ولا أظنه سيخطر في البال غير هاتين القيادتين اللتين يعرفهما الجميع، ولا شيء غيرهما فيما يبدو عند كثيرين منهم، هذا فهم صحيح إلى حد ما، لأن الناس تعودوا ظهور هاتين القيادتين في كل الأحوال ومساسها في حياتهم العامة والخاصة، واتصالهما بالناس وبحاجاتهم، ولا يصلح حال مجتمع مهما كان إلا بوجود هاتين القيادتين، وهذا أمر لاشك فيه، ولكن هناك قيادات اجتماعية غيرهما لا تقل أهمية عنهما في المجتمع، ولا يقل أثرها عن أثر القيادات السياسية والدينية، تلك القيادات التي أعني هي القيادات الاجتماعية الحرة التي لا يربطها بالأفراد رابط رسمي ولا تأخذ مكانتها من جهات رسمية، بل تستمدها من الناس من رضاهم عنها، من اعترافهم بفضلها، ومن قبولهم لها، كل ذلك يبني على قيم اجتماعية مرضية وعلى سمعة حسنة بين الناس، وهذه القيادات هي التي تدير التوازن الطبيعي لحراك المجتمع ويكون دورها الاجتماعي من الأهمية بمكان، يوازي دور القيادة الدينية أو السياسية، بل ولعله يكون في بعض الظروف والأوقات أهم من الدور السياسي أو الديني أو مواز لهما بالأهمية؛ لأن القيادات الاجتماعية لديها مساحة واسعة من التواصل الدائم مع الناس كل الناس، وبوسيلة غير وسائل التواصل الذي بين الناس وبين السياسيين، أو بين الناس وبين رجال الدين، حيث الحدود والفواصل التي يضعها هؤلاء وأولئك بينهم وبين العامة، ولكن لا توجد تلك التراتبية الرسمية في واقع الحال بين الناس وقياداتهم الاجتماعية، ولهذا تكون أهمية وجود القيادات الاجتماعية للمجتمع وللدولة والوطن. ولا سيما في الأحوال التي يسود فيها التشرذم أو تسود فيها الاختلافات التي لا تنضبط بضوابط الدين، ولا بضوابط السياسة، ولا تنضبط بضوابط النظام الذي تسنه القوانين وتلزم به، وهنا تكون أهميتهم وتكون الحاجة إليهم في غاية الضرورة.

www.mtenback.com

إن مجتمعنا في الوقت الحاضر لم يبرز قيادات اجتماعية مؤثرة فيه، وفاعلة في بنيانه الاجتماعي، ولعل السبب يعود لحداثة التكوينات الاجتماعية، وسرعة النمو والتغير والتحولات التي حصلت خلال فترة قصيرة كاتساع المدن وحداثتها والهجرة المتسارعة إليها، والاستقرار والأمن المستتب ولله الحمد، لكن هذا لا يلغي دور القيادات الاجتماعية، بل إن الحاجة لها أصبحت مهمة لأن المجتمع بتحولاته السريعة يحتاج مرجعية اجتماعية أدبية وأخلاقية يحترمها الناس وتؤثر فيهم لخير الجميع ولصالح الوطن وأهله[1].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

(1) اليمامة: العدد 2328، الخميس 22 ذو الحجة 1435هـ.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المحتويات

القلق المشروع ---------- 007
مدارس الاستشراق لماذا اهتمت بنشر العامية والدعوة لها؟---------- 009
ما الذي حدث ولماذا؟ ---------- 014
العراق بين حالين---------- 016
إعمار السعودية.. قول على قول ---------- 018
رثاء ليلى الأخيلية ---------- 020
حسن ظاظا في المقام والرحيل---------- 025
ابن تنباك رافضا ثقافة الضد: شعبي وفصيح لامة واحدة انفصام وجنون- 029
أم كلثوم---------- 037
العم مَذْكَرْ، والزميل الغذامي، وشيخ القبيلة---------- 039
عن «مفهوم الثقافة الشعبية والفصحى» ---------- 045
خلال لقاء مفتوح حول الفصحى والعامية في «أدبي الرياض» ابن تنباك:
«صنيتان» اسم يوناني ظهر في القرن الـ 7 الهجري---------- 051
تكرم الأميرة عادلة.. في مجال قضايا المرأة الثقافية تقر «ثقافي» معرض
الكتاب وتعلن أسماء المكرمين ---------- 053
ابن تنباك كلنا منتسبون للدين ولا قلق على المعرض---------- 055
في رمضان ---------- 057
ثمرات الربيع العربي ---------- 059
وانتهوا من متاهم---------- 061
المنصور تؤكد أهمية الاقتراب من الشباب للحد من ظاهرة «العربيزي»

www.mtenback.com

ابن تنباك: تغيُّر التركيبة السكانية يهدِّد اللغة العربية في دول الخليج----- 063
اللغة والمكون السكاني في الخليج ---------- 066
العجوز والشيخ---------- 069
وعاظ المثقفين---------- 071
يوم واحد لا يكفي---------- 073
حملة الأوهام---------- 075
قلقون ... لماذا؟ ---------- 078
المتغير السكاني ---------- 080
صنيتان اليوناني---------- 082
إدارة الحشود---------- 084
هل في المعاذير مندوحة؟ ---------- 086
ضيف الشرف---------- 088
الصيف بين عصرين ---------- 090
ربيع العالم كله ---------- 092
المواطنة والوطن---------- 095
خيار الربيع العربي الدولة المدنية---------- 097
الخادمة أن قولدي---------- 100
انغلاق النخب العربية---------- 103
المجتمع المدني---------- 105
وعند موافق الخبر اليقين---------- 107
صحافة الأدب وصحافة الطلب ---------- 109

لهذه الأسباب خمدت نار المعارك الأدبية والفتنة نائمة فلا نوقظها.. د. ابن

www.mtenback.com

تنباك: الغذامي كتب كتابه حكاية الحداثة من منطلق ذاتي ورؤية شخصية 111
لازمة الخوف ---------- 118
الجامعات والتجميعات---------- 120
قال مالك---------- 123
أين اتجاه الناس---------- 125
إزاحة المتحقق إلى المتخيل---------- 127
العدل يجمع الناس ---------- 130
الشعوذة والمشعوذون ---------- 132
حلول القضايا ---------- 134
الحاجة تصنع القيمة---------- 136
الديمقراطية تصحح نفسها ---------- 138
ارحموا الناس من سوء الظن ---------- 140
يك استاد سعودى زنده به گور كرن دختران پيش از ظهور اسلام را بى
اساس خواند ---------- 142
من الدانمرك إلى بغداد.. أمة شاعرة---------- 145
حتى الكلام---------- 147
لو ---------- 149
الأيام الوطنية---------- 151
قفزات المليار ---------- 154
أكرم المناسبات---------- 156
أين الربع الخالي؟---------- 158
معرض الكتاب ---------- 161

www.mtenback.com

خادم الحرمين قال الكلام الأخير ---------- 163
الديمقراطية ---------- 165
عكاظ الحاضر وعكاظ التاريخ---------- 167
دعونا نسمع ---------- 169
هذا السخاء في الابتعاث---------- 171
القريات.. ---------- 173
البراءة لا تكفي ---------- 175
الحاجة تصنع القيمة---------- 177
سندان الغلاء.. ومطرقة البطالة! ---------- 179
المستقبل ---------- 181
سقطت الثروة والكثرة، ونجحت الفكرة---------- 184
لو فاز أوباما ---------- 187
الأصمعي يكذب على الأعراب ---------- 189
المقدمات والنتائج---------- 191
شعراء العلم---------- 193
الشركات العائلية قادمة---------- 195
بائع الثلج وآخر كلام---------- 197
الحقيقة---------- 199
الأفكار---------- 201
أسف لا ينفع ---------- 203
وثبة اللغة ---------- 205
حصاد ---------- 207

www.mtenback.com

مأزق اللغة---------- 209
امتداد القدرة المخلصة ---------- 211
الحوار---------- 214
أخطاء التقدير ---------- 216
الجريمة النوعية ---------- 219
أولاد الرأس---------- 221
يموتون ويقتلوننا!---------- 223
مرضي ومقبول ---------- 225
الكتاب بين التوزيع والتوديع---------- 227
أوروبا العلمانية ---------- 231
بين أهل الدثور وأهل الأجور ---------- 233
كم مساحة الوطن ---------- 235
الوطن والمواطنة ---------- 237
الفالح والكبد المقروحة---------- 239
الأديان والإنسان---------- 241
مفردات أورثتنا التردد ---------- 243
الكتابة على الحافة! ---------- 245
قلب الحازمي---------- 247
... وبعد صدقوني: لست ضد المجاملة ---------- 249
رشوة الكلام---------- 251
منصور الحازمي و(زمرته)---------- 253
الكلمة الأخيرة---------- 256

www.mtenback.com

الأعياد---------- 258
المصطلح واختلاف الزمان والمكان---------- 260
ما سبب غياب القيادات الاجتماعية---------- 262

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com